ثَقَافَةُ ابن السُّبْكِيّ وأَثَرُهَا على النّقْدِ الحَدِيثِيّ

IbN As – Subki's Intellect and its Influence on Hadith Criticism

إعداد

عمر أحمد يوسف بني ياسين

إشراف

الدكتور محمد عبد الرحمن طوالبة

حقل التخصص – الحديث الشريف وعلومه

٣٠ ربيع ثاني ١٤٣١هـ

٢٠١٠/٤/١٥م

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ثقافة ابن السبكي وأثرها على النقد الحديثي

إعداد

عمر أحمد يوسف بني ياسين

ماجستير الحديث الشريف وعلومه، الجامعة الأردنية ٢٠٠٢م

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في تخصص الحديث الشريف وعلومه في جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

وافق عليها

محمد عبد الرحمن طوالبة.....رئيساً

أستاذ مشارك في الحديث الشريف وعلومه، جامعة اليرموك

عبد الله مرحول السوالمة.....عضواً

أستاذ في الحديث الشريف وعلومه، جامعة اليرموك

شرف محمود القضاة.....عضواً

أستاذ في الحديث الشريف وعلومه، جامعة اليرموك

سلطان سند العكايله.....عضواً

أستاذ مشارك في الحديث الشريف وعلومه، الجامعة الأردنية

آدم نوح معابدة القضاة.....عضواً

أستاذ مشارك في الفقه وأصوله، جامعة اليرموك

٣٠ ربيع ثاني ١٤٣١هـ

٢٠١٠/٤/١٥م

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإهداء

إلى من علمني أنّ الأعمال الكبيرة لا تتم إلا بالصبر والعزيمة والإصرار إلى . . . والدي أطال الله بقاءه وألبسه ثوب الصحة والعافية.

وإليك أماه . . . قطرة في بحرك العظيم . . . حبا وطاعة وبرا

وإلى الصابرة رفيقة الدرب . . . زوجي

وإليكم يا أمل المستقبل . . . . يا أبنائي

أهدي هذا العمل

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

شكر وتقدير

شكر أهل الفضل من شكر الله تبارك وتعالى، لذا أتقدم بالشكر الجزيل، وعظيم الامتنان من أستاذي وشيخي الذي تواتر حلمه وتواضعه . . . فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن طوالبة، الذي ما بخل عليّ بوقت، أو علم؛ موجها وناصحا حتى خرج هذا الجهد بهذه الصورة.

كما أتقدم بالشكر والامتنان إلى الأساتذة الفضلاء على تفضلهم وقبولهم بمناقشة هذه الرسالة، وعلى ما سيقدمونه من نصائح وتوجيهات، القصد منها رفع سوية هذا العمل، وهم:

الأستاذ الدكتور عبد الله مرحول السوالمة، والأستاذ الدكتور شرف محمود القضاة، والدكتور سلطان سند العكايله، والدكتور آدم نوح القضاة.

كما أشكر الدكتور خالد قاسم بني الدومي، والدكتور يوسف بني ياسين على ما قدماه من نصائح وتوجيهات.

ومن ثمّ إلى كل من ساهم وساعد في هذا العمل، وأبدى لي نصيحة أو معونة ولو بدعاء صالح.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قائمة المحتويات	رقم الصفحة
الإهداء	ج
صفحة الشكر	د
قائمة المحتويات	هـ
الملخص	ي
المقدمة	١
الفصل التّمهيديّ: ترجمة ابن السُّبْكِيّ	٨
المبحث الأوّل: التّعريف بابن السُّبْكِيّ	٩
المطلب الأوّل:اسمه	٩
المطلب الثّاني: مولده ونشأته	١٠
المبحث الثّاني: شيوخه، وتلاميذه	١٢
المطلب الأوّل: شيوخه	١٢
المطلب الثّاني: تلاميذه	١٦
المبحث الثّالث: مذهبه الفقهي والكلامي	٢٢
المطلب الأوّل: مذهبه الفقهي	٢٢
المطلب الثّاني: مذهبه الكلامي	٢٤
المبحث الرّابع: رحلاته، ومؤلّفاته، ووفاته	٢٧
المطلب الأوّل: رحلاته	٢٧
المطلب الثّاني: مؤلفاته	٢٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطلب الثّالث: وفاته	٣٣
الفصل الأوّل: العوامل التي أسهمت في تكوين ثقافة ابن السُّبْكِيّ	٣٤
المبحث الأوّل: البيئة الخاصّة	٣٥
المطلب الأوّل: أسرته	٣٥
المطلب الثّاني: المواهب الذّاتيّة	٤١
المبحث الثّاني: البيئة العامّة	٤٧
المطلب الأول: الحالة السياسية	٤٧
المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية	٤٨
المطلب الثّالث: الحالة العلمية والثقافية	٥٠
المطلب الرّابع: موقف ابن السبكي من حالة عصره	٥٣
المبحث الثّالث: الشّيوخ	٥٦
المبحث الرّابع: المناصب التي تولاّها	٦١
المطلب الأوّل: المناصب الإدارية	٦١
المطلب الثّاني: المناصب التعليميّة	٦٢
المطلب الثّالث: أثر هذه المناصب في تكوين ثقافة ابن السبكي	٦٤
الفصل الثّاني: ثقافة ابن السُّبْكِيّ الموسوعية، معالمها، ومظاهرها	٦٦
المبحث الأوّل: الحديث وعلومه	٦٧
المطلب الأوّل: مكانة ابن السبكي في علم الحديث	٦٧
المطلب الثّاني: أثره في علم الحديث	٧٢

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المبحث الثّاني: علم الفقه وأصوله	٨١
المطلب الأوّل: مكانة ابن السبكي في علم الفقه وأصوله	٨١
المطلب الثّاني: أثره في الفقه وأصوله	٨٣
المبحث الثّالث: علم التّاريخ	٨٧
المطلب الأوّل: مكانة ابن السبكي في علم التاريخ	٨٧
المطلب الثّاني: أثره في علم التاريخ	٨٨
المبحث الرّابع: علوم اللغة	٩١
المطلب الأوّل: مكانة ابن السبكي في علوم اللغة	٩١
المطلب الثّاني: أثره في علوم اللغة	٩٣
المبحث الخامس: التّصوف والتّزكية	٩٥
المطلب الأوّل: تصوف ابن السبكي	٩٦
المطلب الثّاني: تأثر ابن السبكي بالصوفية وأثره فيها	٩٧
الفصل الثّالث: أثر الثقافة الموسوعية على النقد الحديثي عند ابن السُّبْكِيّ	١٠١
المبحث الأوّل: أثر الثقافة الحديثيّة على النقد الحديثي	١٠٢
المطلب الأوّل: العناية بالإسناد	١٠٢
المطلب الثّاني: آراؤه وترجيحاته في علوم الحديث	١٠٨
المطلب الثّالث: نقد الرجال	١١٩
المطلب الرّابع: نقد الأحاديث	١٢٥
المطلب الخامس: الجرح والتعديل	١٤٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الثّاني: أثر الثقافة الفقهيّة والأصوليّة على النقد الحديثي	١٥٣
المطلب الأوّل: العناية بالمصطلحات الحديثية	١٥٣
المطلب الثّاني: العناية بمختلف الحديث	١٥٧
المطلب الثّالث: العناية بفقه الحديث	١٦١
المبحث الثّالث: أثر الثقافة التّاريخيّة على النقد الحديثي	١٦٥
المطلب الأوّل: العناية بطبقات الحفاظ وتراجمهم	١٦٥
المطلب الثّاني: نقد الأخبار	١٦٦
المطلب الثّالث: تعقباته في تواريخ الرجال	١٦٨
المبحث الرّابع: أثر الثقافة اللغويّة على النقد الحديثي	١٧٧
المطلب الأوّل: العناية بغريب الحديث	١٧٧
المطلب الثّاني: توجيه الحديث بما تقتضيه الصنعة اللغوية	١٨٠
المبحث الخامس: أثر التّصوّف على النقد الحديثي	١٨٣
المطلب الأوّل: قبول أحاديث تكلم فيها النقاد	١٨٣
المطلب الثّاني: تعقباته للعلماء في تراجم الرجال	١٨٦
الفصل الرّابع: خصائص المنهج النقدي عند ابن السُّبكيّ	١٨٩
المبحث الأوّل: شيوع روح النقد في مصنفاته	١٩١
المطلب الأوّل: الأحكام الاجتهادية	١٩١
المطلب الثّاني: الأحكام التي اعتمد فيها على غيره	١٩٥
المبحث الثّاني: تناوله جانبي السند والمتن في النقد	٢٠١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المبحث الثّالث: المؤآخذات على ابن السُبكيّ	٢٠٤
المطلب الأول: أوهام وقعت له في عزو الأحاديث، وذكر متونها	٢٠٤
المطلب الثّاني: موقفه من شيخه الذّهبيّ	٢٠٥
المطلب الثّالث: تناقضه في مواقفه	٢١١
الخاتمة	٢١٤
قائمة المراجع	٢١٦
فهرس الأحاديث الواردة في الرسالة	٢٣٣
فهرس الأعلام المترجم لهم في الرسالة	٢٣٧
ملخص باللغة الإنجليزية	٢٤٠

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الملخص

بني ياسين، عمر أحمد يوسف. ثقافة ابن السبكي وأثرها على النقد الحديثي. رسالة دكتوراه بجامعة اليرموك. ٢٠١٠م (المشرف: الدكتور محمد عبد الرحمن طوالبة).

تميز القرن الثامن الهجري بنشاط ثقافي جعله من أكثر العصور الإسلامية خصوبة في الحياة العلمية والثقافية، ولا أدل على ذلك من انتشار دور العلم، وظهور المصنفات الموسوعية، وانتشار خزائن الكتب، وظهور نخبة من العلماء الذين علا صيتهم أمثال ابن السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (توفي سنة ٧٧١هـ)، الذي عاش في كنف والده متعلما ومتأثرا بعلمه، وبما استمده من شيوخه، متأثرا في كل ذلك بالبيئة التي أحاطت به، فتكونت ثقافته الموسوعيّة التي شملت مختلف العلوم، ومنها علم الحديث الشريف، وجاءت هذه الدراسة بهدف بيان أثر ثقافة ابن السبكي، وتكوينه الفكري على النقد الحديثي عنده، والوقوف على الأحكام النقدية الحديثية التي أطلقها، وبيان مدى دقته فيها، ثم الوقوف على أبرز خصائص منهجه النقدي، وإبراز جانب من الجوانب العلمية عند ابن السبكي، التي طغى عليها علم الفقه وأصوله، حتى كاد ابن السبكي لا يذكر إلا في ذلك العلم، وكان لا بد لبيان ذلك من الوقوف على مصنفات ابن السبكي المتعددة، وقراءتها، واستخراج النصوص والأحكام النقدية المتعلقة بعلم الحديث، ومقارنتها بأقوال العلماء، لبيان مدى توافق ابن السبكي مع غيره من العلماء المحدثين، واستلزم هذا البحث عن كيفية تشكل ثقافة ابن السبكي، والعوامل التي أسهمت في ذلك، وكيف ظهر أثر التكامل المعرفي عنده على النقد الحديثي، مما استدعى أن تكون هذه الدراسة في خمسة فصول؛ أولها تمهيدي عرض لترجمة ابن السبكي، وثانيها تحدث عن العوامل التي أسهمت في تكوين ثقافته، وثالثها كان الحديث فيه عن مضمون التكامل المعرفي، بمعنى ما هي العلوم التي برز فيها، وشكلت ثقافته، ورابعها بيان أثر تلك الثقافة الموسوعية على النقد الحديثي، وتطرق الفصل

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأخير إلى خصائص المنهج النقدي عند ابن السبكي، كشيوع روح النقد في مصنفاته، وتناوله جانبي السند والمتن في النقد، وبعض ما يؤخذ على ابن السبكي، وقد خلصت الدراسة إلى أن ابن السبكي اتصف بثقافة موسوعية شملت مجالات عدة، مما ساعده على الوقوف على الأسانيد والمتون لنقدها، وبيان ما يستخلص منها من قواعد وفوائد علمية، وافق في الكثير منها أهل الاختصاص، وخالفهم في بعضها، متأثرا بمذهبه الفكري والفقهي والسلوكي، وقد قدم لنا معرفة جديدة في علوم الحديث نالت عناية العلماء.

الثقافة وأثرها، المنهج النقدي، ابن السبكي، الأردن.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المقدمة

الحَمْدُ لله الذي خَلَقَ الإنْسَانَ، فَعَلَّمَهُ البَيَانَ، والصَّلاَةُ والسَّلاَمُ على أَشْرَفِ المُرْسَلِينَ وخَاتِمِهِم، مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ، الذي لا يَنْطِقُ عَنْ الهَوى إنْ هُو إلاّ وَحَيٌ يُوحَى، وَارْضَ اللهم عَنْ صَحَابَتِهِ أَجْمَعِين،خَير أمّة أخرجت للنّاس، وَمَنْ تَبِعَهُم بإحْسَانٍ إلى يَومِ الدِّينِ، وبعدُ:

خَلَقَ اللهُ الإنسانَ مدنياً بطبعِهِ، يحبُ المُؤانَسَةَ، ويؤثرُ الاجتماعَ، وشرعَ له ما يغذّي ذلك وينمّيه، ويتولدُ مِنْ ذلك بناءُ شخصيتِهِ وفكرِهِ، متأثراً بأبويهِ، وبيئتِهِ التي تُحيطُ بِهِ، وعَوَامِلَ أُخْرَى قَدْ يَطُولُ حَصْرُهَا، وباختلاف هذه العواملِ يختلفُ الناسُ في نبوغِهم ودرجةِ ذلك ونوعيتِهِ، وتختلفُ اهتماماتُهم، ولولا ذلك الاختلافُ لما حصلَ التكاملُ الذي يكونُ من أبرزِ مظاهرِهِ رفعةُ الأمّةِ وسمُوها وتميزُها .

إنّ العنايةَ بثقافةِ الإنسانِ – راوياً كان أم عالماً أم مصنفاً– سايرَتِ العنايةَ بالعلوم الشّرعيّةِ، بلْ كانتْ في كثيرٍ من الأحيانِ تُعَدُّ ضابطاً لِقبولِ روايةِ راوٍ أو ردّها ، أو رأيِ عالمٍ؛ لتأثرِ تلكَ الرّوايةِ، أو ذلك الرأيِ بما يحملُ صاحبُهما من ثقافةٍ ، فنجدُ في أقوالِ أئمتِنا على سبيلِ المثالِ: عمدةٌ في التّاريخِ، عمدةُ النّسابين، عِلْمُ الأنسابِ صنعتُه، الحديثُ صناعتُه، عمدةٌ في الأصولِ عمدةٌ في الفتوى، على جلالةِ قدره في الفقه ضعيفٌ في الحديث.

وقد تميز القرن الثامن الهجري بنشاط ثقافي جعله من أكثر العصور الإسلامية خصوبة في الحياة العلمية والثقافية، ولا أدلّ على ذلك من وجود نخبة من العلماء الذين علا صيتهم أمثال؛ المزيّ(ت٧٤٢هـ)، والذّهبيّ(ت٧٤٨هـ)،وابن السُّبكيّ(ت٧٧١هـ)، وابن كثير(ت٧٧٤هـ)، والزركشيّ(ت٧٩٤هـ)، في قائمة يطول ذكرها.

وبعد استخارة الله، واستشارة أساتذتي في قسم أصول الدين، عزمت على المضي بما أشارت به عليّ لجنة الدراسات العليا بالقسم من ضرورة التوقف عند ابن السُّبكيّ لبيان ثقافته

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأثرها على النقد الحديثي عنده.

والله أسأل أن يلهمني الصواب والسداد، وأنْ يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، إنّه نعم المولى ونعم النّصير.

أهمّية الدّراسة:

يمكن تلخيص أهميّة هذه الدّراسة بالنقاط التّالية:

١- ابن السُّبكِيّ من العلماء الذين أسهموا في بناء التّراث الحضاري الإسلامي بمؤلفاته المليئة بالبحوث الحديثيّة، والفقهيّة، والمواعظ الإرشاديّة .

٢- إبراز ما تحويه كتب ابن السُّبكِيّ من ثروة نقديّة حديثيّة.

٣- إظهار تكامل العلوم وخدمة بعضها بعضا.

مشكلة البحث:

إنّ المطالع لسيرة ابن السُّبكِيّ يقف على تنوع العلوم الشرعيّة التي كونت ثقافته ووجهت فكره، والمطالع لإرث ابن السُّبكِيّ "كطبقات الشّافعيّة الكبرى"، و"رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب"، و"معيد النّعم ومبيد النّقم" -وغيرها- يجد الكثير من القضايا الحديثيّة التي ناقشها، والكثير من الأحاديث التي انتقدها، وألفاظاً في الجرح أو التّعديل أطلقها، لذا فإنّ مشكلة هذه الدراسة تتلخص في الإجابة عن السؤال الرئيس التّالي:

ما أثر ثقافة ابن السُّبكِيّ الموسوعية على النقد الحديثي عنده ؟

ويتفرع عن ذلك السؤال الأسئلة التالية:

أولاً: كيف تكونت ثقافة ابن السُّبكِيّ؟ وما العوامل التي أسهمت في ذلك؟

ثانياً: كيف ظهر أثر التّكامل المعرفيّ عند ابن السُّبكِيّ على النقد الحديثي؟

ثالثاً: ماذا قدم لنا ابن السُّبكِيّ من معرفة جديدة من خلال أحكامه النقدية ؟وما قيمة هذه

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الإضافات عند العلماء؟

رابعاً: إلى أي مدى اتصف ابن السبكي بالموضوعية في أحكامه النقدية؟

ولعدم وجود دراسة علميّة- بحسب إطلاعي وبحثي- اعتنت بثقافة ابن السُّبْكِيّ وأثرها على النقد الحديثي عنده جاءت هذه الدراسة للوقوف على هذه القضية.

حدود الدراسة:

ستشمل هذه الدراسة مؤلفات ابن السُّبْكِيّ المطبوعة وهي: طبقات الشّافعيّة الكبرى، ومعيد النّعم ومبيد النّقم، ورفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، والإبهاج في شرح المنهاج، والأشباه والنظائر، وجمع الجوامع، ومنع الموانع عن جمع الجوامع.

كما ستقتصر في بحث مضمون التكامل المعرفي عند ابن السُّبْكِيّ على: علم الحديث، وعلم الفقه وأصوله، وعلم التاريخ، وعلوم اللغة، والتصوف.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

١- بيان أثر ثقافة ابن السُّبْكِيّ وتكوينه الفكري على النقد الحديثي عنده.

٢- الوقوف على الأحكام النقدية الحديثية التي أطلقها ابن السُّبْكِيّ ومدى دقته فيها.

٣- بيان خصائص المنهج النقدي عند ابن السُّبْكِيّ.

٤- اشتهر ابن السُّبْكِيّ باعتباره إماما من أئمة أصول الفقه، وعلَما من أعلام المذهب الشّافعي، حتى كاد ذلك يغطي على الجوانب العلمية الأخرى، لذا تأتي هذه الدراسة لكشف جانب آخر من حياة ابن السُّبْكِيّ العلمية ألا وهو الجانب الحديثي.

الدراسات السابقة:

بحسب إطلاعي وبحثي لم أقف على دراسة علمية خدمت هذا الموضوع باستثناء ما قدمه

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بعض المحققين لكتب ابن السُبكِيّ من ترجمة لحياته، ونبذة مختصرة عن منهجه في الكتاب المحقق، ومن ذلك ما قدمه:

١- محمد الصادق حسين، في كتابه "البيت السبكي بيت علم في دولتي المماليك، القاهرة – مصر، دار الكتاب المصري، ط١.

٢- محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو في مقدمة تحقيق كتاب طبقات الشافعية الكبرى، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٣٩٦هـ - ١٩٩٢م، ج١، ص ٧ – ٢٣.

٣- - سعيد الحميري في مقدمة تحقيقه لكتاب منع الموانع عن جمع الجوامع، في أصول الفقه، دار البشائر، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص ١٥ – ٤٣.

٤- علي معوّض وعادل عبد الموجود في مقدمة تحقيق كتاب رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، بيروت – لبنان، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ج١، ص ٥٧ – ٨٦.

٥- الحسن بن محمد بلعيد، مقدمة تحقيق معجم شيوخ التاج السُبْكِيّ، لابن سعد المقدسي، شمس الدّين أبو عبد الله (ت٧٥٩هـ)، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، ص٢٧- ٥٧.

والمطالع لهذه المقدمات يجد أنها مقدمات مختصرة إن سدت ثغرة في التعريف بابن السُبْكِيّ فإنها لا تشفي غليلا في التعرف على ثقافته وأثرها على النقد عنده.

ومن الدراسات التي تعرضت لمنهج ابن السُبْكِيّ ما يلي:

١- الإمام تاج الدين السُبْكِيّ ومنهجه في أصول الفقه، أحمد إبراهيم حسن الحسنات،رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية/٢٠٠٢م، إشراف الدكتور عبد المعز حريز،عدد ورقاتها ٢٠٦.

قدم فيها الباحث ترجمة لابن السُبْكِيّ ودرس منهجه في أصول الفقه كعَلَمٍ بارز في ذلك،

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ولم يتعرض الباحث فيها إلى قضية ثقافة ابن السُّبْكِيّ، أو الجانب الحديثي عنده.

٢- تاج الدين السُّبْكِيّ والقضايا الأدبية من خلال كتابه طبقات الشّافعيّة الكبرى، عوض محمد كدكي، الدوحة – قطر، دار الفتح، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، قام بالتعريف بتاج الدين السُّبْكِيّ، واقتصرت دراسته على القضايا الأدبية التي وردت في كتاب طبقات الشافعية الكبرى.

٣- منهج الإمام السبكي في كتاب "الأشباه والنظائر"، بحث محكم منشور في مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد(٢٤)، العدد الثاني/٢٠٠٨م، أعده الدكتور آدم نوح القضاة، والدكتور أسامة علي الفقير.

أما عن ثقافة ابن السُّبْكِيّ وأثرها على النقد الحديثي فلم أقف على دراسة طرقت هذا الموضوع، ولم أقف كذلك على دراسة اعتنت بالمنهج الحديثي عند ابن السُّبْكِيّ، أو المنهج النقدي عنده، لذا أجد أنّ هذه الدراسة ستكشف لنا – إنْ شاء الله – عن ثقافة ابن السُّبْكِيّ وأثرها على النقد الحديثي، آملاً أنْ تكون طريقة بحث فيها جدّة في الكشف عن موسوعية علمائنا السابقين، وبيان تكامل العلوم الشرعية وتناغمها.

منهج البحث:

اعتمدت في دراستي هذه على:

١- المنهج الوصفي:

أ – باستقراء ترجمة ابن السُّبْكِيّ من المصادر التي اعتنت بذلك؛ للوقوف على الجوانب التي كونت ثقافته.

ب – باستقراء كتب ابن السُّبْكِيّ المبينة في حدود الدراسة للوقوف على أثر تلك الثقافة في النقد الحديثي، واستخراج النصوص النقدية منها.

٢- المنهج النقدي: وذلك بمقارنة أقوال الإمام تاج الدين السُّبْكِيّ وأحكامه مع غيره من

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النقاد في حقل التخصص للوقوف على قيمة أحكامه النقدية، ومدى موافقته أو مخالفته لهم، وبيان مدى موضوعيته.

وقد قمت بتخريج الأحاديث الواردة في الرسالة مبينا حكم الحديث من حيث الصحة والضعف، مستخلصا ذلك الحكم من مجموع ما قاله العلماء في الحديث، ومكتفيا بتخريجه من الصحيحين إنْ وجد فيهما، واعتمدت النسخ الحاسوبية الجيدة الضبط لنصوص الأحاديث، وضبطت ما يمكن أنّ يشكل من الكلمات الواردة في النصّ، كما التزمت منهجا واحدا بما يختص بعملية توثيق المراجع؛ فأوردت اسم المؤلف كاملا وسنة وفاته، واسم الكتاب كما هو منشور وكافة المعلومات عنه من حيث دار النشر، ومكانها ورقم الطبعة وسنتها، ورقم الجزء والصفحة، في أول موضع يرد فيه، ثم اكتفيت بشهرة المؤلف واسم الكتاب مختصرا، ورقم الجزء والصفحة، مرتبا ذلك بحسب أسبقية الوفاة للمؤلف.

وأدرجت في الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها، وبعض التوصيات، وألحقت بالرسالة فهرسا للمراجع، وآخر للأحاديث الواردة في الرسالة، وثالث للأعلام المترجم لهم، مرتبا كلّ تلك الفهارس على حروف المعجم، ولذا فقد اشتملت هذه الرسالة على مقدمة، وفصل تمهيدي، وأربعة فصول، وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها عرضت لأهمية الدراسة، ومشكلتها، وحدود الدراسة، وأهدافها، والدراسات السابقة، والمنهج الذي سلكته في دراستي.

الفصل التمهيدي، وقد عرضت فيه ترجمة ابن السُّبْكِيّ.

الفصل الأول، تحدثت فيه عن العوامل التي أسهمت في تكوين ثقافة ابن السُّبْكِيّ.

الفصل الثاني، تحدثت فيه عن مضمون التكامل المعرفي عند ابن السُّبْكِيّ، بمعنى ما هي العلوم التي شكّلت ثقافته؟ وقد اقتصرت فيه على خمسة مضامين كما هي في محددات الدراسة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الفصل الثالث، وقفت فيه على أثر التكامل المعرفي على النقد الحديثي عند ابن السُّبْكِيّ، وكيف وظّف تلك العلوم في مجال النقد الحديثي.

الفصل الرابع، عرضت فيه خصائص المنهج النقدي عند ابن السُّبْكِيّ.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الفصل التّمهيديّ: ترجمة ابن السُّبْكِيّ:

المبحث الأوّل: التّعريف بابن السُّبْكِيّ:

المطلب الأوّل:اسمه

المطلب الثّاني: مولده، ونشأته

المبحث الثّاني: شيوخه، وتلاميذه

المبحث الثّالث: مذهبه الفقهي، والكلامي

المبحث الرّابع: رحلاته، ومؤلّفاته، ووفاته

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الأوّل: التّعريف بابن السُّبكيّ

المطلب الأوّل: اسمه:

هو عبد الوهّاب بن عليّ بن عبد الكافي بن عليّ بن تمّام بن يوسف بن موسى بن تمّام بن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن عليّ بن سيّار بن سوار بن سليم، قاضي القضاة، أبو نصر تاج الدّين السُّبكيّ نسبة، الأنصاريّ نسبا، الشّافعيّ الأشعريّ[1].

---

(١) انظر ترجمته في: الذّهبيّ، محمّد بن أحمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ)، المعجم المختص بالمحدّثين، تحقيق محمّد الحبيب الهيلة، الطائف – السعودية، مكتبة الصديق، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص١٥٢، والصفدي، صلاح الدّين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، اعتنى به رضوان السيد، بيروت – لبنان، مطبعة المتوسط، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج١٩، ص٣١٥- ٣١٦، وابن رافع، تقيّ الدّين أبو المعالي محمّد السّلامي (ت٧٠٤هـ)، الوفيات، تحقيق صالح مهدي عباس، أشرف عليه وراجعه بشار معروف، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ج٢، ص٣٦٢- ٣٦٤، وابن كثير، عماد الدّين أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، بيروت – لبنان، مكتبة المعارف، ط١، ١٩٦٦م، ج١٤، ص٢٩١- ٢٩٢، وص٣١٦، وص٣١٨، والمقريزي، تقيّ الدّين أحمد بن عليّ بن عبد القادر العبيدي(ت٨٤٥هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمّد عبد القادر عطا، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ج٣، ق١، ص١٨٧، وابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد(ت٨٥١هـ)، طبقات الشّافعيّة، اعتنى بتصحيحه عبد العليم خان، حيدر أباد الدكن – الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٣٣٩هـ - ١٩٧٩م، ج٣، ص١٠٤- ١٠٦، وابن حجر، أحمد بن عليّ العسقلاني(ت٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، صححه سالم الكرنكوي الألماني، دائرة المعارف، ج٢، ص٤٢٥- ٤٢٨، وابن تغري بردي، يوسف الأتابكي جمال الدين أبو المحاسن(ت ٨٧٤هـ)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق محمّد محمّد أمين، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، ج٧، ص٣٨٥- ٣٨٦، والسّيوطيّ، جلال الدّين عبد الرحمن(٩١١هـ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة – مصر، دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ج١، ص٢٨٣، والنّعيميّ، عبد القادر بن محمّد الدمشقي(ت٩٢٧هـ)، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسيني، دمشق، مطبعة الترقي، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م، ج١، ص٣٧- ٣٨، وابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي(ت١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت – لبنان، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ج٦، ص٢٢١- ٢٢٢، والشوكاني، محمّد بن عليّ (ت١٢٥٠هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، بيروت – لبنان، دار المعرفة، ج١، ٤١٠- ٤١١.

وهناك دراسات معاصرة اختصت بابن السبكي، وهي: الحسنات: أحمد إبراهيم،٢٠٠٢م، الإمام تاج الدّين السُّبكيّ ومنهجه في أصول الفقه، أطروحة ماجستير، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، الأردن، ٢٠٠٢م، ص٢- ٦١،

-

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثّاني: مولده، ونشأته

ولد ابن السُّبْكِيّ في القاهرة، سنة سبع وعشرين وسبعمائة (٧٢٧ هـ - ١٣٢٦م) على الأرجح[١]، وقد تفتحت عينا ابن السُّبْكِيّ في بيت علا صيته بالعلم، ورأى العلماء وهم ينهلون من علم أبيه، ويقيّدون ما تجود به قريحته، ونال حظّه باكرا من هذا العلم الغزير، وهذا ما تؤكّده النّصوص الكثيرة التي أوردها ابن السُّبْكِيّ في طبقاته الكبرى، والتي تُبيّن حضوره لمجالس العلم، وسماعه من أفواه المشايخ وهو صغير، حيث يقول: ((أخبرنا شيخنا قاضي القضاة بدر الدّين أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم بن جماعة قراءة عليه وأنا حاضر في الثّالثة))[٢].

صوّر ابن السُّبْكِيّ جانباً من حياته في كنف والده، وعنايته به، وحرصه على تعليمه

-

وكدكي، عوض محمّد أحمد، تاج الدّين السُّبْكِيّ والقضايا الأدبية من خلال كتابه طبقات الشّافعيّة الكبرى، قطر - الدوحة، دار الفتح، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص٢٤- ٤٢، ومحمّد الصّادق حسين، البيت السُّبْكِيّ بيت علم في دولتي المماليك، القاهرة - مصر، دار الكاتب المصري، ط١، ص١٣- ٤٥.

وقد أتحفنا العديد من محققي كتب ابن السُّبْكِيّ بترجمة ضافية له؛ انظر: السُّبْكِيّ، عليّ بن عبد الكافي(ت٧٥٦هـ)، وولده تاج الدّين (ت٧٧١هـ)، الإبهاج في شرح المنهاج شرح على منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي(ت٦٨٥هـ)، تحقيق أحمد الزمزمي ونور الدّين صغيري، دبي - الإمارات العربية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، مقدمة التحقيق، ج١، ص١٦٨- ٢٣٣، وابن السُّبْكِيّ، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، تحقيق عليّ معوّض وعادل عبد الموجود، بيروت - لبنان، عالم الكتب، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، مقدمة التحقيق، ج١، ص٥٧- ٨٧، وطبقات الشّافعيّة الكبرى، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، القاهرة - مصر، هجر للطباعة والنشر، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، مقدمة التحقيق، ج١، ص٩- ٣٤، ومنع الموانع عن جمع الجوامع في أصول الفقه، تحقيق سعيد بن عليّ الحميري، بيروت - لبنان، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، مقدمة التحقيق، ص١٥- ٤٢، وابن سعد المقدسي، شمس الدّين أبو عبد الله (ت٧٥٩هـ)، معجم شيوخ التاج السُّبْكِيّ، تحقيق الحسن بن محمّد بن بلعيد، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص٢٧- ٥٧.

(١) انظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٤٢٥، وابن قاضي شهبة، طبقات الشّافعيّة، ج٣، ص١٠٤، والشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص٤١٠، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص٢٢١.

(٢) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٩، ص١٤٠، وانظر أيضاً: ج١، ص٤٥، وص١٠٦، وص١٥٢، وغيرها.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وتدريبه، حيث يقول: ((وكان ينهانا عن نوم النّصف الثّاني من الليل، ويقول لي: يا بنيّ تعوّد السّهر ولو أنّك تلعب، والويل كلّ الويل لمن يراه نائماً وقد انتصف الليل))[1].

واضب ابن السُّبْكِيّ على حضور مجالس العلماء، والسّماع منهم وملازمتهم – في مصر، وفي الشّام بعد أن انتقل إليها- حتى اشتدّ عوده ((وكتب الأجزاء والطّباق[2] مع ملازمة الاشتغال بالفقه والأصول والعربيّة حتى مهر وهو شابّ))[3]، حتّى ((أذن له ابن النّقيب[4] بالإفتاء والتّدريس، ودرّس في غالب مدارس دمشق، وناب عن أبيه في الحكم))[5].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

---

(١) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج١٠، ص٢٠٣.

(٢) الطّباق هو إثبات السماع على الأصل المقروء، أو المسموع، بحيث يدوّن كل من سمع، أو حضر ذلك المجلس الذي قرىء فيه الكتاب.

(٣) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٤٢٥.

(٤) وهو قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ بدر الدين أبي بكر بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن نجدة بن حمدان النقيب المتوفى سنة(٧٤٥ هـ).

(٥) المصدر السابق، ج٢، ص٢٢٦.

المبحث الثّاني: شيوخه، وتلاميذه:

المطلب الأوّل: شيوخه

حرص ابن السُّبْكِيّ على طلب العلم، إذ لم يدع فرصة في سبيل ذلك إلا واغتنمها، فحضر مجالس العلم، وسمع الكثير من العلماء، وعرض عليهم، ومن يطالع كتاب "طبقات الشّافعيّة الكبرى" يجد الكثير من الشّيوخ الذين ترجم لهم، ((وخرّج له ابن سعد مشيخة حدّث بها))[1].

وسأكتفي هنا بالحديث عن خمسة من أبرز شيوخ ابن السُّبْكِيّ، وقد أعانني على الاختيار ما قاله ابن السُّبْكِيّ: ((لم تر عيناي أحفظ من أبي الحجّاج المزّيّ وأبي عبد الله الذّهبيّ، والوالد ــ رحمهم الله ــ وغالب ظنّي أن المزّيّ يفوقهما في أسماء رجال الكتب السّتّة، والذّهبيّ يفوقهما في أسماء رجال من بعد السّتّة، والتّواريخ، والوفيات، والوالد يفوقهما في العلل والمتون))[2].

١- أبو الحجّاج المزّيّ[3]:

هو جمال الدّين يوسف بن الزّكي عبد الرّحمن بن يوسف بن عليّ الحافظ أبو الحجّاج المزّيّ، قال عنه ابن السُّبْكِيّ: ((شيخنا وأستاذنا وقدوتنا ... حافظ زماننا، حامل راية السّنّة

---

(١) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٤٢٦، قال ابن سعد المقدسي: ((فبلغ عدة الشيوخ بالسماع والإجازة من الرجال والنساء مائة واثنين وسبعين شيخاً))، ابن سعد المقدسي، معجم شيوخ التاج السُّبْكِيّ، ص١٧١.

(٢) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج١٠، ص٢٢٠- ٢٢١.

(٣) انظر ترجمته في: الذّهبيّ، ذيول العبر، ص٢٢٩، المعجم المختص، ص٢٩٩- ٣٠٠، ترجمة رقم(٣٨٠)، وابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج٥، ص٣٤٦- ٣٤٨، وابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج١٠، ص٣٩٥- ٤٣٠، وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص١٩١، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج٥، ص٢٣٣، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٧٦، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص١٣٦- ١٣٧، والشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص٣٥٣- ٣٥٤، ومن المصادر الحديثة: المزّيّ، يوسف بن الزكي(ت٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، مقدمة التحقيق، ج١، ص٩- ١١، والطّوالبة، محمّد عبد الرحمن، الحافظ المزّيّ والتخريج في كتابه تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، عمّان- الأردن، دار عمّار، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص١٥- ١٠٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

والجماعة، والقائم بأعباء هذه الصّناعة ... إمام الحفّاظ، كلمةً **لا يجحدونها، وشهادةً على أنفسهم** يؤتونها ... واحد عصره بالإجماع، وشيخ زمانه الذي تصغي لما يقول الأسماع))[1] .

وقال عنه أيضا: ((وبالجملة كان شيخنا المزّيّ أعجوبة زمانه ... وكان قد انتهت إليه رئاسة المحدّثين في الدنيا ... صنّف تهذيب الكمال المجمع على أنه لم يصنّف مثله، وكتاب الأطراف، وغيرهما من نفائس المصنّفات، وقد قرأت عليه، وسمعت عليه الكثير))[2].

ولد سنة أربع وخمسين وستّمائة(٦٥٤هـ = ١٢٥٦م) ، وتوفيّ سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة(٧٤٢هـ = ١٣٤١م).

٢- الذّهبيّ[3]:

هو محمّد بن أحمد بن عثمان، الإمام الحافظ المقرئ مؤرّخ الإسلام أبو عبد الله الذّهبيّ، قال عنه ابن السُّبْكِيّ: ((شيخنا وأستاذنا الإمام الحافظ شمس الدّين أبو عبد الله التّركمانيّ الذّهبيّ، محدّث العصر، إمام الوجود حفظاً، وذهب العصر معنى ولفظاً، وشيخ الجرح والتّعديل، ورجل الرّجال في كلّ سبيل، كأنّما جمعت الأمّة في صعيد واحد فنظرها، ثم أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها، كان محطّ الرّحال، ومنتهى الرّغبات، وهو الذي خرّجنا في هذه الصّناعة، وأدخلنا في

---

(١) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج١٠، ص٣٩٥- ٣٩٦.

(٢) المصدر السابق، ج١٠، ص٣٩٧- ٤٠١.

(٣) انظر ترجمته في: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج٥، ص٣٤٨- ٣٥٥، والصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢، ص١٦٣- ١٦٨، والكتبي، محمّد بن شاكر بن أحمد(ت٧٦٤هـ)، فوات الوفيات، تحقيق عليّ معوض وعادل عبد الموجود، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ج٢، ص٣٧٠، والذّهبيّ، ذيول العبر، ص٢٦٧، وابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٩، ص١٠٠، وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٢٢٥، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص٤٢٦، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٨٢، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص١٥٣- ١٥٧، والشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص١١٠- ١١٢، وانظر ترجمته الوافرة، بشار عواد، الذّهبيّ وكتابه تاريخ الإسلام.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عداد الجماعة))[1].

ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة(٧٧٣هـ = ١٢٧٤م)، وتوفيّ سنة ثمان وأربعين وسبعمائة(٧٤٨هـ = ١٣٤٧م).

٣- عليّ بن عبد الكافي تقيّ الدّين أبو الحسن[2].

هو أبو الحسن عليّ بن عبد الكافي بن عليّ بن تمّام، الشّيخ الإمام الفقيه المحدّث الحافظ المفسّر المقرئ الأصوليّ اللغويّ الأديب.

قال عنه الذّهبيّ: ((القاضي الإمام العلاّمة الفقيه المحدّث الحافظ فخر العلماء، سمع من الدّمياطيّ وطبقته، وكان صادقاً متثبّتاً، خيّراً ديّناً، متواضعاً، حسن السّمت، من أوعية العلم، يدري الفقه ويقرّره، وعلم الحديث ويحرّره، والأصول ويقرئها، والعربيّة ويحقّقها، صنّف التّصانيف المتقنة، وقد بقي في زمانه الملحوظ إليه بالتّحقيق والفضل، سمعت منه، وسمع مني، وحكم بالشّام، وحمدت أحكامه))[3].

وقال ابن حجر في ترجمته: ((أخذ الأصلين عن الباجيّ، والخلاف عن السّيف البغداديّ،

---

(١) ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج٩، ص١٠٠.

(٢) انظر ترجمته في: ابن فضل الله العمري، شهاب الدّين أحمد بن يحيى(ت٧٤٩هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق محمّد خريسات وعصام هزايمة ويوسف بني ياسين، العين – الإمارات العربية، مركز زايد للتراث والتاريخ، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ج٥، ص٥٠٧– ٥١٥، والصفدي، أعيان العصر، ج٣، ص٤١٧– ٤٥٥، والذّهبيّ، ذيول العبر في خبر من غبر، تحقيق محمّد السعيد بسيوني، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، ص٣٠٤، والمعجم المختص، ص١٦٦– ١٦٧، ترجمة رقم(٢٠٤)، وابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج١٠، ص١٣٩– ٣٣٨، وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٢٥٢، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص١٣٤– ١٤٢، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة – مصر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ج١٠، ص٣١٨، والسيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص٢٧٦– ٢٨٢، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص١٨٠، والشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص٤٦٧– ٤٦٩.

(٣) الذّهبيّ، المعجم المختص، ص١٦٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

والنّحو عن أبي حيّان، والتّفسير عن العلم العراقيّ، والقراءات عن التّقيّ الصّائغ، والحديث عن الدّمياطيّ...))[1].

توفّيّ عليّ بن عبد الكافي سنة ستّ وخمسين وسبعمائة (٧٥٦هـ = ١٢٥٨م).

٤- أبو حيّان الأندلسيّ[2]:

هو محمّد بن يوسف بن عليّ بن يوسف النّفزيّ الأندلسي، شيخ النّحاة، العلم المفرد، قال عنه ابن السُّبْكِيّ: ((سيبويه الزّمان، والمبرّد إذا حمي الوطيس بتشاجر الأقران))[3].

وقال الصّفديّ: ((كان له إقبال على أذكياء الطّلبة يعظّمهم، وينوه بقَدْرِهم، وكان كثير النّظم من الأشعار والموشّحات، وكان ثبتاً فيما ينقله، عارفاً باللغة، وأمّا النّحو والتّصريف فهو الإمام المطلق فيهما، خدم هذا الفنّ أكثر عمره حتى صار لا يذكر أحد في الأقطار فيهما غيره، وله اليد الطولى في التّفسير، والحديث، وتراجم النّاس، ومعرفة الطّبقات))[4].

وذكره الذّهبيّ في المعجم المختصّ بقوله: ((أبو حيّان ذو فنون، حجّة العرب، وعالم الدّيار

---

(١) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤، ص٣٠٢.

(٢) انظر ترجمته في: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج٧، ص٢٩٨- ٣٤١، والصفدي، الوافي بالوفيات، ج٥، ص٢٦٧- ٢٨٣، والكتبي، فوات الوفيات، ج٢، ص٥٥٥، والذّهبيّ، ذيول العبر، ص٢٤٣، والمعجم المختص، ص٢٦٧- ٢٦٨، ترجمة رقم(٣٤٤)، وابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٩، ص٢٧٦، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج٥، ص٧٠- ٧٦، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١١١، والسيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص٤٦٢- ٤٦٤، والتلمساني، أحمد بن محمّد المقري(ت١٠٤٠هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت – لبنان، دار صادر، ط١، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، ج٢، ص٥٣٠- ٥٨٤، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص١٤٥- ١٤٦، والشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص٢٨٨- ٢٩١، ومن الدراسات التي تحدثت عن أبي حيان: الحنان، مأمون محيي الدّين، أبو حيان الأندلسي منهجه التفسيري، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، والحديثي، خديجة، أبو حيان النحوي، بغداد – العراق، مكتبة النهضة، ط١، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.

(٣) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٩، ص٢٧٦.

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٥، ص٢٦٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المصريّة، كتب إليّ بمروياته، وله عمل جيّد في هذا الشّأن، وكثرة طلب له))[1].

ولد سنة أربع وخمسين وستّمائة(٦٥٤هـ = ١٢٥٦م)، وتوفيّ سنة خمس وأربعين وسبعمائة(٧٤٥هـ = ١٣٤٤م).

٥- ابن سيّد النّاس اليعمري[2]:

هو فتح الدّين أبو الفتح محمّد بن محمّد بن عبد الله بن محمّد بن يحيى ابن سيّد النّاس، الإمام الحافظ، أخذ علم الحديث عن والده، وعن ابن دقيق العيد، وتخرج عليه، وقرأ عليه أصول الفقه، وقرأ على ابن النّحاس النّحو، وصنّف السيرة الكبرى وأسماها "عيون الأثر" واختصرها[3]، وشرح قطعةً من كتاب التّرمذيّ أسماها "النّفح الشّذيّ في شرح التّرمذيّ"[4].

ولد سنة إحدى وسبعين وستّمائة(٦٧١هـ = ١٢٧٢م)، وتوفيّ سنة أربع وثلاثين وسبعمائة(٧٣٤هـ = ١٣٣٣م).

المطلب الثّاني: تلاميذه

إنّ المطالع لترجمة ابن السُّبكيّ في المصادر التّاريخيّة لا يكاد يجد سوى إشارات عن

---

(١) الذّهبيّ، المعجم المختص، ص٢٦٧- ٢٦٨.

(٢) انظر ترجمته في: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١، ص٢٨٩- ٣١١، وابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج٩، ص٢٦٨- ٢٧٢، وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص١٦٩، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤، ص٣٣٠- ٣٣٥، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص٣٠٣، والسيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص٣٠٨- ٣٠٩، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص١٠٨-١٠٩، والشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص٢٤٩- ٢٥١.

(٣) "عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير"وهي مطبوعة عدة طبعات منها: طبعة دار الجيل، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٧٤م، ودار الآفاق الجديدة، بيروت- لبنان، ط٣، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ودار الحضارة، بيروت – لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، واختصرها ب"نور العيون في تلخيص سير الأمين والمأمون".

(٤) قال ابن حجر: ((وشرع لشرح الترمذي، ولو اقتصر فيه على فن الحديث من الكلام على الأسانيد لكمل))، الدرر الكامنة، ج٥، ص٤٧٧، وهو مطبوع باسم: النفح الشذي في شرح جامع الترمذي، دراسة وتحقيق أحمد معبد عبد الكريم، الرياض – السعودية، دار العاصمة، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

تلامذته، وانعكس ذلك على بعض من حقّق كتب ابن السُّبكِيّ؛ حتّى قال محققا كتاب رفع الحاجب: ((وقد خلت الكتب، أو تكاد تخلو من ذكر تلاميذ له))[1] وذهب بعض المحقّقين لكتب ابن السُّبكِيّ في تعليل عدم ذكر تلاميذ له مذاهب شتّى؛ فمن ذلك:

١- عيش ابن السُّبكِيّ في كنف أبيه، وهو ما كان مدعاة لطغيان شهرة الوالد على الولد[2].

٢- انشغال ابن السُّبكِيّ بالقضاء.

٣- موت ابن السُّبكِيّ صغيراً.

وقد أشار أحد الباحثين إلى أنّ تلاميذ ابن السُّبكِيّ موجودون لمن طالع كتب التّراجم[3]، ((وقد كان أيده الله تعالى في مدة إقامته بمصر على حال شهيدة من التّعظيم، والتّبجيل، يعتقده الخاصّ والعامّ، ويتبرّك بمجالسته ذوو السّيوف والأقلام، ويزدحم طلبة فنون العلم على أبوابه))[4].

وإلى جانب ذلك، فقد قال ابن السُّبكِيّ عن نفسه: ((فما في دمشق مدرسة مرموقة بعين التّعظيم إلا وقد ولّيت تدريسها – بحمد الله – إلا اليسير من المدارس))[5].

فهذان النّصّان يدلاّن على أن له الكثير من التلاّميذ، وإن لم يُذكَروا في ترجمته، فقد أشار عدد من أصحاب كتب التّراجم إلى من لازم ابن السُّبكِيّ، أو تفقّه عليه، أو عرض عليه، أو سمع

---

(١) عليّ معوّض وعادل عبد الموجود، مقدمة رفع الحاجب، ج١، ص٧٥.

(٢) انظر هذه الأسباب: ابن السُّبكِيّ، رفع الحاجب، ج١، ص٧٥- ٧٦، مقدمة التحقيق، وينبغي هنا التنبيه إلى من سمع من ابن السُّبكِيّ وبين من لازمه ملازمة حثيثة، فالذين سمعوا منه في مدارس دمشق كثر، ولكن لم تطل صحبتهم له للاعتبارات المذكورة.

(٣) انظر: الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص٤١- ٤٤، مقدمة التحقيق.

(٤) الحسيني، محمّد بن عليّ بن الحسن الدمشقي الشّافعيّ(ت٧٦٥هـ)، ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ج٤، ص٢٠٠.

(٥) ابن السُّبكِيّ، الأشباه والنظائر، تحقيق عادل عبد الموجود وعليّ وعوض، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ج٢، ص٣٤٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

منه، أو أجازه، ولذا فسأكتفي هنا بإيراد خمسة من أشهر تلاميذ ابن السُّبْكيّ:

١- الأذميّ[١]:

هو عليّ بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الله، أبو الحسن الأذميّ الشّافعيّ، سمع من القلانسيّ، وحدّث عنه، ((وأفاد ودرّس، وأفتى وأعاد، وشارك في الفنون، وانتفع به أهل مصر كثيراً، مع الدّين المتين، والسكون والتّقشّف))[٢].

وأخذ عن ابن السُّبْكيّ ((جمع الجوامع تحقيقاً، وكذا الكثير من منع الموانع، ومن التّنبيه والمنهاج والتّسهيل، وأذن له في إقراء جمع الجوامع، وإنه لم يأذن لأحد في ذلك قبله))[٣].

توفيّ الأذميّ سنة ثلاث عشرة وثمانمائة(٨١٣هـ = ١٤١٠م) .

٢- ابن سند[٤]:

هو محمّد بن موسى بن محمّد بن سند، الحافظ شمس الدّين أبو العبّاس اللخميّ، المصريّ الأصل الدّمشقيّ، الشّافعيّ، المعروف بابن سند، اعتنى بالحديث، وصنّف، وخرّج، وكتب العالي والنّازل، وأخذ عن جماعة منهم الذّهبيّ، وناب عن ابن السُّبْكيّ((وكان شديد اللزوم له، وقارئاً لتصانيفه في دروسه))[٥] .

((وقال الحافظ شهاب الدّين ابن حجّي: كان من أحسن الناس قراءة للحديث، كان يرجّح

---

(١) انظر ترجمته: ابن حجر، إنباء الغمر ج١، ص٤٧١- ٤٧٢، والسّخاويّ، الضوء اللامع، ج٥، ص١٦٤، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٧، ص١٠١.

(٢) ابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص٤٧١- ٤٧٢.

(٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٢٣.

(٤) انظر ترجمته في: الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ، ج١، ص٣٦٩، وابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص١٥٤، والدرر الكامنة، ج٤، ص٢٧٠، والسيوطي، طبقات الحفاظ، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية – ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٢، ج١، ص١١٤، ٣٦٥، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص٣٢٦، والزركلي، الأعلام، ج٧، ص١١٨، وكحالة، معجم المؤلفين، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، ج٣، ص٧٤٤.

(٥) ابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص٤١٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

على كلّ أحد لحسن قراءته، وفصاحته، وخرّج لنفسه أربعين متباينة المتن والإسناد، وخرّج لغيره، وتعيّن في الفن))[1] .

توفيّ ابن سند سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة(٧٩٢هـ = ١٣٨٩م).

٣- الغزّيّ[2]:

هو محمّد بن خلف بن كامل القاضي شمس الدّين الغزّيّ الدمشقيّ الفقيه الشّافعيّ ((اشتغل وتميّز وبرع في الفقه، وأفتى ودرّس، وجمع وألف كتاب ميدان الفرسان))[3].

ووصفه ابن تغري بردي بأنه: ((كان عالماً، درّس بدمشق، وأفتى، وباشر بها نيابة الحكم إلى أن مات))[4]، وقد ترجم له ابن السُبْكِيّ في الطّبقات الكبرى، ووصفه بأنه رفيقه في الطّلب[5].

توفيّ الغزّيّ سنة سبعين وسبعمائة(٧٧٠هـ = ١٣٦٨م).

٤- الفيروز أباديّ[6]:

---

(١) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص٣٢٦.

(٢) انظر ترجمته في: ابن السُبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٩، ص ١٥٥- ١٥٦، وابن رافع، الوفيات، ج٢، ص٣٤٥- ٣٤٦، وابن قاضي شهبة، طبقات الشّافعيّة، ج٣، ص١٢٢- ١٢٣، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج٥، ص١٧٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٠٥.

(٣) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٥، ص١٧٣.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص١٠٥.

(٥) انظر: ابن السُبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٩، ص١٥٥.

(٦) انظر ترجمته: ابن قاضي شهبة، التاريخ، تحقيق عدنان درويش، دمشق – سوريا، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ج٤، ص٦٣- ٦٤، وابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص٤٧- ٥٠، والسيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، صيدا- لبنان، المكتبة العصرية، ج١، ص٢٧٣- ٢٧٥، وطاش كبرى زادة (ت٩٦٨هـ)، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، بيروت – لبنان، دار الكتاب العربي، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ص٢١- ٢٢، والداودي، محمّد بن علي بن أحمد (ت٩٤٥هـ)، طبقات المفسرين، تحقيق سليمان بن صالح الخزّيّ، المدينة المنورة – السعودية، مكتبة العلوم

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مجد الدّين أبو طاهر محمّد بن يعقوب بن محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن أبي بكر بن إدريس بن فضل الله الشّيرازيّ الفيروز أباديّ، ((طلب الحديث، وسمع من الشّيوخ، ومهر في اللغة وهو شابّ، وسمع من جماعة، وقدم الشّام بعد الخمسين، إما سنة خمس، أو السنة التي بعدها، وسمع بها الحديث، ودخل القدس، وسمع من الحافظ صلاح الدّين العلائيّ))[1] .

وقال ابن حجر: ((اعتنى بالحديث، اجتمعت به في زبيد، وفي وادي الخصيب، وناولني جلّ "القاموس"[2]، وأذن لي مع المناولة أن أرويه عنه، وقرأت عليه من حديثه عدّة أجزاء، وسمعت منه المسلسل بالأوّليّة بسماعه من السُّبكيّ، وكتب لي تقريضاً على بعض تخريجاتي))[3].

توفيّ الفيروز أباديّ سنة سبع عشرة وثمانمائة(٨١٧هـ = ١٤١٤م).

٥- ابن الملقّن[4]:

هو عمر بن عليّ بن أحمد بن عبد الله الأنصاريّ الأندلسيّ، سراج الدّين ابن أبي الحسن المعروف بابن الملقّن، وهو منسوب إلى زوج أمّه الملقّن.

اعتنى بالتّحصيل في صغره، وسمع ابن سيّد النّاس والقطب الحلبيّ، وتخرّج بزين الدّين الرّحبيّ ومغلطاي، ((واشتهر بكثرة التّصانيف حتى كان يقول: إنّها بلغت ثلاثمائة تصنيف،

والحكم، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، ص٣١٢- ٣١٣، والشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص٢٨٠- ٢٨٤.

(١) ابن قاضي شهبة، التاريخ، ج٤، ص٦٣- ٦٤.

(٢) أي القاموس المحيط، وهو معجم لغوي طار صيته في كل مكان، وشاع ذكره على كل لسان، امتاز بغزارة مواده، وسعة استقصائه، وحسن اقتصاره، وتمام إيجازه، واسمه كما نص مؤلفه "القاموس المحيط والقابوس الوسيط"، انظر: العرقسوسي، مقدمة تحقيق القاموس المحيط للفيروز أبادي، ص٩.

(٣) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص٥٠.

(٤) انظر ترجمته في: الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٩٧، وابن قاضي شهبة، طبقات الشّافعيّة، ج١، ص٢٠٠، وابن حجر، إنباء الغمر، ج٥، ص٤١- ٤٦، والسخاوي، الضوء اللامع، م٣، ج٦، ص١٠٠- ١٠٥، والشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص٥٠٨- ٥١١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وطار صيته، وكانت كتابته أكثر من استحضاره، ... ولمّا قدم الشّام نوّه بقَدْرِهِ تاج الدّين السُّبكيّ سنة سبعين، وكتب له تقريضاً على كتابه تخريج أحاديث الرّافعيّ))[1] .

توفيّ ابن الملقّن سنة أربع وثمانمائة(٨٠٤هـ = ١٤٠١م).

(١) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٥، ص٤٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الثّالث: مذهبه الفقهي والكلامي:

المطلب الأوّل: مذهبه الفقهي

ينتسب ابن السُّبْكِيّ إلى مذهب الإمام الشّافعيّ، وهو أوّل مذهب تفتّحت عينا ابن السُّبْكِيّ عليه؛ فأسرته شافعيّة المذهب، بل وجد في بيئة تنصر مذهب الشّافعيّ نصراً شديداً؛ حتى إنّها أصبحت ترى البقاء والعزّ للدّولة المصريّة مقروناً ببقاء المذهب الشّافعيّ وازدهاره، يقول ابن السُّبْكِيّ: ((وقال أهل التّجربة: إن هذه الأقاليم المصريّة والشّاميّة والحجازيّة، متى كانت البلد فيها لغير الشّافعيّة خربت، ومتى قدّم سلطانها غير أصحاب الشّافعيّ زالت دولته سريعاً، وكأن هذا السّرّ جعله الله في هذه البلاد كما جعل مثله لمالك في بلاد المغرب، ولأبي حنيفة فيما وراء النّهر، وسمعتُ الشّيخ الإمام الوالد يقول: سمعت صدرَ الدّين ابنَ المُرَحّل رحمه الله يقول: ما جلس على كرسيّ ملك مصر غير شافعيّ إلا وقتل سريعاً، وهذا الأمر يظهر بالتّجربة))[1].

نشأ ابن السُّبْكِيّ في هذه البيئة التي ترى أنّه لا بديل عن المذهب الشّافعيّ، فكان شافعيّ المذهب، ينتصر له انتصاراً شديداً، حتى صار ذا غيرة مفرطة عليه، حيث يقول: ((ولقد تأمّلت هذه المسألة وأعملت فيها فكري، واختبرت قريحتي، وتلوت ما عندي من العلم، فلم أنته إلى ما يثلج له الصّدر من ظنّ غالب؛ بل إنّ مذهب الشّافعيّ رضي الله عنه، في هذه المسألة عندي راجح رجحانًا لست معه على ثقة من التّزحزح بما يحدث من الشّبهات؛ أما رجحانه: فلأنّي أظنّ أنّ حديث "ليس على الرّجل طلاق فيما لا يملك"، ظاهر، فيما يتبادر إلى الفهم منه، من أنه لا يُعلّق إلا من يُطلّق، ومعتضد بهذين الحديثين، وإن كانا غير صحيحين، وبما يؤيّدهما من أحاديث أخر، ولأنّي أظنّ أنّ الشرط لا يمنع انعقاد السّببيّة، غير أنّ ظنّي هذا، دون ما ظننته من

---

(١) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٨، ص٣٢٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الحديث، فلو ترقّت دلالة الحديث عندي على مرامي، إلى درجات غلبة الظّنّ، لترقّى بسببها ظنّي أنّ الشّرط لا يمنع انعقاد السّببيّة، استدلالاً بالفرع على الأصل، لكن لم يترقّ، وللبحث مجال في منع الشّرط انعقاد السّببيّة؛ فهذه المسألة مما أستخير الله فيه، وأسأله التّوفيق لوجه الصّواب، وأعرف رجحان مذهب الشّافعيّ رضي الله عنه، لكنّه كما علمت، رجحانٌ لا أستطيع معه على الفتيا به))[1].

وهو يرى أن الشافعي أولى بالإتّباع، ويرى أن سبب تقدمه على السابقين أنه ((تأخر عنهم وحصل على ما حصّلوه، واجتمع عنده ما تفرق بينهم فتصرف فيه، فكان مذهبه أقرب إلى الصواب))[2].

وقد ذكر ابن السُّبكيّ في مقدّمة الطّبقات الكبرى أحاديث كثيرة، استشهد بها على فضل الشّافعيّ، وأنّه الإمام القرشيّ الهاشميّ، وتحدّث عن نسبه من جهة أبيه وأمه، يوصل ذلك إلى رسول الله ﷺ[3]، ولم تخل كتبه من نصر آراء الإمام الشّافعيّ والدّفاع عنه؛ فقد علّق على كلام الذّهبيّ الذي وصف به الشّافعيّ، بأنّه لم يكن في الحديث كيحيى القطّان، وابن مهدي، وأحمد بن حنبل، وابن المدينيّ، فقال: ((ونحن لا نسلم أنّ الشّافعيّ في الحديث دون من ذكره، وغاية الأمر أن الذي ظهر أن ذكره أكثر، وما ذاك إلا لاشتغال الشّافعيّ بما هو أهمّ: من ترتيب قوانين الشّريعة))[4].

وابن السُّبكيّ في هذا كلّه ينفي عن نفسه نزعة العصبيّة للشّافعيّ، فها هو يقول بعد أن نقل

---

(١) ابن السُّبكيّ، الأشباه والنظائر، ج٢، ص٣١.
(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٢٥٧.
(٣) انظر: المصدر السابق، ج١، ص١٨٩- ٢٠٤.
(٤) المصدر السابق، ج٩، ص١١٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كلام ابن حزم في تقليد غير الصّحابة والتّابعين: ((ومن هذا تستفيد شيئاً قد قرّرته في الطّبقات الكبرى، ولم يحملني عليه، والله، عرق العصبيّة للشّافعيّ، بل ما دعا إليه نظري، ووجدته في شدّة التّفحصّ، وهو أنّي اعتبرت أقوال غير المقلّدين لواحد من الأربعة في الأربعة، فوجدت الكلّ مطبقين على أنه إن كان تقليد لأحد فليكن للشّافعيّ، وهم مجمعون على أنه متوسّط بين الرّأي والأثر، آخذ بمجامع الأمرين من غير إفراط ولا تفريط في واحد من الجانبين، وعلى ذلك جميع المحدّثين، إلا من شذّ ممن لا يُعبأ به من متأخّري حنابلتهم، ثم وجدت طوائف من الأئمّة الثّلاثة؛ الحنفيّة، والمالكيّة، والحنابلة متّفقين على أنّه إن كان تقليد لغير أئمّتهم فليكن الشّافعيّ، وأنت محال في تحقيق هذا الفصل على نظرك، وإيّاك أن تعتمده دليلاً بين يدي خصم لا ينصف، فإنه يبادرك بالمنع والإنكار، ولكن عليك بإمعان النّظر في كلام أئمّتهم كثيراً لترى من ذلك ما يخرج عن حد الإحصاء في غضون مباحث الكلام، فلا تجد حنفياً إلا وهو يقول: إن كان لا بد من الخروج عن مذهب أبي حنيفة فليكن الشّافعيّ، وكذلك المالكيّ، وكذلك الحنبليّ))[1].

المطلب الثاني: مذهبه الكلامي

كان الاعتقاد الغالب في عصر المماليك هو المذهب الأشعريّ، فقد شاع وانتشر[2]، ولهذا كان ابن السُّبْكِيّ يدين لله تعالى بعقيدة أهل السّنّة والجماعة على طريقة الإمام أبي الحسن الأشعريّ[3]، ويصف لنا ابن السُّبْكِيّ حال النّاس على اختلاف مذاهبهم، فيقول: ((وهؤلاء الحنفيّة والشّافعيّة والمالكيّة وفضلاء الحنابلة، ولله الحمد، في العقائد يد واحدة، كلّهم على رأي أهل السّنّة

---

(١) ابن السُّبْكِيّ، منع الموانع، ص ٤٤٦- ٤٤٩.

(٢) انظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق محمّد زينهم ومديحة الشرقاوي، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ج٣، ص٤٢٥.

(٣) قال ابن السُّبْكِيّ في ترجمة الإمام الأشعري:((شيخنا، وقدوتنا إلى الله، الشّيخ أبو الحسن الأشعري البصري، شيخ طريقة أهل السنة والجماعة))، ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٣، ص٣٤٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

والجماعة، يدينون لله تعالى بطريق الشّيخ أبي الحسن الأشعريّ، رحمه الله، لا يحيد عنها إلا رعاع من الحنفيّة والشّافعيّة لحقوا بأهل الاعتزال، ورعاع من الحنابلة لحقوا بأهل التّجسيم، وبرأ الله المالكيّة؛ فلم نر مالكيّاً إلا أشعريّاً عقيدةً، وبالجملة عقيدة الأشعريّ هي ما تضمّنته عقيدة أبي جعفر الطّحاويّ التي تلقّاها علماء المذاهب بالقبول، ورضوها عقيدة))[1].

ويؤكّد ابن السُّبْكِيّ أن عموم المذاهب على طريقة أبي الحسن الأشعريّ؛ كونه ((لم يبتدع رأياً، ولم ينشئ مذهباً، وإنّما هو مقرّر لمذاهب السلف، مناضل عمّا كانت عليه صحابة رسول الله ﷺ، فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقد على طريق السّلف نطاقاً، وتمسّك به، وأقام الحجج والبراهين عليه، فصار المقتدي به في ذلك، السّالك سبيله في الدلائل يسمى أشعريّاً))[2]، ولهذا لا ينبغي معارضته، أو الحيد عن طريقته؛ لأنه ((لا يعارضه إلا مبتدع))[3].

ومن يقرأ الطّبقات الكبرى لابن السُّبْكِيّ، يجد أنه قد حمل لواء الدّفاع عن الأشاعرة، خاصةً عمن ورد فيه طعن ممن تُرجِمَ لهم، كالأشعريّ، والجوينيّ، والرازيّ، بل زاد في ذلك أن قعّد قاعدة اعتمدها في تراجمه، فقال: ((والذّهبيّ أستاذنا، والحقّ أحقّ أن يتّبع، لا يحلّ لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعتمد عليه في الضّعة من الأشاعرة))[4].

ولم يقتصر الأمر على الذّهبيّ في عدم جواز الاعتماد على كلامه فيمن هو أشعريّ، كما أفتى بذلك ابن السُّبْكِيّ[5]، بل تعدّى ذلك إلى ابن حزم؛ فقد جاء في ترجمة فضل الله بن أحمد:

---

(١) ابن السُّبْكِيّ، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمّد النجار وأبو زيد شبلي ومحمّد أبو العيون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣، ص٧٥.

(٢) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٣، ص٣٦٥.

(٣) ابن السُّبْكِيّ، معيد النعم، ص٣٢.

(٤) المصدر السابق، ص٧٤.

(٥) حيث قال: ((والذي أفتي به أنه لا يجوز الاعتماد على كلام شيخنا الذّهبيّ في ذم أشعري، ولا شكر حنبلي))

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

((قلت: ومع صحّة اعتقاده لم يسلم من كلام الشّيخ ابن حزم، بل تكلّم فيه بغير حق، وتبعه شيخنا الذّهبيّ تقليداً، فقال: في اعتقاده شيء تكلّم فيه ابن حزم، انتهى، قلت: لم يظهر لنا، ولم يثبت عنه إلا صحّة الاعتقاد، ولكنّه أشعريّ صوفيّ، فمن ثم نال منه الرّجلان وباءا بإثمه))[1].

وينضمّ إلى الذّهبيّ وابن حزم الإمام المازريّ، والسّيف ابن المجد، مع اختلاف رأي ابن السُّبْكِيّ في الرّجلين؛ فقد قال في المازريّ: ((أما المازريّ فقبل الخوض معه في الكلام أقدّم لك مقدّمة وهي: أنّ هذا الرّجل كان من أذكى المغاربة قريحة، وأحدّهم ذهناً، بحيث اجترأ على شرح "البرهان لإمام الحرمين"، وهو لغز الأمّة الذي لا يحوم نحو حماه، ولا يدندن حول مغزاه، إلا غوّاص على المعاني، ثاقب الذّهن، مبرّز في العلم، وكان مصمّماً على مقالات الشّيخ أبي الحسن الأشعريّ، ﷺ، جليلها وحقيرها، كبيرها وصغيرها، لا يتعدّاها، ويبدّع من خالفه ولو في النّزر اليسير، والشّيء الحقير[2].

وقال في السّيف ابن المجد: ((والسّيف من جهّال المشبّهة، لا يعتبر به في وِرْدٍ ولا صدر))[3].

ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٢، ص٢٥.

(١) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٥، ص٣٠٧، وقال في ترجمة الشهرستاني محمّد بن عبد الكريم: ((صاحب كتاب الملل والنحل، وهو عندي خير كتاب صنّف في هذا الباب، ومصنف ابن حزم وإن كان أبسط منه إلا أنه مبدد ليس له نظام، ثم فيه من الحط على أئمة السنة، ونسبته الأشاعرة إلى ما هم بريئون منه ما يكثر تعداده، ثم ابن حزم نفسه لا يدري علم الكلام حق الدراية)) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٦، ص١٢٩.

(٢) المصدر السابق، ج٦، ص٢٤٣- ٢٤٤.

(٣) المصدر السابق، ج٨، ص١٤٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الرّابع: رحلاته، ومؤلّفاته، ووفاته:

المطلب الأوّل: رحلاته

الرّحلة في طلب العلم شأنها عظيم؛ فبها يتحصّل الرّاحل على العلم، ويلتقي الشّيوخ، ويسمع منهم، فيعلو سنده، ويصح خبره، ويوثق بعلمه.

والمطالع لكتب التّراجم التي ترجمت لابن السُّبكيّ، لا يجدها تذكر شيئاً عن رحلاته، سوى أنه انتقل من مصر إلى الشّام مع والده، لمّا تولّى منصب قاضي قضاة الشّام، وكان ذلك سنة (٧٣٩هـ = ١٣٣٨م)[١]، وقد وقفت – من خلال كتب ابن السُّبكيّ – على إشارات قليلة تعطي تصوراً عن رحلاته ــ مع ندرتها ــ ولم أجد له غير ثلاث رحلات:

الأولى: من مصر إلى الشّام في سنة (٧٣٩هـ = ١٣٣٨م) حينما توجّه مع والده عند تولّيه منصب قاضي قضاة الشّام[٢].

الثّانية: من الشّام إلى مصر في سنة (٧٤٢هـ = ١٣٤١م)، وكان في خدمة والده[٣].

الثّالثة: رحلته إلى الحجّ في سنة (٧٤٦هـ = ١٣٤٥م)[٤].

ولما كانت الرّحلات العلميّة ذات أهمّيّة بالغة، حرص عليها السّلف الصّالح، وصنّفوا في فضلها[٥]، وحثّوا طالب العلم عليها لما فيها من لقيا لكبار الأئمّة، والتّحصل على عالي الإسناد ((ولأنّ في الرحلة أيضاً ما يؤدي إلى الإكثار من الرّواية عند من حرص على ذلك، فضلاً عن

---

(١) انظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص ٤٢٥ – ٤٢٦.

(٢) وكان عمره إذ ذاك اثنتي عشرة سنة، انظر: المصدر السابق نفسه.

(٣) وكان عمره إذ ذاك خمس عشرة سنة، انظر: ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج٩، ص٢٧٨.

(٤) وكان عمره إذ ذاك تسع عشرة سنة، انظر: المصدر السابق، ج١٠، ص٨١، وص٣٩٥.

(٥) انظر: الخطيب، أحمد بن علي البغدادي أبو بكر(ت ٤٦٣هـ)، الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدّين عتر، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التّنويع فيها عن علماء مختلفين في المواطن والبلدان، وما قد يحصل عليه المرتّحل من معارف علميّة، ومنافع دنيويّة أخرى قد توضع في الحسبان))[1]، إلا أنّ ابن السُّبْكِيّ لم يكن دافعه للرّحلة شيئا من ذلك؛ إذ إنه ينص في تلك الإشارات على سبب ارتحاله، كخدمة والده، أو أداء فريضة الإسلام، ومع ذلك نجد أن ابن السُّبْكِيّ ومن خلال رحلاته تلك قد تحصّل على العلم، وإن لم يكن العلم دافعه للرحلة؛ فمن ذلك:

١- ما أفاده في الرّحلة الأولى: لازم الذّهبيّ، واخذ عن المزّيّ، وأجاز له شمس الدّين ابن النّقيب[2].

٢- ما أفاده في الرّحلة الثّانية: يقول ابن السُّبْكِيّ: ((ولما توجّهنا من دمشق إلى القاهرة في سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة، ثم أمرنا السّلطان بالعود إلى الشّام لانقضاء ما كنا توجّهنا لأجله، استمهله الوالد أياماً لأجلي، فمكث حتى أكملت على أبي حيّان ما كنت أقرأه عليه، وقال لي: يا بنيّ هو غنيمة، ولعلّك لا تجده في سفرة أخرى، وكان كذلك))[3].

٣- ما أفاده في رحلته الثّالثة: وإن كانت لقضاء مناسك الحجّ، إلا أن ابن السُّبْكِيّ أفاد من تلك الرّحلة فوائد عدّة؛ يقول في ترجمة يوسف بن سليمان بن أبي الحسن: ((وكان قد رافقنا في الحجّ، سنة سبع وأربعين وسبعمائة، وسمعت منه، ثم من نظمه ما لا أحقّقه))[4]، ويقول أيضاً في ترجمة عبد الله بن محمّد بن أحمد بن خلف المطريّ: ((خرّج له شيخنا الذّهبيّ جزءاً قرأته عليه

---

(١) العمري، محمّد عليّ، دراسات في منهج النقد عند المحدّثين، عمان – الأردن، دار النفائس، ط١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، ص١٦١.

(٢) انظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٤٢٦.

(٣) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٩، ص٢٧٨.

(٤) المصدر السابق، ج١٠، ص٣٩٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

في الرّوضة الشّريفة من المدينة النّبويّة على ساكنها أفضل الصّلاة والسّلام))[1]، ويقول أيضاً في ترجمة عبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم الأصفونيّ: ((صاحب مختصر الرّوضة، وقد قرأت عليه بعضه بالحجرة النّبويّة على ساكنها أفضل الصّلاة والسّلام، وأتمّ التحيّة والإكرام، في سنة سبع وأربعين وسبعمائة))[2].

ومن المناسب في هذا المقام بيان الأسباب التي أرى أنها جعلت ابن السُّبْكِيّ قليل الرّحلة؛ ولعلّ أهمّها:

١- قصر حياة ابن السُّبْكِيّ، فقد توفيّ وعمره أربع وأربعون سنة.

٢- انشغاله بالتّدريس؛ فقد ((درّس في غالب مدارس دمشق))[3].

٣- تولّيه توقيع الدّست[4]، ومنصب القضاء.

٤- وفرة العلماء حوله؛ كالمزّيّ، والذّهبيّ، وغيرهما.

٥- اكتفاؤه بوالده الذي جمع علوما عدّة، وبرز فيها.

المطلب الثّاني: مؤلّفاته

لم تطل حياة ابن السُّبْكِيّ، إلا أنه خلّف لنا الكثير من المصنّفات في علوم شتّى، بل كان من

---

(١) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج١٠، ص٣٤.

(٢) المصدر السابق، ج١٠، ص٨١.

(٣) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٤٢٦.

(٤)((كتّاب الدّست، وهم الذين يجلسون مع كاتب السر بمجلس السّلطان بدار العدل في المواكب على ترتيب منازلهم بالقدمة، ويقرأون القصص كما يوقع عليها كاتب السر، وسموا كتّاب الدّست إضافة إلى دست السّلطان؛ وهو مرتبة جلوسه: لجلوسهم للكتابة بين يديه؛ وهؤلاء هم أحق كتّاب ديوان الإنشاء باسم الموقعين، لتوقيعهم جوانب القصص بخلاف غيرهم)) القلقشندي، أحمد بن عليّ بن أحمد الفزاري(ت٨٢١هـ)، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، تحقيق عبد القادر زكّار، دمشق – سوريا، وزارة الثقافة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ج١، ص٥٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كرم الله عليه أن ((انتشرت تصانيفه في حياته، ورزق فيها السّعد))[1]، وكان دافعه إلى كثرة التّصنيف ما كان يؤمن به من أنّ ((العالِم وإن امتدّ باعه واشتدّ في ميادين الجدال دفاعه، واشتدّ ساعده حتّى خرق به كلّ باب سُدَّ بابُه وأُحكِمَ امتناعه، فنفعه قاصر على مدى حياته ما لم يصنّف كتاباً يخلّدُ بعده، أو يورّثْ علماً ينقله عنه تلميذه إذا وجد النّاس فقده، أو تهتدي به فئة مات عنها، وقد ألبسها به الرّشاد برده، ولعمري إن التصنيف لأرفعها مكاناً لأنّه أطولها زماناً، وأدومها إذا مات أحياناً))[2].

نبّه ابن السُّبْكِيّ بما ذكره إلى مسألة الخلود المعنويّ، التي تتحقّق للعلماء الذين اجتهدوا حتى خلّفوا التّصانيف من بعدهم.

وذَكَرَ حاله مع التّصنيف، وجدّه فيه، فقال: ((ولذلك لا يخلو لنا وقت يمر بنا خالياً عن التّصنيف، ولا يخلو لنا زمن إلا وقد تقلّد عقده جواهر التّأليف، ولا يخلو علينا الدّهر ساعة فراغ إلا ويعمل فيها القلم بالتّرتيب والتّرصيف))[3].

وسار في تصانيفه وفق منهجيّة واضحة، ومبادئ آمن بها، وقد استطعت الوقوف على معالم واضحة تكاد تشترك فيها كل مصنّفاته، والتي تبرز جهده وعمله، وهي:

١- التّجديد والابتكار، والبعد عن الجمع المجرّد؛ قال ابن السُّبْكِيّ: ((وأنا دائماً أستهجن ممّن يدعي التّحقيق من العلماء إعادة ما ذكره الماضون، إذا لم يَضُمَّ إلى الإعادة تنكيتا عليهم، أو زيادة قيد أهملوه، أو تحقيقا تركوه، أو نحو ذلك ممّا هو مرام المحقّقين ... إنّما الحَبْرُ من يملي عليه قلبه ودماغه، وتبرز التّحقيقات التي تشهد الفِطَر السليمة بأنها في أقصى غايات النظر،

---

(١) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ٤٢٦.

(٢) ابن السُّبْكِيّ، منع الموانع، ص٨٢- ٨٣.

(٣) المصدر السابق، ص٨٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

مشحونة باستحضار مقالات العلماء، مشارا فيها إلى ما يستند الكلام إليه من أدلّة المنقول والمعقول، يرمز إلى ذلك رمز الفارغ منه، الذي هو عنده مقرر واضح لا تفيده إعادته إلا السآمة والملالة، ولا يعيده إعادة الحاشد الجمّاعة، الولّاج الخرّاج، المحب أن يُحْمَد بما لم يفعل))[1].

٢- الإطناب والاختصار؛ قال ابن السُّبكِيّ في شرحه للمنهاج: ((وأنا من عادتي في هذا الشّرح الإطناب فيما لا يوجد في غيره، ولا يتلقّى إلا منه، من بحث مخترع، أو نقل غريب، أو غير ذلك، والاختصار في المشهور في الكتب، إذ لا فائدة في التّطويل فيما سبقنا من هم سادتنا وكبراؤنا إلى جمعه، وهل ذلك إلا مجرّد جمع من كتب متفرّقة لا يصدق اسم المصنِّف على فاعله))[2].

وقال: ((وأغراض النّاس تختلف، ولكلّ مقصد، ولسنا ننكر على أحد مقصده، وإنّما ننكر إدخال شيء في شيء لا يليق به، ويكبر حجم الكتب بما لا حاجة إليه))[3].

٣- متابعة مصنّفاته بالتّنقيح والتّصحيح؛ قال ابن السُّبكِيّ في كتابه منع الموانع عند حديثه عن المجتهد: ((... فإن نسخ جمع الجوامع مختلفة فيه، وما سطّرته هنا هو ما استقرّ عليه رأيي))[4].

وقال: ((ووقع في نسختي من كتاب ابن باطيش إسقاط شريح بن عبد الكريم وأحمد، وهو غلط تبعته عليه في الطبقات الوسطى والصغرى، والصواب ما ذكرته هنا))[5].

---

(١) ابن السُّبكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج١، ص٩٩- ١٠٠.

(٢) ابن السُّبكِيّ، الإبهاج، ج٢، ص١٣٧.

(٣) ابن السبكي، الأشباه والنظائر، ج٢، ص٣١٠.

(٤) ابن السُّبكِيّ، جمع الجوامع، ص٤٨١.

(٥) ابن السبكي، الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٧٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقال أيضا: ((وما ذكرته في كتابي الطبقات من أنّي رأيت القاضي صرّح بذلك في "مختصر التقريب"، وَهْمٌ مني في الفهم عنه؛ فقد تأملت كلامه بعد ذلك فلم أجده يعطي الذي ذكرت، وإنّما نبّهت على ذلك هنا لئلاّ يغترّ به))[1].

٤- الاستيفاء، والتّحقيق في بحث المسائل؛ قال ابن السُّبكيّ: ((واعلَمْ أنّي لم أقتصر في هذا الكتاب على الموجود في كتب الأصول، بل ضممت إليه شيئاً كثيراً من كتب المتكلّمين، وكثيراً من كتب المحدّثين، وكثيراً من كتب الخلافيّين، وكثيراً من كتب الفقهاء، وكثيراً من كتب المفسّرين، وشيئا مجاوزاً للحدّ مما سمح به الفكر، واستخرجه النّظر، ووضعه الفهم موضعه ممّا لم أُسْبَقْ إليه، ولو وسع وقتي لكتابة شرح عليه وافٍ بالغرض، منبّهٌ على ما رمزتُ إليه على وجه الاستقصاء لدخل في أسفار كثيرة))[2].

وقد ذكر من ترجم لابن السبكي هذه المصنفات[3]، فلا فائدة في إعادة ذكرها، ونُسبت لابن السبكي كتب أخرى هي في حقيقتها مباحث، أو فصول ضمّنها بعض مصنفاته[4].

---

(١) ابن السبكي، الإبهاج، ج٤، ص١٥٣٣.

(٢) ابن السُّبكيّ، منع الموانع، ص٣٦٩.

(٣) انظر: الحسنات، تاج الدين السبكي ونتهجه في أصول الفقه، ص٣٥- ٣٩.

(٤) ككتاب قاعدة في الجرح والتعديل وهو مبحث ذكره في الطّبقات الكبرى، ج٢، ص٩، وقد طبع بتحقيق عبد الفتاح أبو غدة، حلب – سوريا، دار الوعي، ط٢، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، وكتاب تخريج أحاديث الإحياء، وهو فصل ذكره في الطّبقات الكبرى، ج٦، ص٢٨٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطلب الثّالث: وفاته

لم يعش ابن السُّبْكِيّ طويلاً؛ فقد وافته المنيّة في ريعان الشّباب عن أربع وأربعين سنة، في سابع ذي الحجّة سنة إحدى وسبعين وسبعمائة، بعد أن أصيب بالطّاعون، ودفن بسفح قاسيون[1].

ولم يقتصر نفع ابن السُّبْكِيّ على مدة حياته؛ فقد خلّف من المصنّفات ما يخلّد ذكره، وينتفع به – إن شاء الله – مدى الحياة محقّقاً بذلك غايته من التّصنيف.

---

(١) انظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٤٢٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الفصل الأوّل: العوامل التي أسهمت في تكوين ثقافة ابن السُّبْكِيّ

المبحث الأوّل: البيئة الخاصّة

المطلب الأوّل: أسرته.

المطلب الثّاني: المواهب الذّاتيّة.

المبحث الثّاني: البيئة العامّة.

المبحث الثّالث: الشّيوخ.

المبحث الرّابع: المناصب التي تولاّها.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الأول: البيئة الخاصّة

تلعب البيئة التي ينشأ فيها الإنسان دورا مهمّا في تكوين شخصيّته، وتصبح أحد العوامل المهمّة في تشكيل ثقافته، لذا لا بدّ من الحديث – في هذا المبحث والذي يليه – عن البيئة التي أثّرت في تكوين ثقافة ابن السُّبْكِيّ، وأول ما أبدأ به البيئة الخاصّة؛ وأعني بها أسرته ــ أي البيت السُّبْكِيّ ــ وسأقف عند الإمام تقيّ الدّين – والد ابن السُّبْكِيّ – لما له من أثر واضح في تكوين ثقافته تتابع معه منذ الصغر إلى أن اعتلّ ومات.

المطلب الأول: أسرته

أما البيت السُّبْكِيّ، فقد كان بيت علم وورع، وزهد وتقوى، اعتنى بتربية أبنائه ورعايتهم، وحرص على تعليمهم؛ فهذا ابن السُّبْكِيّ ((قد حظي بعناية جدّه عبد الكافي، فأحضره وهو في الثّالثة من عمره وأسمعه عدّة أجزاء حديثيّة))[1].

ولا أستبق الحديث عن أثر تقيّ الدّين والد ابن السُّبْكِيّ، إلا أن كثيرا من العلماء((أرسلوا بإجازاتهم للتاج السُّبْكِيّ حبّا وكرامة لوالده الإمام الجليل، وتوسّما بالابن النّجابة والصّلاح))[2].

فأجازه من الشّام الشّيخ برهان الدّين بن الفركاح[3]، والشّيخ شهاب الدّين أبو العبّاس أحمد ابن عبد الله[4]، والشّيخ نجم الدّين أبو الحسن عليّ بن محمّد بن عمر[5]، والشّيخ ابن الخَيَميّ

---

(١) ابن السُّبْكِيّ، معجم الشيوخ، تخريج ابن سعد المقدسي، تحقيق بشار معروف وراتد العنبكي ومصطفى الأعظمي، بيروت – لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م، ص٩.

(٢) المصدر السابق، ص١٠.

(٣) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٩، ص٣١٣، وابن الفركاح هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن سِباع الفزاري(ت٧٢٩هـ)،انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص١٤٦، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٣٥،وابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص٨٨.

(٤) انظر ابن السُّبْكِيّ، معجم الشيوخ، ص٧١، وشهاب الدين أبو العباس هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن منصور المقدسي(ت٧٣٠هـ)، انظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص١٩١.

(٥) ابن السبكي، معجم الشيوخ ، ص٣٠٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

محمّد بن محمود السّلَمي[1]، والشّيخة صفيّة بنت أحمد بن أحمد بن عبيد الله[2]، والشّيخة نارنج ابنة عبد الله الرّوميّة[3]، ومن القدس الشّريف أجازه الشّيخ أحمد بن محمّد بن جبارة المرداويّ[4]، وهؤلاء الشيوخ قد أجازوا ابن السُّبكيّ في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

وامتدح أبو حيّان الأندلسيّ ابن السُّبكيّ بما يشير إلى الاعتراف بفضل والده، وتَوَسُّم الخير والصّلاح به، وهو ابن ثلاث سنين؛ فقال [الطويل]:

ألا إنّ تاجَ الدّين تاجُ مَعارِفٍ وبَدْرُ هُدى تُجلَى به ظُلَمُ الدّهْرِ

سَليلُ إمامٍ قَلَّ في النّاسِ مِثْلُهُ فَضائلُه تَرْبُو على الزُّهْرِ والزُّهْرِ[5]

أمّا الإمام تقيّ الدّين عليّ بن عبد الكافي والد ابن السُّبكيّ، فكان له الأثر الواضح في تربية ولده، والحرص على تعليمه، وتثقيفه على أيدي نخبة من العلماء الذين يرتضيهم، ولم يكتفِ الإمام تقيّ الدّين بتوجيه ولده لملازمة العلماء، وحضور مجالس العلم، بل أسمعه وحاوره، واختبره في تحقيق بعض المسائل العلميّة[6]، وهو يتابع تحصيل ولده، ويوجّهه، ويصوّبه، حتى

---

(١) ابن السبكي، معجم الشيوخ، ص٤٦٢.

(٢) المصدر السابق، ص٥٩٠.

(٣) المصدر السابق، ص٦٢٨.

(٤) المصدر السابق، ص١٣٢، والمرداوي نسبة إلى مردة من قرى نابلس، وقال الذهبي: المقدسي، نسبة إلى القدس لكونها أشهر، انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥١، ص٢١٤.

(٥) ورد هذان البيتان ضمن ترجمة أبي حيان الأندلسي، انظر: ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج٩، ص٢٨٧، ووردا في تكملة ديوان أبي حيان نقلا عن الطّبقات، انظر: ديوان أبي حيان الأندلسي، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، بغداد – العراق، مطبعة العاني، ط١، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م، ص٤٤٩.

(٦) قال ابن السُّبكيّ ((وكتب إلي وقد جمع لي بين نيابته في الحكم وتوقيع الدّست وكانت قد وردت عليه فتيا في لعب الشطرنج، أجبنا أيها الإمام أحلال هو أم حرام؟ ونحن قد عرفنا مذهب الشّافعيّ ولكنّا نريد أن نعرف رأيك واجتهادك، فألقاها إلي وقال: اكتب عليها مبسوطا مستدلا ثم اعرضها، فكتبت كتابة مطولة جامعة للدلائل، ونصرت مذهب الشّافعيّ)) ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج١٠، ص١٩٤، وهذه تجربة وامتحان ليطّلع الأب على المستوى الذي بلغه ولده في طلب العلم من ناحية، وللوقوف على كيفية رده، وإجابته في حل المسائل،

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

قال ابن السُّبكيّ: ((وبحثنا مع الشّيخ الإمام بما لا نطيل بإعادته، فرحمه الله، وجزاه عنّا خيراً، فهو الذي فتح لنا باب مجادلته بفتح مغلق أذهاننا))[1].

بيّن ابن السُّبكيّ عناية والده به، وتأكيده له على طلب العلم من بعض الشّيوخ الكبار لأهميّتهم من وجهة نظر الوالد، ولعظيم الفائدة العلميّة التي يتحصّلها منهم، كالإمام المزّيّ، والإمام الذّهبيّ، وإن كان والده يفاضل بينهما، فقال في ترجمة الإمام المزّيّ: ((وكان الوالد يحب أن ألازم المزّيّ أكثر من الذّهبيّ؛ لعظمة المزّيّ عنده، وكنت إذا جئت غالباً من عند شيخ يقول: هات ما استفدت، ما سمعت، فأحكي له مجلسي معه... وأما إذا جئت من عند المزّيّ، فيقول: جئت من عند الشّيخ، ويفصح بلفظ الشّيخ، ويرفع بها صوته، وأنا جازم بأنه إنّما كان يفعل ذلك ليثبّت في قلبي عظمته، ويحثّني على ملازمته))[2].

وقال: ((كنّا نطالع في ليلة الشّتاء سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة، أو أربع وأربعين بدار الحديث الأشرفيّة " الرّافعيّ"، أنا والغزّيّ وتاج الدّين المراكشيّ في غالب الليل، ويخرج الوالد في بعض الأحايين، ويجلس معنا، فيسمع قراءتي تارةً، وقراءته أخرى))[3]، وفي هذا دلالة على المتابعة الحثيثة من قبل والده، حتى وإن كان الولد في مجلس علم مع أصدقائه.

وتتّخذ عناية والده به أشكالا وصوراً متعدّدة ((لقد قال له مرّةً بعض الطلبة بحضوري: حكى ابن الرّفعة عن مُجلّي[4] وجهين في الطلاق، في قول القائل بعد يمينه: إن شاء الله تعالى،

وطريقة عرضه لها من ناحية أخرى.

(١) ابن السُّبكيّ، الأشباه والنظائر، ج٢، ص٨٠.

(٢) ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج١٠، ص٣٩٨- ٣٩٩.

(٣) المصدر السابق، ج٩، ص١٥٦.

(٤) هو نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن صارم بن الرفعة،(ت٧١٠هـ)، فقيه شافعي، من تصانيفه "المطلب في شرح الوسيط" و"الكفاية في شرح التنبيه"، انظر ترجمته في: ابن السبكي، الطبقات الكبرى،

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

هل هو رافع لليمين؟ فكأنها لم توجَد، أو نقول إنها انعقدت على شرط؟ فقلت أنا: هذا في الرّافعيّ[1]، أيُّ حاجةٍ إلى نقله عن ابن الرّفعة عن مُجَلّي؟ فقال لي الشّيخ الإمام: اسكُت، من أين لك؟ هات النَّقْلَ، وانزعج، فقمتُ وأحضرتُ الجزء من الرّافعيّ، وكان ذلك الطالبُ قد قام، فوالله حين أقبلتُ به قبل أن أتكلّم قال: الذي ذكرتَه في أوائل كتاب الأيمان من الرّافعيّ، وأنا أعرف هذا؛ ولكنْ فقيهٌ مسكينٌ، طالبُ علمٍ يريدُ أن يُظهِرَ لي أنه استحضر مسألة غريبة، تريدُ أنت أن تُخْجِلَه، هذا ما هو مَليحٌ!))[2].

وهذا توجيه من والده في حسن التّعامل مع طلبة العلم، وتوقيرهم، والفرح بما عندهم، وتعزيزهم، يهدف إلى تعديل سلوك ولده، وجبر خاطر طالب العلم، ورفع معنوياته.

وألمح في هذا التّوجيه الأخلاقيّ الإعداد المسبق لابن السُّبْكِيّ الذي سيجلس للدرس، وتعليم الناس، فينبغي عليه أن يتحلى بالحلم، وتقدير جهود الآخرين.

وتمتد عناية الإمام تقيّ الدّين بولده حتى تشمل متابعته فيما كان يصنّف ويكتب؛ يقول ابن السُّبْكِيّ: ((وأنشدنا لنفسه، وكتب بهما على الجزء الذي خرّجته في الكلام على حديث المتبايعين بالخيار[المتدارك]:

عبدُ الوهّابِ مُخَرِّجُهُ مِن فَضلِ اللهِ عليّ نَشَا

ج٩، ص٢٤، وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٦٠، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٣٠٣، والسيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص٣٢٠، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص٢٢، ومجلي هو قاضي القضاة أبو المعالي مُجَلّي بن جُمَيْع بن نج المخزموي(ت٥٥٠هـ)، من كبار فقهاء الشافعية، صاحب كتاب "الذخائر"، انظر ترجمته في: الذهبي، سير الأعلام، ج٢٠، ص٣٢٥، وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٢٣٣، وابن السبكي، الطبقات الكبرى، ج٧، ص٢٧٧، والسيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص٤٠٥.

(١) أي في كتاب "فتح العزيز على كتاب الوجيز" لأبي القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي(ت٦٢٣هـ)، والذي شرح فيه كتاب "الوجيز في فروع الفقه" لحجة الإسلام الغزالي.

(٢) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج١٠، ص٢١٩- ٢٢٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يا رَبِّ قِهِ ما يحذَرُهُ واقدُرْ فيه الخيراتِ وَشَا

وكتب بخطّه على ترجمته التي أنشأتها في كتاب "الطّبقات الوسطى"، وقد كانت الطّبقات الوسطى تعجبه، ويضعها غالباً بين يديه ينظر فيها، رأيته كتب بخطّه على ترجمته، وهو عندي الآن ما نصه[المتدارك]:

عبدَ الوهّابِ نظرتَ إلى ورَمٍ بادٍ يَحْكِي سِمَنَا

وشَغافٌ بي يدعوكَ إلى حُسْبانِكَ في حالِي حَسَنَا

يا رَبِّ اغفِرْ لابْنِي فيما قد خَطَّ وقال هَوى وجَنَا))[1].

ولم يُقْدِمْ ابن السُّبْكِيّ على تأليف كتابه الأشباه والنّظائر إلا بعد أن استأذن والده، واستشاره، فكتب جزءا منه، وأطلع عليه والده، فأعجبه[2].

واشتدّ عود ابن السُّبْكِيّ، وغزر علمه حتى أصبح في مقام الشّيخ الذي يُعَرِّفُ والده ببعض المعلومات؛ قال ابن السُّبْكِيّ: ((وقد حكى لي والدي، رحمه الله، عن شيخه الدّمياطيّ هذا، فقلت له: ليس الأمر كذلك، ولم يكن والدي يعرف ترجمة هذا الكرجي[3]، فكتب عني هذا في كتابه "معنى قول الإمام المطلبيّ إذا صحّ الحديث فهو مذهبي"، وقال: قال لي ابني عبد الوهّاب إنه ليس من أصحاب الشّيخ أبي إسحاق ولكن من أصحاب أصحابه، وكان يُدرِّسُ كتابَه، وكان الوالد، رحمه الله، يعتمد ما أقوله، فلذلك يَعْزو إليَّ غالبا في تصانيفه ما كان يسمعه مني، ويقع منه موقع الاستحسان))[4]، وفي هذه القصّة اعتراف من الشّيخ الوالد بجهد الابن التلميذ، وعدم

---

(١) ابن السبكي،الطبقات الكبرى، ج١٠، ص١٩١.

(٢) انظر: ابن السُّبْكِيّ، الأشباه والنظائر، ج١، ص٨.

(٣) هو أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكضرَجي الشافعي(ت٥٣٢هـ)، صاحب كتاب الذرائع في علم الشرائع.

(٤) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٦، ص١٤٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هضمه حقه، وفيها تعزيز ثقةُ الولد بنفسه.

وأختم كلامي عن تقيّ الدّين السُّبكِيّ، وأثره في ثقافة ابنه بما قاله ابن السُّبكِيّ، وفيه من حرص الأب على جلب الكفاءات لتعليم أبنائه؛ يقول ابن السُّبكِيّ: ((وحضر عندنا مرة الشّيخ جمال الدّين المزّيّ الحافظ، رحمه الله، إلى البستان، وكان هناك جماعة من المشايخ ... أحضرهم الوالد لإسماع الأطفال))[1].

ومن أبرز أفراد البيت السُّبكِيّ الذين تأثّر بهم ابن السُّبكِيّ، وأخذ عنهم العلم، أخوه بهاء الدّين أحمد، فقد ذكر ابن السُّبكِيّ أنه أفاد من أخيه، ونقل من فوائده، بل عَدَّ أقواله مقياسا لصحّة ما يستنبطه من أفكار.

وقد أورد ابن السُّبكِيّ كثيرا من النّصوص التي تدلّل على إفادته من أخيه ونقله عنه؛ فها هو يقول في مسألة "قول الرجل لزوجته إنْ علمتِ كذا فأنت طالق": ((ومما حفظته وعلقته من فوائد أخي الإمام المحقق بهاء الدّين أبي حامد شيخنا وبركتنا أطال الله بقاءه أنه ينبغي ألا تطلق بقولها علمت...))[2].

والحديث عن العامل الوراثيّ كعامل يسهم في تكوين الشّخصيّة، حديث قد يعتريه الضّعف؛ لوجود خلاف بين علماء التربية في أهميّة العامل الوراثيّ وتأثيره على الإنسان؛ ففي حين قلّل بعضهم من تأثيره- إذا ما قورن بغيره من العوامل- ذهب آخرون إلى أهميّته في بناء الشّخصيّة[3].

---

(١) ابن السبكي، الطبقات الكبرى، ج١٠، ص٢٠٤.

(٢) ابن السُّبكِيّ، الأشباه والنظائر، ج١، ص٢٧٨، والكلام في مسألة إذا قال لزوجته إن علمت كذا فأنت طالق، وأنظر أيضا: المرجع السابق، ج١، ص٦٨، وج٢، ص٢٣٤، و ص٢٤٤، وص٣٣٦، والطّبقات الكبرى، ج٢، ص١٩٦، و ج١٠، ص١٨١، و ص٢١٦، و ص٢٦٧.

(٣) انظر: الطّحان، مصطفى محمد، التربية ودورها في تشكيل السلوك، بيروت – لبنان، دار المعرفة، ط١، -

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ولا أنسى في هذا الجانب دور الأمّ وفضلها، وإن كانت المصادر لم تذكر شيئا عن والدة ابن السُّبكيّ، إلا أن جدّه لأمّه، الشّيخ برهان الدّين السّنجاريّ(ت ٦٨٦هـ = ١٢٨٧م)[١]، وُصِفَ بأنّ مكارمه جزيلة، وعنده مشاركة في الفقه.

لقد كان لنشوء ابن السُّبكيّ في بيت علم وفضل ودين، الأثر الواضح في تكوين ثقافته، وعزّزها كذلك حرص والده على تعليمه والعناية به، واتّفق له أنّ أباه كان أحد أبرز شيوخه، فاجتمعت له أبوّة الرّوح، وأبوّة الجسد، فاكتملت المحبة، والنّصيحة، والاجتهاد في تعليمه[٢]، ويبقى الطّرف الآخر من معادلة التّعلّم، ألا وهو المتعلّم واستعداده، وهذا ما سأتطرق إليه في المطلب الآتي.

المطلب الثّاني: المواهب الذّاتيّة

لا يتمّ انتفاع الطّالب بالعلم إلا ((بحسب استعداده وقبوله، فمن لا استعداد له لا ينتفع به، ومن له استعداد وأقبل بقلبه عليه، انتفع به بقدر استعداده وقبوله، فإنّ قلب الطّالب كالمرآة، وكلام الشّيخ كالصّورة، فبقدر صِقال المرآة وقابليّتها للصورة ينطبع ويظهر مثالها فيها))[٣].

وقد حبا الله ابن السُّبكيّ الكثير من الصّفات التي جعلته يتميّز عن أقرانه، ولم تكن تلك الصّفات تخفى على أحد، خاصّةً شيوخه الذين تتلمذ عليهم؛ فالمزّيّ شهد له بأنّه في الطّبقة العليا

-

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص١١٨.

(١) انظر ترجمته في: اليونيني، موسى بن محمد (ت٧٢٦هـ)، ذيل مرآة الزمان، حيدر أباد – الهند، دائرة المعارف، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م، ج٢، ص١٢٨- ١٢٩، والذّهبيّ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت – لبنان، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ج١٣، ص٢٠٥- ٢٠٧، وابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج٨، ص١٤٣.

(٢) انظر: ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج١٠، ص٣٠٠.

(٣) ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج١٠، ص٣٠٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من تلاميذه، مع أنّ المزّيّ توفيّ سنة (٧٤٢هـ = ١٣٤١م) وعُمْرُ ابن السُّبْكِيّ عندها خمسة عشر عاماً، ونزل له شيخه الذّهبيّ (ت٧٤٨هـ = ١٣٤٧م) عن مَشْيَخَةِ دار الحديث الظّاهريّة قبل وفاته، ونزل له والده (ت٧٥٦هـ = ١٣٥٥م) عن مَشْيَخَةِ دار الحديث الأشرفيّة، وأذن له ابن النّقيب بالفتيا، حتى قال الصّفديّ: ((وقد شهد له العقل والنّقل بأنه فتيّ السّنّ كهل العلم والحلم والعقل، والله يمتّع الزّمان بفوائده))[1]، فللّه درّه ((فهو إمام العلوم على الأبد، والسّابق للعلياء سبق الجواد إذا استولى على الأمد، والسّيّد الحافظ الذي داره لا دار ميّة بين العلياء والسّند))[2].

ووصفه ابن حجّي بقوله: ((حصّل فنونا من العلم، من الفقه والأصول، وكان ماهرا فيه، والحديث والأدب، وبرع وشارك في العربيّة، وكان له يد في النّظم والنّثر، جيّد البديهة، ذا بلاغة وطلاقة لسان، وجرأة جنان، وذكاء مفرط، وذهن وقّاد))[3].

وقد أثّرت مواهبه، وبرزت في طلبه العلم في الصغر، وبانت في مثابرته، وجدّه، وتفصيل ذلك:

أولاً: طلبه للعلم في الصّغر

يمكن القول إنّ نشأة ابن السُّبْكِيّ في بيت اشتهر بالعلم والورع، ومواهبه الذّاتيّة، قد هيّئا له السّماع من جهابذة عصره في صغره، وهو كثيرا ما يُخبر عن سماعه من شيوخه في سنّ

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٩، ص٣١٥، ترجمة رقم (٢٩٥).

(٢) من كلام الشّيخ برهان الدّين ابن القيراطي يصف ابن السُّبْكِيّ في رسالة طويلة رداً على رسالة ابن السُّبْكِيّ له، الطّبقات الكبرى، ج٩، ص٣٥٤، وفي هذا تضمين من قول النابغة الذبياني، حيث قال:"إلاّ لِمِثْلِكَ أوْ مَنْ أنتَ سابِقُهُ سبقَ الجواد إذا استولى على الأمدِ"، وقال أيضا: "يا دارَ مَيّةَ بالعَلْيَاءِ فالسَّنَدِ أقْوَتْ وطالَ عليها سالفُ الأبَدِ"، انظر: ديوان النابغة الذبياني، ص١٨، وص٢٠.

(٣) نقل ذلك: ابن قاضي شهبة، طبقات الشّافعيّة، ج٣، ص١٤٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

مبكّرة؛ كحضوره وسماعه في مجلس أبي الحسن بن قريش المخزوميّ في سنّ الرّابعة[1]، وحضوره وسماعه مجلس صالح بن مختار الأشنويّ في الخامسة[2]، وله حضور وسماع في سنّ الثّالثة[3]، وحصل على إجازات عديدة ولمّا يتجاوز السّنتين من عمره[4]، وكان من آثار طلبه للعلم في سنّ مبكّرة:

أولاً: ظفره بأسانيد عالية، وسماعه من شيوخ كبار؛ كسماعه من عبد الغفّار بن محمّد بن عبد الكافي السّعديّ (ت٧٣٢هـ = ١٣٣١م)، ومحمّد بن إبراهيم بن جماعة (ت ٧٣٣هـ = ١٣٣٢م)، ومحمّد بن عثمان بن أبي بكر التّوزريّ (ت ٧٣٤هـ = ١٣٣٣م).

وكتاب الطّبقات الكبرى له حافل بتلك الأسانيد، التي وصفها بالأسانيد العالية التي وقعت له[5]، ولأهميّة الإسناد العالي نجد أنّ السّخاويّ تحسّر على شيخه ابن حجر، حين لم يطلب الحديث إلا بعد أن بلغ سبع عشرة سنة، فقال: ((وفتر عزمه عن الاشتغال من أجل أنّه لم يكن له من يحثّه على ذلك، فلم يشتغل إلا بعد استكمال سبع عشرة سنة ... ولو وجد من يعتني به في صغره لأدرك خلقا ممن أخذ عن أصحابهم))[6]، وهذه ميزة تحقّقت لابن السُّبكيّ.

---

(١) انظر: ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج١، ص١٥٢، ومعجم الشيوخ، ص١٥٨، ١٨٧، ٤٢٣، ٦٢٤، وأبو الحسن هو علي بن إسماعيل بن إبراهيم الشيخ العدل نور الدين(ت٧٣٢هـ)، انظر ترجمته في: ابن حجر الدرر الكامنة، ج٣، ص٩١، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص١٠٢.

(٢) ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج١، ص١٠٦، والأشنوي هو صالح بن مختار بن أبي الفوارس(ت٧٣٨هـ)، انظر ترجمته في: ابن رافع، الوفيات، ج١، ص٢٠٤، والصفدي، الوافي بالوفيات، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٣٠٣.

(٣) ابن السبكي، الطبقات الكبرى، ج٩، ص١٤٠.

(٤) انظر: المصدر السابق، ج٩، ص٣١٣، وإن كانت هذه الإجازات للبركة لكنها من طرق تحمل العلم.

(٥) انظر: المصدر السابق، ج٩، ص١٧٠، وص٣٠٩، وص٣٢٤.

(٦) السخاوي، الجواهر والدرر، تحقيق عبد المجيد الزيني، القاهرة – مصر، وزارة الأوقاف، ط٢، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، ج١، ص١٢٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانياً: استحكام ملكة الحفظ لديه ورسوخها؛ ذلك أنّ طلب العلم في الصّغر يساعد على الحفظ لقلّة الشّواغل، وقد أخرج البيهقي عن الحسن قوله:" العلم في الصّغر كالنّقش في الحجر"[1] ، وعن علقمة قال: "ما حفظت وأنا شابّ فكأنّما أقرأه في دفتر"[2]، وقد أورد ابن السُّبكيّ كثيرا من المسائل من حفظه كأثر من آثار طلبه للعلم في الصّغر[3].

ثانياً: جِدّهُ ومثابرته

ظهرت فائدة طلب ابن السُّبكيّ العلم وحضوره مجالس العلماء، والسّماع منهم في تلك السنّ الصّغيرة، وأثمرت متابعته العلماء بهمّة عالية، وصبر متناهٍ، حتّى وصفه ابن حجر بقوله: ((أمعن في طلب الحديث، وكتب الأجزاء والطباق مع ملازمة الفقه والأصول والعربيّة، حتى مهر وهو شابّ))[4]، وقال ابن العماد: ((طلب بنفسه ودأب))[5].

وذكر ابن السُّبكيّ جانبا من طلبه ودأبه؛ فقال: ((وأنا أضرب لك من الأمثلة ما يوضّح الغرض، ويكشف الصّدى عن القلب، وآتيك بصور لم تتهيّأ إلا لمن طوّف متون الفقهيّات، وخاض لججها))[6].

ولم يقنع ابن السُّبكيّ بما قاله شيخه الذّهبيّ وهو يقرأ عليه "طبقات الشّيخ أبي إسحاق"، حينما ورد ذكر الغزّاليّ، فسأل الذّهبيّ عنه ((من هذا الغزّاليّ؟ فقال: هذه زيادة من النّاسخ، فإنّا لا نعرف غزّاليّا غير حجّة الإسلام، وأخيه، ويبعد كل البعد أن يكون ثمّ آخر؛ لأنّ هذه النّسبة

---

(١) أخرجه البيهقي، أحمد بن الحسين بن عليّ أبو بكر(ت٤٥٨هـ)، المدخل إلى السنن الكبرى، تحقيق محمّد ضياء الرحمن الأعظمي، الكويت، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ج١، ص٣٧٥.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص٣٧٦.

(٣) انظر: ابن السُّبكيّ، الإبهاج، ج١، ص٢٠٨- ٢٠٩.

(٤) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٤٢٦.

(٥) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص٢٢١.

(٦) ابن السُّبكيّ، الأشباه والنظائر، ج٢، ص٣٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

غريبة يقلّ الاشتراك فيها))[1]، ويتابع ابن السُّبْكِيّ سرد القصّة، وكيف أنّه وقف على نصوص فيها ذكر للغزّاليّ القديم، وقال: ((... فلمّا وقفت على هذين الأمرين سرّ قلبي، وانشرح صدري، وأيقنت أنّ في أصحابنا غزّاليّا آخر، فطفقت أبحث عنه في التّواريخ، فلا أجده مذكورا، إلى أن وقفت على ما انتقاه ابن الصلاح من كتاب " المُذهَّب في ذكر شيوخ المَذْهَب" للمطّوعيّ[2]،... فازددت فرحا وسرورا، وحمدت الله حمدا كثيرا، وقد وافق هذا الشّيخ حجة الإسلام في النّسبة الغريبة، والكنية، واسم الأب، ثم بلغني أنّه عمّه))[3].

هذا إلى جانب الكمّ الكبير من المصنّفات التي وقف عليها ابن السُّبْكِيّ، فهو حين يترجم لشخص في كتاب الطّبقات الكبرى يذكر مصنّفاته، وما وقف عليه منها[4].

وكان من نتائج هذا الطلب الدؤوب، والصّبر عليه اعتزاز ابن السُّبْكِيّ وثقته بنفسه، والاعتداد برأيه، حتى وصل الأمر به إلى أن اعتبر نفسه مجتهد الدنيا، كما صرّح بذلك، حينما كتب إلى نائب الشّام ورقة قال فيها: ((وأنا اليوم مجتهد الدنيا على الإطلاق، لا يقدر أحد أن يردّ عليّ هذه الكلمة))[5].

---

(١) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٤، ص٨٨.

(٢) هو أبو حفص عمر بن علي المُطَّوِعي، وأظن أن ابن السبكي أخطأ في عزو ذلك للمُطَّوِعي، وإنّما هو للصعلوكي، أبي الطيب سهل بن محمد بن سليمان(ت٤٠٤هـ)، فله كتاب في طبقات الشافعية ويحمل اسم "المذهب في ذكر شيوخ المذهب"، قال عنه ابن السبكي: ((وهو كتاب حسن العبارة، فصيح اللفظ، مليح الإشارة، وأنا لم أقف عليه، ولكن وقفت على منتخب انتخبه منه الإمام أبو عمرو بن الصلاح))، ابن السبكي، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢١٦.

(٣) المصدر السابق، ج٤، ص٨٩- ٩٠.

(٤) قال ابن السُّبْكِيّ في ترجمة الغزالي: ((وسأعقد فصلا لأسماء ما وقفت عليه من تصانيفه)) المصدر السابق، ج٦، ص١٢٦.

(٥) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص٣٢٨، وقد علق السيوطي على هذه العبارة بقوله: ((وهو مقبول فيما قال عن نفسه))، وفي عبارة ابن السبكي ما ينافي تواضع العلماء.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ودلّل ابن السُبكيّ على الاعتداد برأيه، وفكره، في كثير من القضايا التي ضمّنها كتبه، وبرزت لديه في أكثر من مكان، فقال بعد أن تكلم على مسألة تكليف المُكره: ((وهذا تحقيق هائل عليك بعرض كلام الفقهاء والخلافيّين عليه، فإن أباه فادراً ما عداه))[1].

وقال في ترجمة أبي جعفر الطّبريّ: ((أحمد بن صالح: ثقةٌ إمامٌ، ولا التفات إلى كلام من تكلم فيه، ولكنّا ننبّهك هنا على قاعدة في الجرح والتّعديل ضرورية نافعة لا تراها في شيء من كتب الأصول...))[2].

وقال: ((وهذا استنباط لطيف لولا انضمام فهم علم المعاني إلى دقيق العربيّة مع إرشاد الله وتوفيقه لما اطّلعنا عليه))[3].

---

(١) ابن السُبكيّ، منع الموانع، ص١٠١.

(٢) ابن السُبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج٢، ص٨- ٩، ثم ختم هذه القاعدة بقوله: ((ولنختم هذه القاعدة بفائدتين عظيمتين، لا يراهما الناظر في غير كتابنا هذا)) المصدر السابق، ج٢، ص٢١.

(٣) ابن السُبكيّ، الأشباه والنظائر، ج٢، ص٣٧٥، وانظر أيضا مزيدا من النصوص:المصدر السابق، ج٢، ص٩٠، وص٣٤٩، ابن السُبكيّ، منع الموانع، ص٣٦٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الثّاني: البيئة العامّة

للتعرّف على البيئة التي نشأ فيها ابن السُّبْكِيّ، يحسن أن أتحدث عن الأحوال السّياسيّة، والاجتماعيّة، والعلميّة، والثقافيّة في عصر ابن السُّبْكِيّ[1]، وقد ((ولد ونشأ ثم مات في عصر السّلاطين المماليك، وإن شئنا التّحديد قلنا في عصر المماليك البحريّة، والذين امتدّت مدة حكمهم من سنة ٦٤٨ – ٧٨٤هـ = ١٢٥٠– ١٣٨٢م))[2].

المطلب الأوّل: الحالة السّياسيّة

تذكر المصادر التّاريخيّة أنّ دولة المماليك قد قامت على أنقاض الدّولة الأيوبيّة، وورثتها في أملاكها ونفوذها، ونظمها الدّاخليّة[3].

ولم يخل عهد المماليك من فتن داخليّة، وثورات سياسيّة قام بها المماليك أنفسهم فمن ((أشهر ما انفرد به المماليك انقسامهم إلى أحزاب وشيع، لكلّ حزب زعيم ... وهناك صفة عامّة اختصّ بها المماليك؛ وهي عدم عنايتهم بمبدأ الوراثة، إنّه العرف الذي جعل العرش من حق الجميع، فزاد من نشاط الأمراء الطّامعين، الذين انتهجوا الثّورات، والانقلابات للوصول إلى الحكم، مما خلق حالة الفوضى، وعدم الاستقرار، وفتح باب الصّراعات على مصراعيه أمام الأمراء الأقوياء، خاصّة، للوثوب إلى العرش، وقد عانى المجتمع المملوكيّ كثيرا من هذه الظّاهرة))[4].

---

(١) تحدث عن عصر ابن السُّبْكِيّ غير واحد ممن قاموا بتحقيق مؤلفاته، منهم: أحمد الزمزمي ونور الدّين الصغيري في مقدمة تحقيقهما لكتاب الإبهاج في شرح المنهاج، وعليّ معوّض وعادل عبد الموجود في مقدمة تحقيقهما لكتاب رفع الحاجب، والحسن بلعيد في تحقيقه لمعجم شيوخ التاج السُّبْكِيّ.

(٢) مقدمة تحقيق كتاب "رفع الحاجب" لابن السُّبْكِيّ، ج١، ص٢٨.

(٣) انظر: سعيد عاشور، مصر والشّام في عصر الأيوبيين والمماليك، بيروت – لبنان، دار النهضة العربية،١٣٩٣هـ – ١٩٧٢م، ص٣٠٣– ٣٠٥.

(٤) طقوش، محمّد سهيل، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشّام، بيروت – لبنان، دار النفائس، ط١، ١٤١٨هـ –

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

ومع ما امتاز به عصر المماليك من الانقلابات السّياسيّة والعسكريّة، واغتصاب منصب السّلطنة بالقتل أو العزل، إلا أنّه لا ينبغي أنْ نغمط المماليك حقّهم، فلا بدّ ((أنْ نتذكّر أمجاد ذلك العصر، ونضع نصب أعيننا الانتصارات التي حققتها الجيوش المماليكيّة في مختلف الجبهات، وحسب الجيش في عصر سلاطين المماليك أنّه طرد الصليبيّين نهائيا من بلاد الشّام، وأنزل الهزيمة بالتّتار في "عين جالوت"، ووقف بالمرصاد لكل محاولة من جانبهم للعدوان على الشّام، ودمر مملكة أرمينية الصّغرى في قلقيلية، وغزا بلاد النّوبة وأخضع مملكتها، ومن البديهي أن جيشا من الجيوش لا يستطيع تحقيق هذه المكاسب الضّخمة إلا إذا توافر له من الإمكانات وحسن النّظام، ودقّة التّدريب ما ساعده على ذلك))[1].

المطلب الثّاني: الحالة الاجتماعيّة

وصفت الحياة الاجتماعيّة في العصر المملوكي بأنّها حياة نشطة مليئة بالحركة، غلب عليها التّقسيم الطّبقيّ الذي يجعل لكل طبقة تركيبها الخاص[2].

والذي يعنينا في هذا المقام هو إلقاء الضوء على حياة أهل العلم في العصر المملوكي، فقد ((كان السّلطان، وأكابر الأمراء، يبالغون في إجلال القضاة والفقهاء، ويرون أنّ بهم عرفوا دين الإسلام، وفي بركتهم يعيشون، وحَسْبُ أعظَمِهِمْ قَدْرا أن يقبّل يد الفقيه والقاضي))[3].

وقد صورت لنا المصادر التّاريخيّة العلاقة التي ربطت أمراء المماليك بأهل العلم؛ فقد كان الأمير سيف الدّين أرغون النّاصريّ(ت٧٥٠هـ = ١٣٤٩م) كثير المحبّة لأهل العلم، يجتمع بهم

-

١٩٩٧م، ص٥٩٩.

(١) سعيد عاشور، مصر والشّام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص٢٨٧.

(٢) لنظر: المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمّة، بيروت – لبنان، مؤسسة ناصر للثقافة، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م، ص٦٤.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٤٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ويذاكرهم[1]، ومع هذا الاهتمام بالعلماء من قبل السّلاطين، والأمراء المماليك إلا أنّ بعض العلماء تعرّض لمضايقات اختلفت أسبابها، وظروفها؛ كتلك التي أصابت ابن السُّبكِيّ بسبب القضاء.

وقد تحدث غير واحد ممن ترجم لابن السُّبكِيّ عن محنته بسبب القضاء، وعزله منه مرات عدّة[2]، إلا أنّ أسباب تلك المحنة غير معلومة؛ لعدم وضع ابن السُّبكِيّ ترجمة لنفسه، كما أنّ من ترجم له لم يأت على تفصيل هذه المسألة، فأصبح سبب محنته محلّ اجتهاد المؤرخين، فمن قائل أنّ سبب ذلك فساد ماليّ، وقيل لاتهامه بالزندقة، وقيل حسد الحاسدين لما وصل إليه من المكانة والتكريم عند الأمراء، ولعلّ هذا أنسب الأسباب، إذا ما أضفنا إليه اعتداده بنفسه، مما جعل الحاقدين يسعون عند الحكّام لعزله، وقد ورد في رسالة كتبها ابن السُّبكِيّ إلى الصفدي ما يشير إلى ذلك؛ فقال: ((ثمّ لمّا كان قد امتلأ من ماء دمشق بطني، ونادى حوض الآمال قَطْنِي، وَسَئِمتْ نفسي صداع الشّام، وماذا يدري الشّعراء وغيرهم مني، ورأيت هذا الإكرام الذي ملأ عنان السّماء، وذكرت دمشق وما وما، وما أقول وكلّ دمشق ما، قلتُ لمن لامني فيها: خليليّ ما وافِ بعهدي أنتما، ومعاذ الله أنْ ألوم أهل الشّام؛ وقد أحسنوا وأنعموا ... وإنّما ألوم فرقة قلبوا الحقّ، وبدّلوا القرآن فصمّوا وعموا))[3].

ويمكن تلخيص أبرز خصائص الحالة الاجتماعيّة في عصر المماليك بما يأتي:

---

(١) انظر: ابن حبيب حلبي، بدر الدين أبو محمد حسن بن عمر(ت٧٢٦هـ)، تذكرة التنبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة – مصر، دار الكتب، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م، ج٢، ص٢١٢، وانظر مزيدا من أمثلة ذلك: ج٢، ص٢٢٧، وابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢، ص٣٠٦- ٣٠٨، وج٣، ص٣٩- ٤٠، و ابن حجر الدرر الكامنة، ج٢، ص٧٠.

(٢) انظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٢٦.

(٣) ابن السُّبكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج١٠، ص١٨- ١٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١- التّفاوت الواضح بين طبقات المجتمع المختلفة[١].

٢- انتشار بعض الأمراض الاجتماعيّة؛ كالرّشوة، وشرب الخمر، وغير ذلك[٢].

٣- الجدب، والقحط، والجفاف، ونقص السّلع، وغلاء الأسعار[٣].

٤- انتشار الأمراض والأوبئة[٤].

المطلب الثّالث: الحالة العلميّة والثقافيّة

على الرّغم من وجود الضّعف السّياسيّ وعدم الاستقرار في عصر دولة المماليك، إلا أنّ الحركة الثّقافيّة والعلميّة كانت نشطة، وقد كان لبعض سلاطين المماليك اهتمام بالعلوم المختلفة، واعتنوا ببناء المساجد والمدارس، وحبس الأوقاف عليها بما يضمن استمرارها في أداء رسالتها، وكانوا يشجّعون العلماء ويكرمونهم، وإنْ لم يكن لهم باع واسع في المشاركة الفعليّة في الحركة العلميّة كما فعل بنو أيّوب[٥].

وقد نبغ في هذا العصر - نتيجة لذلك - عدد كبير من العلماء؛ منهم:

ابن تيمية(ت٧٢٨هـ=١٣٢٧م)، وابن سيّد النّاس(ت٧٣٤هـ=١٣٣٣م)، والبرزاليّ(ت٧٣٩هـ=١٣٣٨م)،والمزّيّ(ت٧٤٢هـ=١٣٤٢م)، والذّهبيّ(ت٧٤٨هـ=١٣٣٧م)، وابن القيّم(ت٧٥١هـ=١٣٥٠م)، وتقيّ الدّين السُّبكيّ(ت٧٥٦هـ=١٣٥٥م)،

---

(١) انظر تفصيل ذلك فيما حكاه المقريزي، إغاثة الأمة، ص٦٤- ٦٧.

(٢) انظر: المقريزي، السلوك، ج١، ص٢٠١، وج٢، ص١٤.

(٣) انظر: المقريزي، إغاثة الأمة، ص٣٣- ٣٥.

(٤) انظر: المقريزي، السلوك، ج٢، ص١٥٢.

(٥) انظر: عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية في مصر، القاهرة - مصر، دار الفكر العربي، ١٣٨٠هـ - ١٩٤٧م، ص١٤٩- ١٥٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

والعلائـــــــيّ(ت٧٦١هـــــــ=١٣٥٩م)، والزّيلعـــــــيّ(ت٧٦٢هـــــــ=١٣٦٠م)، ومغلطاي(ت٧٦٢هـ=١٣٦٠م)، وابن كثير(ت٧٧٤هـ=١٣٧٢م).

ولا يخفى أثر ازدهار الحالة العلميّة في عصر المماليك؛ فما ((زالت دور الكتب في جميع أنحاء العالم مشحونة بمئات المخطوطات التي ترجع إلى عصر سلاطين المماليك بمصر، والتي تناولت معظم ألوان المعرفة... فإذا أضفنا إلى هذه المخطوطات النّسبة الضّئيلة التي طبعت من تراث العصر المماليكيّ، والكتب التي فقدت ولم نعد نعرف عنها سوى أسمائها وأسماء مؤلّفيها، أدركنا أن مصر شهدت في عصر المماليك نشاطا علميّا فائقا لم تشهد مثله في عصر آخر من تاريخها الوسيط))[1].

ويتلخص سبب ازدهار الحالة العلميّة، والثقافيّة في مصر في عصر المماليك بانتقال الخلافة العبّاسيّة من بغداد إلى القاهرة سنة(٦٥٩هـ)[2]، قال السيوطي: ((واعلم أن مصر من حين صارت دار الخلافة، عظم أمرها، وكثرت شعائر الإسلام فيها، وعلت فيها السّنّة، وعفت منها البدعة، وصارت محلّ سكن العلماء، ومحطّ رحال الفضلاء، وهذا سرّ من أسرار الله أودعه في الخلافة النّبويّة، حيثما كانت يكون معها الإيمان والكتاب))[3].

وقد ذكر السيوطي أثرا من آثار انتقال الخلافة إلى القاهرة ألا وهو هجرة العلماء من أقطار العالم الإسلاميّ إلى مصر؛ فقد أدّى الغزو المغوليّ للعراق وبلاد الشّام إلى انتقال كثير من العلماء إلى مصر، وفي الوقت نفسه كانت بلاد الأندلس تتفاقم فيها الفتن مما جعل الكثير من علمائها يهجرونها متّجهين إلى مصر؛ فمن المشرق عمر بن أحمد بن العديم(ت٦٦٠هـ =

---

(١) سعيد عاشور، مصر والشّام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص٢٧٤- ٢٧٥.

(٢) انظر أسباب انتقال الخلافة العباسية إلى مصر: المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٥٣- ٤٥٧.

(٣) السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٨١- ٨٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٢٦١م)[١]، وأحمد بن زين الدّين المعروف بابن الأستاذ(ت ٦٦٢هـ = ١٢٦٣م)[٢]، وجلال الدّين إبراهيم بن محمّد القلانسيّ(ت ٧٢٢هـ = ١٣٢٢م)[٣].

أمّا من الأندلس، فقد رحل إلى مصر: محمّد بن أحمد القرطبيّ(ت ٦٧١هـ = ١٢٧٢م)، ومحمّد بن عبد الله بن مالك، صاحب الألفيّة(ت٦٧٢هـ = ١٢٧٣م)، وتاج الدّين محمّد بن محمّد ابن عبد المنعم المعروف بابن البازنباريّ(ت ٧٥٦هـ = ١٣٥٥م)[٤].

وقد تمثّلت مظاهر ازدهار الحالة العلميّة والثّقافيّة في عصر المماليك – وإن كانت من جانب آخر تمثل أسباب ازدهارها – في عدّة جوانب:

الأوّل: انتشار دور العلم:

تعدّدت دور العلم في العصر المملوكيّ، وتنوعت حتى شملت الجوامع، والمدارس، والزّوايا، ومنازل الشيوخ، قال السّيوطيّ: ((فلما كانت الدولة التّركيّة[٥] أحدثت عدّة جوامع، فَبُنِيَ في زمن الظّاهر بيبرس جامع الحسينيّة في سنة تسع وستّين، ثم بَنَى النّاصر بن قلاوون الجامع الجديد بمصر في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، وبنى أمراؤه وكتّابه في أيّامه نحو ثلاثين جامعا، وكثرت في هذا القرن وما بعده إلى الآن))[٦].

---

(١) ابن الوردي، تتمة المختصر، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، ج٢، ص٣٠٨.

(٢) السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص٣٣٩.

(٣) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ٥٩.

(٤) انظر: التلمساني، نفح الطيب، ج٢، ص٥ وما بعدها.

(٥) هذه التسمية من السيوطي ترجع إلى أصل المماليك البحرية الذين جلبوا من بلاد القفقاس شمالي البحر الأسود، ومن بلاد القوقاز قرب بحر قزوين، انظر: سعيد عاشور، مصر والشّام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص١٥٣.

(٦) السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٠٧، وقد ذكر المقريزي هذه الجوامع؛ انظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٣، ص١٤٤– ٣٦٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وتكمن أهمّيّة الجوامع في أنّها كانت مشاركة للمؤسّسات العلميّة في تعليم العلوم ونشرها، وخير مثال على ذلك جامع عمرو بن العاص (الجامع العتيق) حيث نقل المقريزيّ عن الواحديّ شهاب الدّين بسنده إلى ابن الصّائغ الحنفيّ ((أنّه أدرك بجامع عمرو بن العاص بمصر، قبل الوباء الكائن في سنة تسع وأربعين وسبعمائة، بضعا وأربعين حلقة لإقراء العلم لا تكاد تبرح منه))[1].

الثّاني: انتشار خزائن الكتب.

اعتنى العلماء والأمراء باقتناء الكتب، وشرائها، وذلك لما للكتاب من أهمّيّة خاصّة في نشر العلم، وكان إنشاء خزائن الكتب مصباحا للمدارس والجوامع، وقد ضمّت هذه الخزائن أعدادا كبيرة من الكتب، قام عليها "خازن الكتب"، وكان من واجبه ((الاحتفاظ بها، وترميم شعثها، وحبكها عند احتياجها للحبك، والضّنّة بها على من ليس من أهلها، وبذلها للمحتاج إليها))[2].

وقد كان في مصر سوق للكتب يقال له "سوق الكتبيّين" قال المقريزي في وصفه: ((هذا السّوق فيما بين الصّاغة والمدرسة الصّالحيّة، أحدث فيما أظنّ بعد سنة سبعمائة))[3].

المطلب الرّابع: موقف ابن السُّبْكِيّ من حالة عصره

لا يخفى أثر البيئة الاجتماعيّة على الإنسان، على اتجاهه ونبوغه، وتكييف حياته ونشاطه، وقد اتخذ تأثر ابن السُّبْكِيّ بحالة عصره السّياسيّة، والاجتماعيّة، والعلميّة صورا عدّة، أوجزها في ما يأتي:

---

(١) المقريزي، المواعظ والإعتبار، ج٣، ص١٧٠.

(٢) ابن السُّبْكِيّ، معيد النعم، ص٨٧- ٨٨.

(٣) المقريزي، المواعظ والإعتبار، ج٢، ص٥٩٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أوّلاً: لعلّ الاضطراب السّياسيّ الذي شهده ابن السُّبكِيّ، والمتمثّل في كثرة مَن عاصرهم من السّلاطين المماليك نتيجة الفتن والاغتيالات والعزل، إلى جانب ذلك المجتمع الطّبقيّ الذي اتّسم به عصر المماليك، وانتشار الأمراض الاجتماعيّة، كان الدافع الرّئيس لابن السُّبكِيّ إلى وضع كتاب استحقّ بسببه أن يوصف بأنه مصلح اجتماعيّ، ألا وهو كتاب "معيد النّعم ومبيد النّقم"، وهو كتاب يعدّ وثيقة من وثائق حقوق الإنسان، إضافة إلى كونه مصدرا يوضّح أخلاقيّات المهن، وهو في مجمله سجلّ للانتهاكات التي عايشها ابن السُّبكِيّ على الصّعيد السّياسيّ، والاجتماعيّ، والثّقافيّ، وحاول تصويبها[1].

وقد بنى كتابه على ذكر ما يحفظ على الإنسان النعمة، ويدفع عنه السوء، ومرجع ذلك قيام كل إنسان بما وجب عليه، وذكر الأعمال والوظائف مع تفصيل ما يطلب في كل عمل ووظيفة، وقد عاب بعض المساوئ في عصره، كتقبيل الأرض بين أيدي الملوك، وتحدث عن قطّاع الطريق، وذوي الفتن والثورات، كالبدو الذين اعتادوا السلب والنهب، ودعا السلطان إلى عقوبتهم شريطة أن يكون الحامل له على ذلك المصلحة لا التشهي[2].

ثانياً: إنّ عصر ابن السُّبكِيّ – مع ما وصف به من الاضطراب السّياسيّ، والانحطاط الاجتماعي – كان عصر ازدهار للعلم والثقافة، تمثّل – في جانب من جوانبه – في ظهور المصنّفات الموسوعيّة في التّاريخ، والأدب، واللغة، وغيرها، مثل كتاب "لسان العرب" لابن منظور، وكتاب "نهاية الأرب في فنون العرب" للنّويريّ، ويعد ابن فضل الله العمريّ من أصحاب الموسوعات بكتابه "مسالك الأبصار"، هذا إلى جانب صلاح الدّين الصّفديّ، وابن

---

(١) بتصرف من كلام صافيناز كاظم المنشور على موقع الحركة المصرية "كفاية".

(٢) انظر: ابن السبكي، معيد النعم، ص٢٠، وص٢٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

شاكر الكتبيّ، والكثير من العلماء الذين وضعوا الكثير من المصنّفات في مختلف الفنون؛ كأبي حيّان الأندلسي، وابن قيّم الجوزيّة.

وقد تمثّل تأثّر ابن السُّبكِيّ بهذه الحالة العلميّة فيما قدّمه للمكتبة الإسلاميّة من مصنّفات عديدة في مختلف الفنون، ويعدّ كتابه الطّبقات بأقسامه الثلاثة من الكتب الموسوعيّة التي شاعت في عصره.

ثالثاً: انتشرت خزائن الكتب في عصر ابن السُّبكِيّ؛ فما من مدرسة إلاّ وفيها خزانة للكتب، ولم تخل المساجد من مكتبات تلبّي حاجة طلبة العلم الذين يدرسون فيها، فاستثمر ابن السُّبكِيّ ذلك؛ فوقف على كثير من الكتب التي قرأها على شيوخه، أو قرئت بحضوره، أو قرأها لنفسه.

رابعاً: تعدّدت المدارس، وقد ولي ابن السُّبكِيّ التّدريس في أغلبها، ولا شكّ أنّ التدريس فيه للمُدَرِّس قبل التلميذ.

خامساً: اعتنى السّلاطين المماليك بالعلماء، وقلّدوهم الكثير من المناصب، ولم يكن ابن السُّبكِيّ بمنأى عن تقلد مثل هذه المناصب؛ فولي القضاء، وتوقيع الدّست.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثّالث: الشّيوخ

يستمد التّلميذ علومه من شيوخه؛ فهم الصّورة الحيّة النّاطقة، وهم القدوة، وعلى أيديهم تتشكّل شخصيّة التّلميذ، وبهم يكمل عقله ((والسّبب في ذلك أنّ البشر يأخذون معارفهم، وأخلاقهم، وما ينتحلون به من المذاهب، والفضائل، تارة علما وتعليما وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، إلا أنّ حصول الملكات عن المباشرة والتّلقين أشدّ استحكاما، وأقوى رسوخا، فعلى قدر كثرة الشّيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها))[1].

ويبيّن الإمام تقيّ الدّين السُّبْكِيّ أهمّيّة دور الشّيخ في تعليم التّلميذ؛ فيقول: ((وإذا وجد الاستعداد والقبول من الطّالب، بقي الانطباع على قدر إلقاء الشّيخ، وهو متقارب أيضا تقاربا ظاهرا في أمرين: أحدهما بحسب زيادة علمه، ونقصه، فكم بين تعليم الشّافعيّ وتعليم الواحد منا، والثّاني بحسب نصح الشّيخ ومحبته للطّالب، وحنوّه عليه حتى يأخذه بكلتا يديه، وكلما أحب الشّيخ الطّالب أقبل عليه بمجامع قلبه، وألقى إليه أفلاذ علمه، وربّاه بصغاره قبل كباره))[2].

وكلّما أكثر التّلميذ من لقاء الشّيوخ مع تعدّد اهتماماتهم ترسّخت ملكته العلميّة، وقد تتلمذ ابن السُّبْكِيّ على جلّة من المشايخ سبق الحديث عن بعضهم[3]، وأثَرُهُم في علمه واضح، وتأثُّرُهُ بهم أوضح، وقد حظي ابن السُّبْكِيّ بعناية شيوخه، وتمثّلت هذه العناية في عدّة مظاهر:

أولها: تحفيز دافع التعلم: الذي يجعل الطّالب يحرص على طلب العلم، ويداوم عليه، وقد ذكر ابن السُّبْكِيّ صورتين من ذلك؛ فقال: ((وكنت أنا كثير الملازمة للذّهبيّ، أمضي إليه في كل يوم مرّتين، بكرة والعصر، وأمّا المزّيّ فما كنت أمضي إليه غير مرّتين في الأسبوع، وكان

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص٦٣٤.

(٢) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج١٠، ص٣٠٠.

(٣) انظر الرسالة، ص١٢- ١٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

سبب ذلك أن الذّهبيّ كان كثير الملاطفة لي، والمحبّة فيّ، بحيث يعرف من عرف حالي معه أنّه لم يكن يحبّ أحدا كمحبته فيّ، وكنت أنا شابّا، فيقع ذلك منّي موقعا عظيماً، وأمّا المزّيّ، فكان رجلا عبوساً مهيباً))[1].

فانظر إلى هذا الحافز النّفسيّ الذي جعل ابن السُّبْكِيّ يمضي إلى الذّهبيّ مرّتين في اليوم لينهل من علمه، ويبني ثقافته، وتأمّل فيما حكاه ابن السُّبْكِيّ عن شيخه الذّهبيّ وهو يشكّل قاعدة مهمّة ينبغي أن توضع أمام مربّي الأجيال، كي يستفيدوا منها في صنع عقول أبناء الأمة.

ولم يكن عهد ابن السُّبْكِيّ مع مثل هذه الحوافز النّفسيّة قد ابتدأ مع شيخه الذّهبيّ، فها هو أبو حيّان الأندلسيّ يمتدح ابن السُّبْكِيّ وهو ابن ثلاث سنين؛ فيقول[2][الطويل]:

ألا إنّ تاجَ الدّين تاجُ معارفٍ وبدرُ هدىً تُجلى بهِ ظُلَمُ الدّهرِ

سليلُ إمامٍ قلّ في الناسِ مثلُهُ فضائلُه تربو على الزُّهرِ والزّهرِ

وهذه السّنّ – التي كان عليها ابن السُّبْكِيّ لمّا مدحه أبو حيّان الأندلسيّ– تجعل صاحبها يعي قيمة هذا المدح، وقد شكّلت عند ابن السُّبْكِيّ حافزاً على طلب العلم، وحضور مجالس أبي حيّان؛ فلما توجّه إلى القاهرة في سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة جلس إليه وقرأ عليه[3].

وثانيها: تنوّع أساليب التّعليم؛ فإن أسلوب المدرّس له أثر مهمّ في العمليّة التّعليميّة، وتنويع أساليب التّعليم لا يقل أهمّيّة عن ذلك، ويحدثنا ابن السُّبْكِيّ عن تنويع شيوخه في أساليب التّعليم؛ فمن ذلك أسلوب حلّ المشكلات، ويتمثّل في وضع الطلاّب أمام مشكلة، أو سؤال محيّر ممّا يقودهم إلى حثّ الفكر، والبحث عن حلّ المشكلة، وقد اجتمع ابن السُّبْكِيّ يوما مع جماعة من

---

(١) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج١٠، ص٣٩٨– ٣٩٩، وما قاله عن المزي فيقصد به أنه لا يعرف الهزل.

(٢) نقل هذين البيتين ابن السُّبْكِيّ، انظر: المصدر السابق، ج٩، ص٢٨٧.

(٣) انظر: المصدر السابق ، ج٩، ص٢٧٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أقرانه، وكانوا يشتهون سماع الشّيخ تقيّ الدّين السُّبْكِيّ ((فقال: بسم الله، وفهمت أنّه إنّما وافق على ذلك لمحبته فيّ وفي تعليمي، فقال: أبصروا مسألة فيها أقوال بقَدْرِ عددكم، وينصر كل منكم مقالة يختارها من تلك الأقوال، ويجلس يبحث معي، فقلت أنا: مسألة الحرام، فقال: بسم الله، انصرفوا فليطالع كلّ منكم ويحرّر ما ينصره، فقمنا وأعمل كلّ واحد جهده، ثم عدنا، وقد كاد الليل ينتصف...))[1].

ومن تنوّع أسلوب التّعليم أيضا التّكليف بالبحث والتّحريّ، وقد وردت الفتيا على الشّيخ تقيّ الدّين السُّبْكِيّ، في حكم اللعب بالشطرنج، فدفعها إلى ولده ((وقال: اكتب عليها مبسوطا مستدلا، ثم اعرضها...))[2].

وثالثها: تفعيل أسلوب الحوار؛ فهو من الأساليب التّعليميّة الناجعة، وذلك بما يترتّب عليه من نتائج؛ فالمحاور يسعى إلى توضيح قضيّة قد لا يراها قَبِيلُه، دون التركيز على معرفة المخطئ والمصيب، فهذا متحقّق بالنّتيجة، وقد كان حظّ ابن السُّبْكِيّ في هذا كبيرا؛ فقد جالس والده، وحاوره طويلاً، يقول ابن السُّبْكِيّ: ((... ، وقد جرى بيني وبين الشّيخ الإمام، رحمه الله، بحث طويل في هذا عندما قرأت عليه مسألة "ما إذا أوصى بِعُودٍ من عيدانه"))[3].

ورابعها: تعزيز الثّقة بالنّفس؛ وذلك من خلال موافقة الشّيخ على ما توصّل إليه التّلميذ من نتائج سليمة، وإبداء الإعجاب بها، واعتماد ما يذهب إليه من آراء؛ يقول ابن السُّبْكِيّ: ((وقد وقع

---

(١) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج١٠، ص٢٠٣.

(٢) المصدر السابق، ج١٠، ص١٩٤.

(٣) ابن السُّبْكِيّ، الأشباه والنظائر، ج١، ص٢٥٠، وانظر: المصدر السابق، ج١، ص١٩٠، ابن السُّبْكِيّ، الإبهاج، ج٣، ص٤٩٠، وج٤، ص١٢٥٧، ومسألة "الوصية بعود من عيدانه" تعني من كان له آلات لهو محرمة، وأخرى للبناء على سبيل المثال، فإذا أوصى دون تحديد فهل تمضي الوصية فيهما، أم تمضي فيما هو مباح فقط.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لي في بعض المجالس الاستدلال على صحّة مذهب أبي حنيفة بقوله تعالى ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ وجه الحجّة أنّه لو كان الاستثناء من النّفي إثباتا لكان المرء مكلّفاً بكلّ ما تسعه نفسه، ... ، وكان البحث بين يدي والدي، أيّده الله، فاستحسن ذلك))[1].

وخامسها: ترشيحه لتولّي المناصب؛ فالشّيخ يرى في تلميذه ثمرة جهده، فهو يربّيه بالعلم كما يربّي الأب ابنه، ويودّ له الخير، ويسعى له فيما يصلح شأنه، وقد نال ابن السُّبْكِيّ هذه العناية من شيوخه؛ فسعوا له إلى تولّي المناصب لمّا رأوا علمه واجتهاده، حتى وصل الأمر بهم إلى أن تخلّوا عن مناصبهم لصالحه؛ فهذا الإمام ابن النّقيب يأذن له بالفتيا والتّدريس، ونزل له الإمام الذّهبيّ عن مَشْيَخَة دار الحديث الظّاهريّة، أما الإمام تقيّ الدّين السُّبْكِيّ، فقد سعى له ليستقلّ بمنصب القضاء في الشّام، ونزل له عن مَشْيَخَةِ دار الحديث الأشرفيّة.

ولم يكن هذا الأثر ليقف عند هذا الحدّ، فلما صار لابن السُّبْكِيّ كلمة مسموعة، ورأيٌ يعتمد عند السّلطان، سعى لبعض تلاميذه، ومن يثق بعلمهم لتولّي المناصب، وهو يحاكي في هذا ما فعله شيوخه معه؛ قال ابن السُّبْكِيّ عن موقفه مع الشّيخ صلاح الدّين الصّفديّ: ((وكنت قد ساعدته آخر عمره فَوَلِيَ كتابة الدّست بدمشق، ثم ساعدته فوَلِيَ كتابة السّر بحلب، ثم ساعدته فحضر إلى دمشق على وكالة بيت المال وكتابة الدّست))[2].

---

(١) ابن السبكي، الإبهاج، ج٤، ص١٤٠٧، وانظر مزيدا من الأمثلة: ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٣، ص٢٩٨، ج٤، ص١٥٣، ج٦، ص٢٥٣.

(٢) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج١٠، ص٥- ٦، و((كتّاب الدّست، هم الذين يجلسون مع كاتب السر بمجلس السّلطان بدار العدل في المواكب على ترتيب منازلهم بالقدمة، ويقرأون القصص كما يوقع عليها كاتب السر، وسموا كتّاب الدّست إضافة إلى دست السّلطان؛ وهو مرتبة جلوسه: لجلوسهم للكتابة بين يديه؛ وهؤلاء هم أحق كتّاب ديوان الإنشاء باسم الموقعين، لتوقيعهم جوانب القصص بخلاف غيرهم)) القلقشندي، أحمد بن عليّ بن أحمد الفزاري(ت٨٢١هـ)، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، تحقيق عبد القادر زكّار، دمشق – سوريا، وزارة الثقافة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ج١، ص٥٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقال عن محمّد بن خلف العَزّيّ: ((استنبته في الحكم بدمشق، ونزلتُ له عن تدريس التَّقْوِية[1]، ثم تدريس النَّاصِرِيّة[2]))[3].

(١) إحدى مدارس دمشق، وتنسب إلى الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه، بنيت سنة أربع وسبعين وخمسمائة، انظر: النعيمي، الدارس، ج١، ص١٦٢.

(٢) إحدى مدارس دمشق، بناها الملك الناصر يوسف بن صلاح الدين، وفرغ منها في أواخر سنة ثلاث وخمسين وستمائة، انظر المصدر السابق، ج١، ص٣٥٠.

(٣) المصدر السابق، ج٩، ص١٥٦، وانظر: ابن قاضي شهبة، التاريخ، م٣، ج٢، ص٢٦٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الرّابع: المناصب التي تولاّها

قبل الحديث عن المناصب التي تولاّها ابن السُّبْكِيّ، وكيف أثّرت في تكوين ثقافته، لا بدّ من التّنبيه على أمر مهمّ، ألا وهو أنّ ابن السُّبْكِيّ لم يكن يحرص على تولّي المناصب، أو يسعى لنيلها، وإنّما كانت المناصب تفد إليه بتزكية شيوخه، اعترافا منهم بفضله وعلمه وأهليته، وقد أورد ابن السُّبْكِيّ نصوصا تدلّ على تزكية شيوخه له وهو في سنّ صغيرة.

هذه المكانة العلميّة التي وصل إليها ابن السُّبْكِيّ باعتراف شيوخه، وشهادتهم له، هي التي جعلته مرشّحا لكثير من المناصب، حتى قال ابن كثير: ((حصل له من المناصب، والرّياسة ما لم يحصل لأحد قبله، وانتهت إليه الرّياسة بالشّام))[1].

ويحسن هنا تقسيم المناصب التي تولاّها ابن السُّبْكِيّ والحديث عنها ضمن المطالب الآتية:

المطلب الأوّل: المناصب الإداريّة

تولّى ابن السُّبْكِيّ العديد من المناصب الإداريّة، وهذه المناصب هي:

١- توقيع الدّست: وقد تولّى توقيع الدّست بالشّام بين يدي الأمير علاء الدّين أمير عليّ بن عليّ الماردينيّ نائب الشّام سنة (٧٥٤هـ = ١٣٥٣م)[2].

٢- ناب عن والده في قضاء الشّام سنة(٧٥٥هـ = ١٣٥٤م)[3].

٣- استقلّ بالقضاء بسؤال والده سنة(٧٥٦هـ = ١٣٥٥م)[4].

---

(١) ابن قاضي شهبة، طبقات الشّافعيّة، ج٣، ص١٤٢، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٤٢٨.

(٢) انظر: ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج١٠، ص١٩٢- ١٩٣، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٤٢٦،

(٣) انظر: ابن قاضي شهبة، طبقات الشّافعيّة، ج٣، ص١٤١، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ٤٢٦.

(٤) انظر: ابن قاضي شهبة، طبقات الشّافعيّة، ج٣، ص١٤١، وابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ٤٢٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٤- أعيد إلى القضاء في أواخر رمضان سنة(٧٥٩هـ - ١٣٥٧م)، وكان قد عزل في شعبان من السّنة نفسها[١].

٥- عيّن على وظائف أخيه بهاء الدّين أحمد في مصر سنة(٧٦٣هـ - ١٣٦١م)، ومنها تدريس الشّيخونيّة[٢].

٦- تولّى قضاء دمشق سنة(٧٦٤هـ = ١٣٦٢م)، ثم عزل سنة(٧٦٩هـ = ١٣٦٧م)[٣].

٧- تولّى قضاء دمشق سنة(٧٧٠هـ = ١٣٦٨م)، وبقي فيه إلى أن مات[٤].

المطلب الثّاني: المناصب التّعليميّة

١- أذن له ابن النّقيب بالفتيا قبل سنة (٧٤٥هـ - ١٣٤٤م)[٥].

٢- درّس بالتّقويّة سنة(٧٤٤هـ = ١٣٤٣م)[٦].

٣- درّس بالمسروريّة سنة (٧٥١هـ = ١٣٥٠م)[٧].

٤- جلس عند الرخامة التي بالجامع الأمويّ للاشتغال بالعلم سنة (٧٥١هـ - ١٣٥٠م)[٨].

٥- درّس بالدماغيّة[٩]، والعذراويّة[١٠]، والعزيزيّة[١] سنة(٧٥٥هـ - ١٣٥٤م)[٢].

---

(١) انظر: المقريزي، السلوك، ج٢، ص٢٣٩، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص٢٠٣.

(٢) انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٢٢، وص٢٢٦.

(٣) انظر: المقريزي، السلوك، ج٢، ٢٣٩، وص٢٦٤.

(٤) انظر: المصدر السابق، ج٢، ص٢٦٧.

(٥) انظر: ابن قاضي شهبة، طبقات الشّافعيّة، ج٣، ص١٤٠.

(٦) انظر: النّعيميّ، الدّارس، ج١، ص٢٢٣.

(٧) أنشأها شمس الدين الخواص مسرور، وإليه تنسب، انظر: المصدر السابق، ج١، ص٤٥٩.

(٨) انظر: ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج١٠، ص١٩٢، وهي في المسجد الأموي يجلس إليها لإلقاء دروس العلم، وقيل إن أول من جلس بجانبها ابن عساكر.

(٩) من المدارس المشتركة بين الحنفية والشافعية، أنشأتها زوجة شجاع الدين الدّماغ سنة(٦٣٨هـ)، انظر: النعيمي، الدارس، ج١، ص٢٣٦.

(١٠) وهي وقف على الشافعية والحنفية، أنشأتها الستّ عذراء بنت أخي صلاح الدين سنة(٥٨٠هـ)، انظر -

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٦- درّس بالقَيمَرِيّة سنة (٧٥٦هـ = ١٣٥٥م)[٣].

٧- درّس بالشّاميّة البرانيّة سنة(٧٥٩هـ = ١٣٥٧م)[٤].

٨- درّس بالأمينيّة، وتولّى مشيختها سنة(٧٦٣هـ = ١٣٦١م)[٥].

٩- درّس بالغزاليّة[٦]، والناصريّة سنة (٧٦٤هـ =١٣٦٢م)[٧].

١٠- نزل له الذّهبيّ عن مشيخة دار الحديث الظّاهريّة قبل وفاته[٨].

١١- نزل له والده عن مشيخة دار الحديث الأشرفيّة سنة (٧٥٦هـ = ١٣٥٥م)[٩].

١٢- تولّى الخطابة في الجامع الأمويّ سنة (٧٦٤هـ = ١٣٦٢م)[١٠].

-

المصدر السابق، ج١، ص٣٧٣.

(١) بناها الملك العزيز عثمان سنة(٥٩٢هـ)، انظر المصدر السابق، ج١، ص٣٨٢.

(٢) انظر: النّعيميّ، الدّارس، ج١، ص٢٤٠، وص٣٨.

(٣) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٢٥٢، أنشأها ناصر الدين الحسين بن علي سنة(٦٦٥هـ)، والقيمري لقب له يعني مقدم الجيوش، انظر: النّعيميّ، الدّارس، ج١، ص٣٣٥.

(٤) أنشأتها ستّ الشام ابنة نجم الدين أيوب، وكان أول تدريسه بها سنة(٧٤٥هـ) بعد وفاة ابن النقيب، ثم تولاّها والده تقيّ الدّين، انظر: أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي الأيوبي (ت٧٣٢هـ)، المختصر في أخبار البشر، القاهرة – مصر، المطبعة الحسينية المصرية، ١٣٢٤هـ – ١٩٠٧م، ج٢، ص٥٨، والنعيمي، الدارس، ج١، ص٢٧٧.

(٥) انظر ابن السُّبكيّ، الأشباه والنظائر، ج٢، ٣٤٩، وهي أول مدرسة بنيت للشافعية، بناها أتابك العساكر وكان يقال له أمين الدولة سنة(٥٣٠هـ)، انظر: النّعيميّ، الدّارس، ج١، ١٣٢.

(٦) وهي زاوية في الجامع الأموي تنسب للغزالي وفيها يدرس كتابه، انظر النعيمي، الدارس، ج١، ص٣١٣.

(٧) انظر: النّعيميّ، الدّارس، ج١، ص٣٨.

(٨) وقد بناها الملك الظاهر غازي بن الملك الناصر صلاح الدين سنة(٦١٣هـ)، انظر: النعيمي، الدارس، ج١، ص.

(٩) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ٢٥٢، والمدرسة الأشرفية كانت دارا لإحدى الأمراء فاشتراها الملك الأشرف بن مظفر الدين، وجعلها دارا للحديث، انظر النعيمي، الدارس، ج١، ص١٩.

(١٠) انظر المصدر السابق نفسه.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثّالث: أثر هذه المناصب في تكوين ثقافة ابن السُّبْكِيّ

ربما لا يكون أثر المناصب التّعليميّة، والإداريّة، على ثقافة ابن السُّبْكِيّ، واضحا وضوح غيره من العوامل التي أسهمت في تكوين ثقافة ابن السُّبْكِيّ، إلا أنّني سأتلمّس هذه الآثار فيما كتبه ابن السُّبْكِيّ في كتابه معيد النّعم، حيث أورد فيه أصحاب المناصب، وما يتوجّب عليهم فعله، وما ينبغي أن يكونوا عليه من العلم والأمانة، وغير ذلك.

أولاً: أثر المناصب التّعليميّة:

ذكر ابن السُّبْكِيّ المدرّس في كتابه "معيد النّعم ومبيد النّقم"؛ فقال: ((وحقّ عليه أن يحسن إلقاء الدرس، وتفهيمه للحاضرين، ثم إن كانوا مبتدئين، فلا يلقي عليهم ما لا يناسبهم من المشكلات، بل يدربهم ويأخذهم بالأهون فالأهون، إلى أن ينتهوا إلى درجة التّحقيق، وإن كانوا منتهين، فلا يلقي عليهم الواضحات، بل يدخل بهم في مشكلات الفقه، ويخوض بهم عبابه الزّاخر، ومن أقبح المنكرات مدرّس يحفظ سطرين أو ثلاثة من كتاب، ويجلس يلقيها ثم ينهض، فهذا إن كان لا يقدر إلا على هذا القدر، فهو غير صالح للتّدريس، ولا يحل له تناول معلومه، ... وإن كان يقدر على أكثر منه، ولكنه يسهّل ويتأوّل فهو أيضاً قبيح، فإن هذا يطرّق العوامّ إلى روم هذه المناصب، فقلّ أن يوجد عامّيّ لا يقدر على حفظ سطرين، ولو أن أهل العلم صانوه، وأعطى المدرّسُ منهم التّدريس حقّه، فجلس وألقى جملة صالحة من العلم، وتكلّم عليها كلام محقّق عارف، وسأل وسئل، واعترض وأجاب، وأطال وأطاب، بحيث إذا حضره أحد العوامّ أو المبتدئين أو المتوسّطين، فَهِمَ من نفسه القصور عن الإتيان بمثل ما أتى به))[1] .

---

(١) ابن السُّبْكِيّ، معيد النعم، ص٨٣- ٨٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وتبدو في هذه المقولة بعض واجبات المدرّس، وما ينبغي أن يكون عليه، وإنّ من المستبعد أن ينصّ ابن السُّبكيّ على ذلك دون أن يتمثّله، ويسعى لامتلاك المعرفة التي تميّزه عن الطّالب الذي يجلس أمامه، فلمّا تولّى مَشْيَخَة المدرسة الأمينيّة عزم على عدم الجلوس للدّرس، إلا أنّه رجع عن ذلك لأنّ بعض من لا أهليّة له سعى لتولّي مَشْيَخَة المدرسة، وكاد أن يُقدّم على ابن السُّبكيّ لقربه من الدولة، فرغب ابن السُّبكيّ أن يريه ((كيف يكون التّدريس، وكيف ينبغي لمن يطلب مناصب العلماء أن يكون))[1].

وقال فيمن يلي التّوقيع بأمر السّلطان، أو نائبه ــ وقد ولي توقيع الدّست: ((ومن حقّه ألا يستعمل وحشيّ اللغة، ولا ما لا يفهمه الأكثر من النّاس، لا سيّما إذا كتب إلى من يبعد فهمه لذلك))[2] وقد كان ابن السُّبكيّ ماهرا في العربيّة، ((وأجاد في الخطّ والنّظم والنّثر))[3].

---

(١) ابن السُّبكيّ، الأشباه والنظائر، ج٢، ص٣٤٩.

(٢) ابن السُّبكيّ، معيد النعم، ص٣١.

(٣) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٤٢٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومظاهرها، وفيه:

المبحث الأوّل: الحديث وعلومه.

المبحث الثّاني: علم الفقه وأصوله.

المبحث الثّالث: علم التّاريخ.

المبحث الرّابع: علوم اللغة.

المبحث الخامس: التّصوف والتّزكية.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الفصل الثّاني: ثقافةُ ابن السبكي الموسوعية، معالمها ومظاهرها.

أتقن ابن السبكي علوما كثيرة، ولبيان أثر هذه العلوم على النقد الحديثي عنده لابدّ أولا من الوقوف على هذه العلوم، وبيان المكانة التي وصل إليها ابن السبكي في تلك العلوم، ومن ثمّ بيان أثره فيها، وهذا مقصود هذا الفصل.

المبحث الأوّل: الحديث وعلومه:

العلم بالحديث الشريف من أعظم العلوم الإسلاميّة، وكفى به شرفا أنّه يرتبط بالمصدر الثّاني من مصادر التشريع الإسلامي، ومن شغل نفسه به نال عزّ الدنيا والآخرة، قال الشهاب أحمد المنينيّ: ((إنّ علم الحديث علم رفيع القدر، عظيم الفخر، شريف الذّكر، لا يعتني به إلا كلّ حبر، ولا يحرمه إلا كلّ غمر، ولا تفنى محاسنه على ممر الدهر، لم يزل في القديم والحديث يسمو عزّة وجلالة، وكم عزّ به من كشف الله له عن مخبآت أسراره وجلاله، إذ به يعرف المراد من كلام رب العالمين، ويظهر المقصود من حبله المتّصل المتين، ومنه يدري شمائل من سما ذاتاً ووصفاً واسماً، ويوقف على أسرار بلاغة من شرف الخلائق عرباً وعجماً، وتمتدّ من بركاته للمعتني به موائد الإكرام من ربّ البريّة، فيدرك في الزمن القليل من المولى الجليل المقامات العليّة والرتب السنيّة))[1].

وإذا كان لعلم الحديث هذه المكانة فلا عجب أنْ نرى عناية العلماء به – قديما وحديثا – ومن هؤلاء ابن السبكي.

المطلب الأوّل: مكانة ابن السُّبْكِيّ في علم الحديث:

اعتنى ابن السُّبْكِيّ بعلم الحديث دراية ورواية، ويتضح ذلك من خلال اهتمامه الشديد

---

(١) القاسميّ، محمّد جمال الدّين، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م،، ص٤٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بالأسانيد، وتتبّعه لمصادر الحديث، وإصداره الأحكام على الأسانيد والمتون تصحيحاً وتضعيفاً، فضلاً عن استكثاره من سماع الأحاديث عن العديد من الشيوخ، وبيان ذلك في النقاط الآتية:

أولا: الإكثار من سماع الحديث

مما يشهد لمكانة ابن السُّبكِيّ في علم الحديث، إكثاره من سماع الأحاديث والآثار عن العديد من الشيوخ؛ كما ذكر ابن سعد المقدسيّ: ((فبلغ عدّة الشّيوخ بالسماع والإجازة من الرّجال والنّساء مئة واثنين وسبعين شيخاً، فعدّة الرّجال مئة وثلاثة وخمسون شيخا، وعدّة النّساء تسع عشرة امرأة، فشيوخ السّماع مئة وستّة وثلاثون شيخا، وشيوخ الإجازة ستّة وثلاثون شيخا))[1]، وقد ((أمعن في طلب الحديث، وكتب الأجزاء، والطّباق))[2]، وكان قد قرأ على الإمام المزّيّ، ولازم الإمام الذّهبيّ، وعَدَّ نفسه من جملة المحدّثين؛ حيث قال في ترجمة الإمام الذّهبيّ مبيناً فضله عليه، ومعترفاً بأثره: ((وهو الذي خرّجنا في هذه الصناعة، وأدخلنا في عداد الجماعة))[3].

ثانيا: شهادة العلماء له بالعلم في الحديث

للوقوف على مكانة ابن السُّبكِيّ في علم الحديث لا بُدّ من الرجوع إلى موقف العلماء منه، وهل أدرجوه في عداد المحدّثين؟

ذكر لنا ابن السُّبكِيّ مكانته عند شيخه المزّيّ، فقال: ((... أمرهم أن يكتبوا اسمي في الطبقة العليا، فبلغ ذلك الوالد، فانزعج، وقال: خرجنا من الجدّ إلى اللعب، لا والله، عبد الوهاب

---

(١) ابن سعد المقدسي، معجم شيوخ التاج السُّبكِيّ، ص٢٦.

(٢) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٤٢٦.

(٣) ابن السُّبكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٩، ص١٠١، وقال أيضا: ((وأنا قد قلت غير مرّة إنّ الذهبي أستاذي، وبه تخرّجت في علم الحديث)) المصدر السابق،ج٣، ص٣٥٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

شابّ، ولا يستحق الأن هذه الطبقة، اكتبوا اسمه مع المبتدئين، فقال له شيخنا الذّهبيّ: والله هو فوق هذه الدرجة، وهو محدّث جيد، هذه عبارة الذّهبيّ، فضحك الوالد وقال: يكون مع المتوسّطين))[1].

هذا النص يوضح جانبا من مكانة ابن السُّبكِيّ، وكيف أن المزّيّ شهد له بأنه في الطبقة العليا من المحدّثين، وتابعه على ذلك الإمام الذّهبيّ، ولهذا فإن الذّهبيّ قد نزل لابن السُّبكِيّ عن مشيخة دار الحديث الظّاهريّة، وأدرجه في المعجم المختصّ بالمحدّثين، وهي شهادة من إمامين معتبرين في علم الحديث.

وتشير النصوص التي أوردها ابن السُّبكِيّ إلى أنّ والده تقيّ الدّين، كان يمانع من تَولّيه مشيخة دار الحديث، أو أن يُكتب في الطبقة العليا من المحدّثين، لا لشيء إلا لصغر سنّه، فلما نزل له الإمام الذّهبيّ عن مشيخة دار الحديث الظّاهريّة، لم يمض النزول، وقال له: ((والله يا بنيّ أعرف أنك مستحقّها، ولكن ثمّ مشايخ هم أولى منك لطعنهم في السّنّ، ثم لما حضرت الذّهبيّ الوفاة، أشهد على نفسه بأنه نزل لي عنها، فوالله لم يمضها لي، وها خطّه عندي، يقول فيه بعد أن ذكر وفاة الذّهبيّ: وقد نزل لولدي عبد الوهّاب عن مشيخة الظّاهريّة، وأنا أعرف استحقاقه، ولكنّ سنّ الشباب منعني أن أمضي النزول له))[2].

فكان المانع عند تقيّ الدّين السُّبكِيّ من تولّي ولده مشيخة دار الحديث صغر سنّه، فلمّا زال المانع نزل له عن مشيخة دار الحديث الأشرفيّة؛ يقول ابن السُّبكِيّ: ((ولمّا نزل لي عن مشيخة دار الحديث الأشرفيّة، واتّفق أنه بعد أشهر حضر درسا عمله الولد تقيّ الدّين أبو حاتم محمّد ابن الأخ شيخنا شيخ الإسلام بهاء الدّين أبي حامد، سلّمهما الله، وكان أشار هو بذلك ليفرح بتدريس

---

(١) ابن السبكي، الطبقات الكبرى، ج١٠، ص٣٩٩.

(٢) المصدر السابق، ج١٠، ص٢٠٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

ولد ولده بحضوره قبل وفاته، قال للجماعة الحاضرين: ما أعلم أحدا يصلح لمشيخة دار الحديث غير ولدي عبد الوهّاب وشخص آخر غائب عن دمشق، وأكثر النّاس لم يفهم الغائب وأنا أعرف أنّه الشّيخ صلاح الدّين العلائيّ شيخ بيت المقدس وحافظه))[1].

وجاء في ردّ الإمام برهان الدّين القيراطيّ على رسالة كتبها إليه ابن السُّبْكِيّ متشوقاً[2] ما يبين مكانته في علم الحديث، يقول الإمام برهان الدّين القيراطيّ في مدح ابن السُّبْكِيّ: ((فللّه درّه حافظا أنسى النّاس إذا رتّل المتن مَن دَرَجَ، ومحدثا تَبَحَّرَ في علم الحديث فَحَدِّثْ عنه ولا حرج، فاق على مشايخ العصر القديم في الحديث، ووصل بأسانيده العالية إلى مدى لا يُوصَلُ إليه بالسير الحثيث، وتَمَسّكَ الطالبُ من أسانيده المتصلة بحبل وثيق، وأسكَرَهُ ما سَمِعَ من حُلو الحديث، فلا كرامة لمرّ العتيق))[3] .

وقال أيضاً: ((فعلمت أنّ هذا المحدّث قد أُرضِعَ بلبان هذا الفنّ وغُذِّي، وتحدث النّاسُ بانفراده فيه، فهو الذي [الخفيف]:

حديثُهُ أو حديثٌ عنهُ يُعْجِبُنِي هذا إذا غابَ أو هذا إذا حضرا

كلاهما حَسَنٌ عندي أُسَرُّ به لكنَّ أحلاهما ما وافق النظرا

فحرس الله سين أسانيده بقاف[4]، وحاء تحويله بحم الأحقاف، فقد أحيا السّنة المحمّديّة حتى أسفر صبحها في هذا العصر، وأورد، إذ هو جوهريّ هذا العلم، صحاحه، ولا ينكر الصّحاح

---

(١) ابن السبكي، الطبقات لكبرى، ج١٠، ص٢٠٩.

(٢) انظر رسالة القيراطي: المصدر السابق، ج٩، ص٣١٤- ٣٣٦.

(٣) المصدر السابق، ج٩، ص٣٥٣.

(٤) يعني سورة (ق)

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لأبي نصر، فهو إمام العلوم على الأبد والسابق للعلياء سبق الجواد إذا استولى على الأمد، والسيد الحافظ الذي داره لا دار مية بين العلياء والسند))[1].

وقال ابن سعد المقدسيّ في تقديمه للمشيخة التي جمعها لابن السُّبكِيّ: ((وكان سيّدنا ومولانا قاضي القضاة تاج الدّين سيّد العلماء الأعلام، جلال الإسلام، حبر الأمّة، قدوة الأئمّة، لسان النّظار، رحلة المحدّثين، حجة المحقّقين، أوحد المجتهدين، عمدة الحفّاظ، علَمُ الرّواية، منتهى الدّراية، ... ممن اجتهد في سماع الحديث ودأب، ونَسَلَ إلى أخذه من كل حَدَب، وقرأ على الأشياخ بنفسه، وطرّز مُلاءة أماليه بعلو سنده في بحثه ودرسه، وملك ثَغرَ الفوائد، وحصّنَهُ بالعوالي، وحاطه بما يروق من محاسن الأمالي[الخفيف]:

جَمَعَ الفقه والأصولَ وقوّى بالحديث الشريف تلك الدلائلْ

قل لمن قد غدا يسامي علاه هكذا هكذا تكون الفضائلْ))[2].

وقد شهد الحافظ ابن حجر لابن السُّبكِيّ في علوّ كعبه في علم الحديث، حينما قال: ((ومن الطّبقات تعرف مكانته في علم الحديث))[3].

ثالثا: تعدد موارده الحديثية

تعددت موارد ابن السُّبكِيّ الحديثيّة – رواية ودراية – في مصنّفاته، وهو أمر يشهد له بضلوعه في علم الحديث؛ وقد وقف مصطفى إسماعيل الأعظميّ على ثمانين موردا من موارد

---

(١) ابن السُّبكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٩، ص٣٥٤.

(٢) ابن سعد المقدسي، معجم شيوخ التاج السُّبكِيّ، ص٢٥- ٢٦.

(٣) نقل هذا النص عن ابن حجر: الفاسي، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني(ت١٣٨٢هـ)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق إحسان عباس، بيروت – لبنان، دار العربي الإسلامي، ط٢، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، ج٢، ص١٠٣٧، ولم أقف عليه في كتب ابن حجر، ولا على من نقله عن ابن حجر غير الكتاني.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ابن السُّبكيّ في أغلبها كتُب وأجزاء في الرّواية[1]، ويعتمد شيخيه الإمام المزّيّ والإمام الذّهبيّ في الرّجال، كما أنّه يكثر النّقل عن الخطيب البغداديّ وابن الصّلاح، وغيرهما.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ ابن السُّبكيّ قد ترك لنا أثرا من آثار علمه بالحديث، يتمثّل في تلك المصنفات المختصّة بعلم الحديث، والقضايا الحديثيّة التي بحثها في مصنفاته غير الحديثيّة.

المطلب الثّاني: أثره في علم الحديث:

عاش ابن السُّبكيّ في عصر استقرّت فيه كثير من العلوم في الكتب، وآل الأمر إلى الاعتماد عليها، وانتهى عصر الرّواية، حتى وصفت بعض العلوم بأنها علوم محترقة، فلا زيادة فيها لمستزيد، ومن هذه العلوم الحديث الشريف وعلومه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تحدّث بعض العلماء على أنّ بنات الأفكار لا تقف عند حدّ؛ لأنّ ((العلوم منح إلهيّة، ومواهب اختصاصيّة، فغير مستبعد أن يدّخر لبعض المتأخّرين ما عسر على كثير من المتقدّمين))[2].

لذا فقد قسموا التّصنيف عدّة أقسام، فقالوا: ((ينبغي ألا يخلو تصنيف من أحد المعاني الثمانية التي تصنف لها العلماء؛ وهي: اختراع معدوم، أو جمع مفترق، أو تكميل ناقص، أو تفصيل مجمل، أو تهذيب مطوّل، أو ترتيب مخلّط، أو تعيين مبهم، أو تبيين خطأ))[3].

وأما أثر ابن السبكي في علم الحديث فأبيّنه في النقاط الآتية:

---

(١) انظر: ابن سعد المقدسي، معجم شيوخ التاج، ص١٨، وجاء في الحاشية أنّ ذلك بناء على دراسة قام بها الباحث مصطفى إسماعيل الأعظمي لنيل شهادة الماجستير في جامعة صدام للعلوم الإسلامية/ بغداد/ ٢٠٠٢م.

(٢) القاسمي، قواعد التحديث، ص٣٨.

(٣) المصدر السابق نفسه، وكان ابن خلدون السابق في ذكر مقاصد التأليف، وعدّ منها سبعة مقاصد ينبغي اعتمادها، انظر: ابن خلدون، المقدمة، ص٣٤٠- ٣٤١، لكن عبارة القاسمي أخصر.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أولا: جمع الآحاديث وتصنيفها

ليس لابن السُبكِيّ تصنيف مستقلّ في مصطلح الحديث وعلومه، إلا أنه تعرّض لهذا الفنّ في مصنّفاته المتنوّعة، وصنّف بعض الأجزاء الحديثية، غير أنّ مصنّفات ابن السُبكِيّ في هذا المجال مفقودة، فلم أستطع الوقوف على أيّ منها، إلا أنّني لن أخلي هذا المطلب من ذكر كتابين من كتبه الحديثيّة، أوّلهما "كتاب الأربعين"، وذلك لشهرة التصنيف في مثل هذه الأجزاء، وثانيهما "جزء في الطّاعون" أعانني على التعريف به ما نقله عنه ابن حجر في كتابه "بذل الماعون في فضل الطّاعون".

أولاً: كتاب الأربعين:

وهو جزء اشتمل على أربعين حديثاً، خرّجها ابن السُبكِيّ أيام شبابه، وامتدحه بسببها محمّد بن عبد اللطيف السُبكِيّ[1].

وقد ثبتت نسبة الكتاب لابن السُبكِيّ، كونه نصّ على جمعه لهذا الكتاب، وقد نسبه لابن السُبكِيّ غير واحد من العلماء[2].

لم يرد عن ابن السُبكِيّ سبب جمعه "كتاب الأربعين" إلا أنني أجزم أنّه ما جمعه إلا اقتداء بمن سلف[3]؛ حيث كانوا يجمعون أربعين حديثاً من أحاديث المصطفى ﷺ في موضوع واحد، أو

---

(١) قال ابن السُبكِيّ: ((ولنشدني لنفسه، وكتبت بها على الأربعين التي خرّجتُها زمن الشباب))، ابن السُبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج٩، ص١٧١.

(٢) انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٩، ص٣١٦، وابن السبكي، الطبقات الكبرى، ج٩، ص١٧١، وابن حجر، بذل الماعون في فضل الطّاعون، تحقيق أحمد عصام الكاتب، الرياض، دار العاصمة، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ص١٤٨، وحاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي(ت١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ج١، ص٨٧٦.

(٣) من العلماء الذين صنفوا أجزاء احتوت على أربعين حديثا، ابن المبارك، والآجري، وأبو نعيم، والمالييني، وغيرهم، والمؤلفات في هذا الفن كثيرة، وقد أفردها بالجمع سهل العود في كتابه "المعين على معرفة كتب

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مواضيع مختلفة، دافعهم إلى ذلك ما يروى في الخبر: "من حَفِظَ على أُمَّتي أربعين حديثًا من أمر دينها بَعَثَهُ الله فقيها، وكنتُ له يومَ القيامةِ شافعا وشهيدا"[1].

وأعتقد أنّ أهمية هذا النوع من التصنيف تكمن في أنها الخطوة الأولى للتصنيف الموضوعي، حيث يجمع أصحابها أربعين حديثا ترتبط مع بعضها بلفظ المتن، أو معناه، أو ببعض صفات السند، وغير ذلك.

ثانياً: جزء في الطّاعون:

أبان الصّفديّ في ترجمة ابن السُّبكِيّ أنه: ((عمل مصنفا صغيرا في الطّاعون))[2]، وأيده ما جاء في "كشف الظنون" عند الحديث عن الطّاعون ومن صنف فيه، فقال حاجي خليفة: ((وصنف فيه أيضاً الشّيخ تاج الدّين السُّبكِيّ جزءا))[3]، وكان أحد مصادر ابن حجر في كتابه "بذل الماعون في فضل الطّاعون"، حيث نقل عنه في مواضع عديدة[4]، ولهذا فإن نسبة هذا الجزء لابن السُّبكِيّ صحيحة.

الأربعين من أحاديث سيد المرسلين" بيروت – لبنان، عالم الكتب للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، أورد فيه ما يزيد عن الخمسمائة كتاب ما بين مطبوع، ومخطوط، ومفقود.

(١) حديث ضعيف، أخرجه البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق محمّد بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، في فضل العلم وشرف مقداره، ج٢، ص٢٧٠، وقال ابن حجر: ((جمعت طرقه في جزء ليس فيها طريق تسلم من علة قادحة))، ابن حجر، التلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير، تحقيق عبد الله هاشم اليماني، المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، ج٣، ص٩٤، ونقل السّخاويّ عن النوويّ اتفاق الحفاظ على ضعفه مع كثرة طرقه، فقال: ((ولكن بكثرة طرقه القاصرة عن درجة الاعتبار بحيث لا يجبر بعضها ببعض يرتقي عن مرتبة المردود المنكر الذي لا يجوز العمل به بحال إلى رتبة الضعيف الذي يجوز العمل به في الفضائل))، السّخاويّ، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٢م، ج١، ص٧٣.

(٢) الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج١٩، ص٣١٦.

(٣) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٨٧٦.

(٤) انظر: ابن حجر، بذل الماعون، ص١٤٨، وص٢٣٩، وص٢٧٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أما سبب تأليف هذا الجزء، فهو ما عايشه ابن السُّبكِيّ في فترة اجتياح الطّاعون لبلاد مصر والشّام في سنة (٧٤٩هـ = ١٣٤٨م)، وهو مظهر من مظاهر تأثر ابن السُّبكِيّ بحالة عصره، فكتب في الطّاعون كتاباً اشتمل على وصف لما أصاب البلاد والعباد[١]، وذكر فيه أحاديث وجّهها، ونبّه على ما قد يقع في تفسيرها من إشكالات[٢]، ولم يخل هذا الكتاب من الصنعة الحديثيّة[٣]، والأحكام الفقهيّة[٤].

ثانيا: مناقشة بعض القضايا الحديثية، وتقعيد قواعد لها

لم تَخل مؤلفات ابن السُّبكِيّ الأخرى من قضايا حديثية مهمّة ناقشها، وقواعد قعّدها، وأحكامٍ بالتصحيح والتضعيف أصدرها، وأخرى في الجرح والتعديل سطرها، موافقاً لغيره تارة، ومخالفاً أخرى[٥].

ومن أبرز هذه القواعد ما ذكره ابن السُّبكِيّ في الطّبقات الكبرى، حيث قال: قاعدة في الجرح والتعديل، ضرورية نافعة لا تراها في شيء من كتب الأصول[١]، تحدث فيها عن الجرح

---

(١) انظر: ابن حجر، بذل الماعون، ص٣٨٣- ٣٨٤.

(٢) قال ابن حجر: ((ذكر القاضي تاج الدين السُّبكِيّ في جزء جمعه في الطّاعون بعد أن ذكر حديث أبي موسى المذكور ما ملخصه: لو ثبت هذا الحديث للزم أن لا يقع الطّاعون في شهر رمضان، لأن الشياطين تصفد فيه وتغلغل، كما ثبت في الصحيح، قال: لكنه وقع الطّاعون فيه... ثم أجاب بأن الحديث ليس فيه أن الشياطين تبطل أعمالها فيه بالكلية... ثم قال: وخطر لي أن يقال إن تصفيد الشياطين إنما هو عما يترتب عليه من ابن آدم إثم؛ من تحسينهم الفجور لابن آدم ليقع هو فيه، وأما ما لا يترتب عليه إثم، بل يثاب المرء عليه، كالطّاعون مثلا، فلا يمنعون منه، كما لا يمنعون مما لا يترتب عليه إثم ولا ثواب كالاحتلام)) المصدر السابق، ص١٤٨.

(٣) قال ابن حجر: ((وقد قال الزركشي في الجزء الذي جمعه في الطّاعون تبعا لتاج الدين السُّبكِيّ، نقلا عن القرطبي في المفهم: لا يصح ندم عمر ورجوعه، وكيف يندم على فعل ما أمر به النبي ﷺ ، ويرجع عنه، ويستغفر منه، قلت: أقر التاج هذا، وأما الزركشي فردّه، وقال: هذا إسناد صحيح، قلت وإنّي لأتعجب من القرطبي، كيف يردّ الأخبار القوية بمثل هذا، مع إمكان الجمع)) المصدر السابق، ص٢٨٥-٢٨٦.

(٤) انظر: المصدر السابق، ص٣٣٥، وص٣٤١.

(٥) سيأتي تفصيل ذلك في المبحث الأول من الفصل الثالث.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بين الأقران، وبين مختلفي المذهب الكلامي، أو ما كان الدافع للجرح فيها مجرد التعصب والهوى، ومما قرره في هذه القاعدة قوله: ((بل الصواب عندنا أن من ثبتت إمامته وعدالته، وكثر مادحوه ومزكّوه، وندر جارحه، وكانت هناك قرينة دالّة على سبب جرحه، من تعصب مذهبيّ أو غيره، فإنّا لا نلتفت إلى الجرح فيه، ونعمل فيه بالعدالة))[٢].

وقد استند ابن السُبكِيّ في هذه القاعدة إلى أصلين عنده؛ فقال: ((ومعنا أصلان نستصحبهما إلى أن نتيقّن خلافهما: أصل عدالة الإمام المجروح الذي استقرت عظمته، وأصل الجارح الذي يُثبِت، فلا يلتفت إلى جرحه، ولا نجرحه بجرحه، فاحفظ هذا المكان فإنّه من المهمّات))[٣].

ثم تطرّق إلى مسألة تقديم الجرح على التعديل، وبيّن أنّ العلماء يعنون بذلك حالة تعارض الجرح والتعديل، فيقدّم الجرح لما فيه من زيادة علم، وبيّن صورة التعارض؛ فقال: ((وتعارضهما هو استواء الظّنّ عندهما، لأن هذا شأن المتعارضين، أما إذا لم يقع استواء الظّنّ عندهما فلا تعارض، بل العمل بأقوى الظّنّين من جرح أو تعديل))[٤].

وأتبع ذلك بفائدتين ((عظيمتين لا يراهما الناظر أيضاً في غير كتابنا هذا، إحداهما: أن قولهم لا يُقبل الجرح إلا مفسراً، إنما هو أيضاً في جرح من ثبتت عدالته واستقرّت، فإذا أراد رافع رفعها بالجرح قيل له: ائت ببرهان على هذا. أو فيمن لم يعرف حاله، ولكن ابتدره

---

(١) انظر: ابن السُبكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٢، ص٩- ص٢٢.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٩، وابن السبكي مسبوق في هذا، فقد قال الذهبي:((كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبا به، لا سيّما إذا لاح لك أنّه لعداوة، أو لمذهب، أو لحسد، ما ينجو منه إلا من عصم الله، وما علمت أن عصرا من الأعصار سلِمَ أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين))، الذهبي، ميزان الاعتدال، ج١، ص٢٥١.

(٣) ابن السبكي، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٢٠.

(٤) المصدر السابق نفسه، ومسألة تعارض الجرح والتعديل فيها خلاف بين العلماء، وقد تحدث الخطيب عنها في باب القول في الجرح والتعديل إذا اجتمعا أيهما أولى، انظر: الخطيب، الكفاية، ص١٠٥، وكلام ابن السبكي في صورة التعارض مقبول.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

جارحان ومزكّيان، فيقال إذ ذاك للجارحَين: فسّرا ما رميتماه به. أمّا من ثبت أنّه مجروح فيقبل قول من أطلق جرحه، لجريانه على الأصل المقرّر عندنا، ولا نطالبه بالتفسير، إذ لا حاجة إلى طلبه.

والفائدة الثّانية: أنّا لا نطلب التفسير من كلّ أحد، بل إنّما نطلبه حيث يحتمل الحال شكّاً، إمّا لاختلاف في الاجتهاد، أو لتهمة يسيرة في الجارح، أو نحو ذلك مما لا يوجب سقوط الجارح، ولا ينتهي إلى الاعتبار به على الإطلاق، بل يكون بين بين، أمّا إذا انتفت الظنون واندفعت التّهم، وكان الجارح حبرا من أحبار الأمة مبرأ عن مظانّ التّهمة، أو كان المجروح مشهورا بالضعف، متروكاً بين النقاد، فلا نتلعثم عند جرحه، ولا نحوج الجارح إلى تفسير، بل طلبُ التفسير منه والحالة هذه طلب لغيبة لا حاجة إليها))[1].

ومن المسائل الحديثية التي برزت في مؤلفات ابن السُّبكِيّ، تخريج الحديث، والكلام في إسناده ومتنه، والعناية بمختلف الحديث وغريبه[2].

ثالثا: تخريج أحاديث كتاب "إحياء علوم الدين" التي لا أصل لها

قام ابن السبكي في كتابه "طبقات الشّافعيّة الكبرى" بتخريج أحاديث كتاب "إحياء علوم الدّين" للغزّاليّ؛ فقد وضع فصلا جمع فيه كلّ ما وقع في كتاب الإحياء من الأحاديث التي لم يجد لها إسنادا[3] متابعا تخريجها حسب ورودها في كتاب الإحياء؛ فذكر الكتاب أو الباب الذي ورد فيه الحديث الذي لم يقف له على إسناد، ثم ذكر اسم الصحابي وطرفا من الحديث؛ وقد يذكر في

---

(١) ابن السُّبكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٢، ص٢١- ص٢٢، وقد استل عبد الفتاح أبو غدة قاعدتين من كتاب "طبقات الشافعية الكبرى" لابن السبكي، وحققهما تحت عنوان قاعدة في الجرح والتعديل وقاعدة في المؤرخين، وهو من منشورات دار الوعي، سوريا، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م..

(٢) ستأتي أمثلة ذلك في الفصل الثّالث من الرسالة.

(٣) انظر:المصدر السابق، ج٦، ص٢٨٧- ص٣٨٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بعض الأحيان موضوع الحديث دون إشارة إلى متنه أو مَخْرَجِهِ، وكان هذا منهجه في أغلب ما أورد من أحاديث، إلا أنه في بعض الأحاديث كان ينبّه على زيادة في الحديث لم يقف عليها، أو كلمة استبدلت بأخرى، أو أنّ الحديث موقوف أو مقطوع غير مرفوع، أو أنّ بعضه مرفوع .

وابن السُّبْكِيّ، وإن عقد هذا الفصل للأحاديث التي لم يقف لها على أصل، إلا أنه كان في بعض الأحيان يورد الحديث ويكتفي بما قاله بعض العلماء فيه.

رابعا: نقل العلماء لأقواله

لم يقتصر الحال في أثر ابن السُّبْكِيّ فيمن بعده على ما ألّف من مصنّفات حديثيّة، أو مسائل حديثيّة ناقشها، وإنّما تعدى الأمر إلى الاقتباس من كتبه، ونقل أقواله في علوم المصطلح، والجرح والتعديل، وفقه الحديث ونقده، وأمثلة ذلك:

١- قال السخاوي: ((ألحق ابن السُّبْكِيّ "يحدثني الثقة" من مثل الشّافعيّ دون غيره "حدثني من لا أتهم"، في مطلق القبول لا في المرتبة، وفرّق بينهما الذّهبيّ))[١]، وقال أيضا في معرض نقله لأقوال العلماء في تعارض الوصل والإرسال: ((وفي المسألة قول خامس وهو التساوي قاله السُّبْكِيّ والظاهر أن محل الأقوال فيما لم يظهر فيه ترجيح))[٢].

٢- قال السيوطي: ((تنبيه: من أقسام التدليس ما هو عكس هذا، وهو إعطاء شخص اسم آخر مشهور تشبيهاً، ذكره ابن السُّبْكِيّ في جمع الجوامع)) [٣].

---

(١) السخاوي، فتح المغيث، ج١، ص٣١٣.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص١٧٥

(٣) السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، بيروت – لبنان، دار إحياء السنة النبوية، ط٢، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ج١، ص٢٣١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٣- قال الصنعاني: ((وقال التاج السُّبكِيّ: عدالة كل واحد منهما متيقنة وكذبه مشكوك فيه واليقين لا يرفع بالشك فتساقطا يعني فيقبل الخبر))[١].

٤- قال الكتاني: ((وفي أوائل الطبقات الكبرى للتاج السبكي ما نصه الأحاديث الدالة على أن من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة كثيرة بلغ القدر المشترك منها مبلغ التواتر))[٢].

٥- قال البيروتي: ((خبر "من أصاب مالا من نهاوش أذهبه الله في نهار"، قال السبكي: لا يصح))[٣].

٦- قال ابن حجر: ((وتتبع القاضي تاج الدين السبكي ما وقع في القرآن من ذلك، ونظمه في أبيات ذكرها في شرحه على المختصر))[٤].

ولم يكن الاقتباس عن ابن السُّبكِيّ قديما فحسب؛ بل إنّ الانتفاع بعلومه لا يزال سارياً بين طلاب العلم[٥]؛ لأن العلم بالأخذ منه يكثر، وبالاحتكار يقلّ، وبالكتمان يموت.

---

(١) الصنعاني، محمّد بن إسماعيل بن صلاح بن محمّد(ت١١٨٢هـ)، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، علق عليه ووضع حواشيه صلاح عويضة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ج٢، ص٢٤٦.

(٢) الكتاني، محمّد بن جعفر أبو عبد الله الإدريسي (ت١٣٤١هـ)، نظم المتناثر من الحديث المتواتر، تحقيق عبد الحفيظ حسن، مصر، دار الكتب السلفية، ط٢، ج١، ص١١٦.

(٣) البيروتي، أسنى المطالب، ص٢٦٠.

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ج٨، ص٢٥٢.

(٥) فقد نقل أقواله الألباني، محمد ناصر الدين، إرواء الغليل، بيروت - لبنان، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، وأخرج عبد الفتاح أبو غدة رسالة في الجرح والتعديل مقتبسة من الطبقات الكبرى.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن العلماء الذين أخذوا عن ابن السُّبكيّ أيضا، وتجد أقواله مسطّرة في كتبهم؛ ابن ناصر الدّين[1]، والكنانيّ[2]، والمناويّ[3]، والغزيّ[4]، والعجلونيّ[5]، واللكنويّ[6]، والقاسميّ[7]، والكتّانيّ[8]، ولم تخل كتب الشروح من الأخذ عنه والاستشهاد بأقواله.

---

(١) انظر: ابن ناصر الدّين، ، توضيح المشتبه، ج٤، ص٨٧.

(٢) انظر: ابن عرّاق الكناني، عليّ بن محمّد بن عليّ أبو الحسن(ت٩٦٣هـ)، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف, وعبد الله محمّد الصديق الغماري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٩٩ هـ - ١٩٨٠م، ج١، ص١٥، وص٢٦٦.

(٣) انظر: المناوي، زين الدّين عبد الرؤوف(ت١٠٣١هـ)، اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر، تحقيق المرتضي الزين أحمد، الرياض - السعودية، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج١، ص٢٠٨، وص٣٠٢، ج٢، ص١٤٠- ١٤١، وص٣٥٩، وغيرها، والفتح السماوي، تحقيق أحمد مجتبى، الرياض - السعودية، دار العاصمة، ج٢، ص٤٧٤، وفيض القدير شرح الجامع الصغير، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م، ج١، ص١٥٣، وص٢٤٧، وغيرها، والتيسير بشرح الجامع الصغير، الرياض - السعودية، مكتبة الإمام الشّافعيّ، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج١، ص٢٨٢.

(٤) انظر: الغزي، أحمد بن عبد الكريم بن سعودي العامري(ت١١٤٣هـ)، الجدّ الحثيث في بيان ما ليس بحديث، تحقيق بكر عبد الله أبو زيد، الرياض - السعودية، دار الراية، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م، ج١، ص٢٢٦، وص٢٢٧.

(٥) انظر: العجلوني، إسماعيل بن محمّد (ت١١٦٢هـ)، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، بيروت، مناهل العرفان، ج١، ص٣٦٤، ج٢، ص٢٣٦، وغيرها.

(٦) انظر: اللكنوي، أبو الحسنات محمّد عبد الحي الهندي(١٣٠٤هـ)، الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، حلب - سوريا، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، ص١٠٤، وص٤٢٥، وغيرها.

(٧) انظر: القاسمي، قواعد التحديث، ص١٨٩.

(٨) انظر: الكتاني، نظم المتناثر، ج١، ص١١٦، وص٢١١، وغيرها.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الثّاني: علم الفقه وأصوله

تكمن فائدة علم أصول الفقه في حصول القدرة للعالم به على استخراج الأحكام الفقهيّة من أدلتها التّفصيليّة، على أسس سليمة، ولا يخفى أن الفقه نتيجة مقدّمات العلوم، ((وغاية نهاياتها، ... وهيهات أن يتوصل طالب- وإن جدّ المسير- إليه، أو يتحصل- بعد الإعياء والنصب- عليه، إلا بعد العلم بأصول الفقه، والمعرفة والنهاية فيه، فإنّه صفته، وكيف يفارق الموصوف الصفة))[1]، ولهذا فإنّي جمعت بين الفقه وأصوله، كمظهر من مظاهر ثقافة ابن السُّبْكِيّ، وإنْ كان استقلال كلّ منهما متحققا.

المطلب الأوّل: مكانة ابن السُّبْكِيّ في علم الفقه وأصوله

اعتنى ابن السُّبْكِيّ بالفقه وأصوله عناية كبيرة، منذ أن تربّى على يد والده، وتفقّه على جلّة من الفقهاء حتّى اشتدّ عوده، وصنّف في الأصول والفقه، والقواعد الفقهيّة، حتى يكاد الواصف لا يجانب الصواب إن قال: إن ثقافة ابن السُّبْكِيّ ثقافة فقهيّة، وما ذاك إلاّ لأهمية الفقه عند ابن السُّبْكِيّ حتى إنّه قال فيه – وهو يفاضل بين العلوم: ((فلا مرية أنّ الفقه واسطة عقدها ورابطة حلّها وعقدها، وخالصة الرابح من نقدها، به يعرف الحلال والحرام، ويدين الخواصّ والعوامّ، ويتبيّن مصابيح الهدى من ظلام الضلال وضلال الظلام، قطب الشريعة وأساسها، وقلب الحقيقة الذي إذا صلح صلحت، ورأسها وأهله سراة الأرض الذين لولاهم لفسدت جهّالها، وضلّت أناسها))[2].

وصف ابن السُّبْكِيّ بالفقيه في معظم كتب التراجم التي ترجمت له، والفقيه من عرف الكثير من الأحكام الشرعيّة، أو تهيأ لمعرفتها عن أدلّتها التّفصيليّة، مع استحضار تلك المسائل

---

(١) ابن السُّبْكِيّ، الإبهاج، ج١، ص١٠٦.

(٢) ابن السُّبْكِيّ، الأشباه والنظائر، ج١، ص٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بأدلتها الخاصّة والعامّة[1].

ويشهد لابن السُّبْكِيّ في تبحّره في الفقه وأصوله، ما تركه لنا من ذخيرة فقهيّة وأصوليّة متنوعة، ما بين شرح لكلام سابقيه، وما أودعه خلاصة فكره وبحثه، وما أدّاه إليه استنباطه.

وكان من مبشّرات نبوغه في الفقه وأصوله؛ إجازة ابن النقيب له بالفتيا، وكذلك سؤال والده أن يجيبه عن حكم لعب الشطرنج، فكتب إليه قائلا: ((أجبنا أيها الإمام، أحلال هو أم حرام؟ ونحن قد عرفنا مذهب الشّافعيّ، ولكنّا نريد أن نعرف رأيك واجتهادك))[2].

بلغت عناية ابن السُّبْكِيّ بالفقه ذروتها؛ في كتاب "طبقات الشّافعيّة الكبرى" إذ حشد فيه العديد من مسائل الفقه، بل كان ذلك مقصوده الأعظم من تأليف الكتاب؛ حيث يقول: ((وكلّ هذا وراء مقصودنا الأعظم فيه، ومرادنا الأهم، الذي لا يقوم به سهر الليل ولا يوفّيه، إذ أعظم مقاصدنا أنّا عند الفراغ من ترجمة كلّ رجل، أو في أثنائها ننظر، فإن كان من المشهورين الذين طارت تصانيفهم فملأت الأقطار، ودارت الدنيا ولم تكتف بمصر من الأمصار، نظرنا فإن وجدنا له تصنيفا غريبا، استخرجنا منه فوائد، أو مسائل غريبة، أو وجوها في المذهب واهية، وكتبناها، وإلا فنذكر وجها غريبا ذكر عنه، أو مقالة غريبة ذهب إليها، وشذّ بها عن الأصحاب، وإن كان من المقلّين أعملنا جهدنا في حكاية شيء من ذلك عنه، وربما غلب الفقه على إنسان، ولم نر عنه في الفقه مستغربا، فنقلنا عنه فائدة غير فقهيّة))[3].

وقد امتاز فقه ابن السُّبْكِيّ بالأصالة والتجديد، كمظهر من مظاهر نبوغه فيه، من خلال:

---

(١) انظر: ابن النجار، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي(ت٩٧٢هـ)، شرح الكوكب المنير، تحقيق محمد الزحيلي و نزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط٢،١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م، ج١، ص١٢.

(٢) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج١٠، ص١٩٤.

(٣) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج١، ص٢٠٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أولاً: شرحه، وتعليقه على كتاب "مختصر ابن الحاجب"[1]، وما أتمّه من شرح على "منهاج الوصول إلى علم الأصول" للإمام ناصر الدّين البيضاويّ[2].

ثانياً: التأصيل، وضبط القواعد، المتمثل في كتابيه "جمع الجوامع"[3] و"الأشباه والنظائر"[4].

المطلب الثّاني: أثره في الفقه وأصوله

كان أثر ابن السُّبكِيّ – وما زال – في الفقه وأصوله واضحا جليا، وسأعرض ذلك في النقاط الآتية:

أولا: التصنيف في الفقه وأصوله

صنف ابن السبكي العديد من المصنّفات في الفقه وأصوله؛ ولن أطيل الحديث عن مصنّفاته في علم الأصول، فقد تناولها الباحث أحمد الحسنات في رسالته الموسومة "تاج الدّين السُّبكِيّ

---

(١) قال ابن السُّبكِيّ في مقدمة رفع الحاجب: ((فإن لنا تعليقا على مختصر الإمام أبي عمرو بن الحاجب مبسوطا ومجموعا....أودعناه مباحث كنّا نستعمل الفكر فيها إذا ما الليل جنّ، وذكرنا آراءنا، وناضلنا عليها، وأوضحنا اختياراتنا، ...، وشمّرنا فيه عن ساق الاجتهاد بشهادة النجوم)) ابن السُّبكِيّ، رفع الحاجب، ج١، ص٢٣٠.

(٢) قال ابن السُّبكِيّ معلقا على شروح من سبقه: ((فشروحهم تحتاج إلى من يشرحها وكلماتهم تريد بسطة في العلم والجسم توضحها)) ابن السُّبكِيّ، الإبهاج، ج١، ص١٠٧.

(٣) وهو ((عبارة عن متن مختصر في أصول الفقه والدّين، أراد التاج السُّبكِيّ أن يجمع فيه خلاصة ما توصلت إليه قريحته من آراء ومسائل أصولية))، ابن السُّبكِيّ، جمع الجوامع، ص١٠٢، وقد وصف ابن السُّبكِيّ كتابه بقوله: ((فدونك مختصرا بأنواع المحامد حقيقا، وأصناف المحاسن خليقا)) ابن السُّبكِيّ، جمع الجوامع، ص١٣٣.

(٤) قال السيوطي: ((معرفة نظائر الفروع وأشباهها، وضم المفردات إلى أخواتها وأشكالها، ولعمري إن هذا الفن لا يدرك بالتمني، ولا ينال بسوف ولعل ولو أني، ولا يبلغه إلا من كشف عن ساعد الجدّ وشمر، واعتزل أهله وشد المئزر، وخاض البحار، وخالط العجاج، ولازم الترداد إلى الأبواب في الليل الداج، يدأب في التكرار والمطالعة بكرة وأصيلا، وينصب نفسه للتأليف والتحرير بياتا ومقيلا، ليس له همة إلا معضلة يحلها، أو مستصعبة عزت على القاصرين، فيرتقيّ إليها ويحلها، يرد عليه ويرد وإذا عنله جاهل لا يصد)) السيوطي، الأشباه والنظائر، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٢م، ج١، ص٤، وانظر: مقدمة تحقيق الأشباه والنظائر لابن السُّبكِيّ، ج١، ص١– ٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومنهجه في أُصول الفقه" حيث عقد فصلا عن مؤلفات ابن السُّبْكِيّ في أُصول الفقه، عرّف بها، وتطرق إلى منهج المصنّف فيها، وما امتازت به، وما يؤخذ عليها[1]، أما كتبه الفقهيّة فمن أهمها كتاب "ترشيح التوشيح"[2]، وكتاب "التوشيح"[3].

ثانيا: استعانة أقرانه به

طال تأثير ابن السُّبْكِيّ أقرانه الذين عاصرهم؛ فها هو محمّد بن خلف شمس الدّين الغزيّ، وقد وصفه ابن السُّبْكِيّ بأنه لم يكن في عصره أحفظ منه لفقه الشّافعيّ، ومع ذلك لما صنّف كتابه على الرافعي – "ميدان الفرسان" – سأل ابن السُّبْكِيّ أن يسمّيه له، وكان يقرأ على ابن السُّبْكِيّ غالب ما يكتبه فيه، ويسأله عمّا يُشكل عليه[4].

أمّا الصّفديّ خليل بن أيبك، فقد قال عنه ابن السُّبْكِيّ: ((كانت له همة عالية في التحصيل، فما صنّف كتابا إلا وسألني فيه عما يحتاج إليه من فقه، وحديث، وأصول، ونحو، لا سيّما "أعيان العصر" فأنا أشرت عليه بعمله، ثم استعان بي في أكثره، ولما أخرجت مختصري في الأصلين المسمّى "جمع الجوامع" كتبه بخطّه، وصار يحضر الحلقة وهو يقرأ عليّ، ويَلَذُّ له التقرير، وسمعه كلّه عليّ، وربّما شارك في فهم بعضه))[5].

ولا يختلف الأمر في غير أقران ابن السُّبْكِيّ من تلاميذه، فقد أخذوا بتسطير كتبه في الصدور والسطور، ثم بالشرح والبيان والاختصار؛ فممّن تأثر به وصحبه وتفقّه عليه، عليّ بن أحمد بن أبي بكر الأدَميّ، فقد ((أخذ عنه مصنّفه "جمع الجوامع" تحقيقا، وكذا الكثير من "منع

---

(١) انظر: الحسنات، تاج الدّين السُّبْكِيّ، ص٦٤– ١٣٢.

(٢) انظر: ابن السُّبْكِيّ، الأشباه والنظائر، ج١، ٤١٦، والحسنات، تاج الدّين السُّبْكِيّ، ص٣٧.

(٣) انظر: ابن السُّبْكِيّ، الأشباه والنظائر، ج١، ص٧٩.

(٤) انظر: ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٩، ص١٥٥.

(٥) المصدر السابق، ج١٠، ص٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الموانع"، ومن "التنبيه"، و"المنهاج"، و"التسهيل"، وأذن له في إقراء "جمع الجوامع"، وإنّه لم يأذن لأحد في ذلك قبله))[1].

ثالثا: نقل العلماء لأقواله

امتد تأثير ابن السُّبكِيّ إلى غير عصره – وهو الخلود الذي كان يأمله – فقد تناول العديد من العلماء مصنّفاته بالشرح، والتعقيب، والاختصار؛ كما حصل في كتابه "رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب"[2]، وأما مصنّفه "جمع الجوامع" فقد نال الحظوة؛ فبلغت الشروح الموضوعة له تسعا وثلاثين شرحا، فضلا عن المصنفات التي وضعت على بعض مباحثه، والحواشي والتقريرات الموضوعة على بعض شروحه[3].

واعترافا من العلماء بفضله وعلمه، فإن كتب الفقه زاخرة بالنقل عنه وتسطير أقواله[4].

---

(١) السخاوي، الضوء اللامع، م٣،ج٥، ص١٦٤.

(٢) انظر: الحسنات، الإمام تاج الدّين السُّبكِيّ، ص٨٨– ٨٩.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص١١٤– ١٢٥.

(٤) انظر: الهيتمي، ابن حجر(ت٩٧٣هـ)، الفتاوى الفقهيّة الكبرى، بيروت – لبنان، دار الفكر، ج١، ص١٥٨، وج٢، ص١٥٢، والشربيني، محمّد الخطيب(ت٩٧٧هـ)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، بيروت – لبنان، دار الفكر، ج١، ص١٨٠، والشّافعيّ الصغير، شمس الدّين محمّد بن أبي العباس أحمد بن حمزة الرملي(ت١٠٠٤هـ)، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، بيروت – لبنان، دار الفكر، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، ج١، ص٤٩٠، وج٢، ص٩٨، والجمل، سليمان(ت١٢٠٤هـ)، حاشية الجمل على شرح المنهج (لزكريا الأنصاريّ)، بيروت – لبنان، دار الفكر،١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، ج١، ص١٣٩، وص٢٦٤، والشوكاني، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، بيروت – لبنان، دار الجيل، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م، ج٢، ص١٨٩، وج٤، ص٣٣٤، والبيروتي، محمّد بن درويش بن محمّد الحوت(ت١٢٧٧هـ)، أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م، ص٦٢، وص١٨٩، والدّمياطيّ، أبو بكر ابن السيد محمّد شطا(ت١٣١٠هـ)، حاشية إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدّين، بيروت – لبنان، دار الفكر، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، ج٢، ص٣٥٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رابعا: خدمة المذهب الشافعي

سخّر ابن السُّبكيّ علمه لخدمة الفقه الشّافعيّ؛ فكتب رسالة في حكم اللعب بالشطرنج نصر فيها مذهب الشّافعيّ[1]، وترجم لفقهاء الشّافعيّة، ابتداء بمن جالسوا الإمام الشّافعيّ، وانتهاء بمن توفيّ بعد المئة السابعة للهجرة[2].

وقد بلغ من تأثير ابن السُّبكيّ في تلاميذه أنّه تمكّن من تحويل مذاهب بعضهم الفقهيّة إلى مذهب الشّافعيّ؛ فها هو محمّد بن محمود بن إسحاق كان أول أمره حنفيّ المذهب، فصار شافعيّ المذهب على يد ابن السُّبكيّ[3].

(١) انظر: ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج١٠، ص١٩٤.

(٢) في كتابه طبقات الشّافعيّة الكبرى، وما اختصره منها في كتابيه الطّبقات الوسطى، والطّبقات الصغرى.

(٣) انظر: ابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص٣٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الثّالث: علم التّاريخ

المطلب الأوّل: مكانة ابن السُّبكِيّ في علم التّاريخ

اعتنى ابن السُّبكِيّ بعلم التاريخ، وسير الرجال، وتراجمهم منذ الصغر، وقد نصّ على ذلك؛ فقال: ((فإنّي من قبل أن يكتب لي الشباب خط العِذار، ويستجلي نظرُ تمييزي وجوه البشارة والإنذار، أردّد نظري في أخبار الأخيار، وأترقّب أحوالهم؛ لأحيط بها من إسفار صبح الأسفار... فأطلق عموم النظر من الصغر فيها ناظري، وأعرب عن المبنيّ على السكون في ضمائري، وتلقّف ما صنع السابقون من سحر الكلام، والتقط ما فرّقُوه من درر مُجمّعة على أحسن نظام))[1].

إنّ هذه العناية بسير الرجال وتراجمهم منذ الصغر أهّلته ليكون ناقداً لكتب التراجم والرجال؛ وقد عقد فصلاً تحدّث فيه عن أصحاب الشّافعيّ، الذين تفرقوا في البلاد[2]، ذاكراً ما صُنّف من كتب تؤرخ لتلك البلاد، مبيناً ما لها وما عليها[3].

وتعدّ كتبه في الطّبقات شواهد على سعة اطّلاعه على سير الماضين وأخبارهم، وأحوالهم، وقد سلك في صياغة الترجمة، وعرضها مسلكا واحدا؛ فذكر((تاريخ الميلاد والوفاة ومكانيهما، وأحيانا يتحرّى ذكر اليوم والشهر، كما أنّه يحرص على تحرّي أسماء من يترجم لهم، وكناهم، وألقابهم، ونسبتهم، ولا يهمل أن يذكر من أخذ عنهم صاحب الترجمة العلم، ومن تلمذ لهم، ومن أخذوا عنه أو رووا عنه، ويذكر أيضا المؤلّفات والمصنّفات، ويحلّي الترجمة بمقتطفات من

---

(١) ابن السُّبكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج١، ص٢٠٦.

(٢) انظر:المصدر السابق، ج١، ص٣٢٤- ٣٢٩.

(٣) قال ابن السُّبكِيّ عن تاريخ نيسابور للحاكم: ((وهو عندي سيد التواريخ))، وقال في وصف ذيل ابن النجار على تاريخ بغداد للخطيب: ((على أنه أخلّ بذكر جماعة كثيرين))، المصدر السابق، ج١، ص٣٢٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أشعاره، وآثاره النثريّة إنْ كان أديبا ناثرا، وقد يتعرّض لمسائل علميّة ناقشها صاحب الترجمة، ويورد تاج الدّين آراء العلماء فيها، ومحاوراتهم))[1] بما يدل على براعته في هذا الفنّ.

المطلب الثّاني: أثره في علم التّاريخ

ظهر أثر ابن السُّبْكِيّ في علم التاريخ والتراجم من خلال الأمور الآتية:

أولا: التصنيف في علم التاريخ والتراجم

صنف ابن السبكي طبقات الشّافعيّة الثلاث(الكبرى، والوسطى، والصغرى) وقد جاءت هذه الكتب بعد أن استطلع ابن السُّبْكِيّ كتب السابقين، وسمع أخبار الماضين، فلما تحصّلَ على فوائد جمّة رأى ((أنْ يخلُد ذلك فيما يُكْتَب ويجلّد، وتُنظَم جواهره فيما نقلتْ أنامل الفكر فيه ويقلّد))[2].

ولقد أدرك ابن السُّبْكِيّ مواطن الضعف في مصنّفات من سبقه، ولهذا وضع قواعد في دراسة تراجم الرجال[3]، ((وقد جرى ابن السُّبْكِيّ في ترجمته رجال الطّبقات على نهج قويم، يدل على بصر بتاريخ المترجَم، وإحاطة بالفنون التي أجادها، ووعي لدقائق الأمور التي أثارها، وبصر بالجديد الذي أضافه إلى العلم، والمسائل التي تفرد بها في فنّه))[4].

وقد أرسى ابن السُّبْكِيّ في كتابه "طّبقات الشّافعيّة الكبرى" قاعدة مهمّة في المؤرّخين، نعى فيها على من وضع من أقدار الناس تعصبا أو جهلا، أو بالاعتماد على نقل غير موثوق، وإلى

---

(١) كدكي، تاج الدّين السُّبْكِيّ، ص١٨٥.

(٢) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج١، ص٢٠٧.

(٣) هذه القاعدة في المؤرخين، وصفها ابن السُّبْكِيّ بانها نافعة جدا، وقد اورد فيها الشروط الواجب توفرها في المؤرخ، وقد نقل ذلك من خط والده، وعلق عليها، ومثل لها، انظر: المصدر السابق، ج٢، ص٢٢- ٢٥.

(٤) الطناحي، والحلو، مقدمة تحقيق الطّبقات الكبرى، ج١، ص٢٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

جانب ما سطّره في كتابه "الطّبقات" لم يخلُ كتابه "معيد النّعم" من الحديث عن المؤرّخين[1]، ((فأسفر كلامه عن تضلّع في علم التّاريخ، ومنهجه الفكريّ وقواعده المنهجيّة التي سبق علماؤنا بها سائر المؤرّخين، وعلماء التاريخ والمناهج في الشرق والغرب، وأسفر نقده عن أسس علميّة تعالج العيوب التي عابها على المؤرّخين، فلم يقتصر في نقده على الذمّ، والقدح، بل أعقبه بذكر العلاج، وهذا شأن المربّي الذي يستهدف الإصلاح، لا مجرّد النّقد ليقال ناقد))[2].

ثانيا: استعانة أقرانه به

ظهر أثر ابن السُّبكيّ جليّا في علماء عصره، فالمؤرّخ الصّفديّ لمّا فرغ من تأليف كتابه "الوافي بالوفيات"، وكان طويلاً، رام اختصاره، فاستعان بابن السُّبكيّ، فأشار عليه بعمل كتاب "أعيان العصر"، وكان كثيرا ما يسأله عمّا يحتاجه فيه من فقه، وحديث، وأصول، ونحو[3].

أما محمّد بن خلف شمس الدّين الغزيّ، فقد سبق بيان موقف ابن السبكي منه[4].

ولم يكفِ تقيّ الدّين ــ والد ابن السُّبكيّ ــ النظر فيما كان يكتبه ولده من تراجم[5]، بل تعدى الأمر إلى النقل عنه، واعتماد قوله؛ كما في سبق بيانه في ترجمة الكرجيّ[6].

---

(١) انظر: ابن السُّبكيّ، معيد النعم، ص٧٤.

(٢) النحلاوي، عبد الرحمن، الإصلاح التربوي والاجتماعي والسياسي من خلال المبادىء والاتجاهات التربوية عند التاج السُّبكيّ، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص٧٥.

(٣) انظر: ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج١٠، ص٦، وكتاب أعيان العصر مختصر من كتاب الوافي بالوفيات، ترجم فيه الصفدي لمن جمعه بهم عصر واحد منذ ولادته سنة ٦٩٦هـ حتى قبيل وفاته بأيام، وقد أودع فيه قدرا كبيرا من أشعاره وألغازه، ورتبه على حروف المعجم، انظر: الصفدي، أعيان العصر، ج١، ص١٦- ٣٠، مقدمة المحقق.

(٤) انظر ص(٨٤) من الرسالة.

(٥) قال ابن السُّبكيّ عن والده: ((وكتب بخطه على ترجمته التي أنشأتها في كتاب "الطّبقات الوسطى" وقد كانت "الطّبقات الوسطى" تعجبه، ويضعها غالبا بين يديه، ينظر فيها)) المصدر السابق، ج١٠، ص١٩١.

(٦) المصدر السابق، ج٦، ص١٤٠، وانظر ص(٣٩) من الرسالة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثالثا: نقل العلماء لأقواله، وعنايتهم بكتبه

أسهم ابن السُّبْكِيّ في رفد كتب التراجم بقصص الرجال وغرائبهم، وأخبارهم بما لا تجده إلا في كتبه، ولهذا لم يُخْلِ العلماء بعد ابن السُّبْكِيّ كتبهم من النقل عنه، كابن قاضي شهبة[1]، والسمهوديّ[2]، والسّيوطيّ[3]، والنعيميّ[4]، وابن العماد[5]، والبيطار[6]، وآخرين.

وقد وضع إبراهيم بن المعتمد (ت ٩٠٢هـ) ذيلا على كتاب "طبقات الشّافعيّة الكبرى"، وكذلك فعل شمس الدّين الداووديّ (ت ٩٤٧هـ)[7].

---

(١) انظر: ابن قاضي شهبة، طبقات الشّافعيّة، ج٣، ص٣٤، ص١٦٦، وغيرها.

(٢) انظر: السمهودي، نور الدين بن عبد الله المدني (ت٩١١هـ)، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، القاهرة – مصر، ص٤١،وص٦٩.

(٣) انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، ط١، ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م، ج١، ص٤٣٢.

(٤) انظر: النّعيميّ، الدّارس، ج١، ص٣٠، وغيرها.

(٥) انظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ج٢، ص٢٠٩، ج٤، ص٨٦، وغيرها.

(٦) انظر: البيطار، عبد الرزاق(ت١٣٣٥هـ)، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق محمد بهجة البيطار، دمشق – سوريا، المجمع العلمي العربي، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م، ج١، ص٢٧٣.

(٧) انظر: النجم الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق جبرائيل سليمان، بيروت – لبنان، المطبعة الأمريكانية، ط١، ١٣٦٢هـ – ١٩٤٥م، ص٦١، وص٢٤١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الرابع: علوم اللغة

المطلب الأوّل: مكانة ابن السُّبْكِيّ في علوم اللغة

صنف ابن السُّبْكِيّ في الحديث، والفقه وأصوله، والتاريخ، والعقيدة، كما أنّه برع في علوم أخرى، وإنْ لم يفردها بالتأليف؛ كالجانب اللغوي، وقرض الشعر، وحفظ لنا مقطوعات كثيرة لم يجمعها في ديوان مستقلّ، وإنّما بثّها في كثير من كتبه.

واعتنى ابن السُّبْكِيّ باللغة وعلومها؛ لأهمّيّة ذلك في فهم نصوص الكتاب، والسنّة النبويّة، فهي لازمة للفقيه، والأصوليّ، والمحدّث، والمفسّر، وبالجملة فهي قاعدة مهمّة لبناء المجتهد، وقد وصف ابن السُّبْكِيّ نفسه بأنه مجتهد الدنيا.

وقد ناقش ابن السُّبْكِيّ مسائل اللغة والنحو، وولع بالأدب نثرا وشعرا، ومن طالع كتبه وجده قد سطّر آراء النحاة، وردّ عليهم، ورجّح بين أقوالهم، ممّا يدلّ على قدم راسخة في النحو[1]، ولديه رصانة في الأسلوب، وذوق أدبيّ في انتقاء العبارة، والكلمة، وأبيات الشعر[2]، ((ومن يستقرئ كلامه في الطّبقات، وخاصة عند الكلام على الزمخشريّ وكتابه الكشّاف، وكذلك ترجمته لشيخه أبي حيّان الأندلسيّ يَرَ تبحّره في علم النحو، وتوسّعه فيه، كما يتّضح إلمامه به من خلال الاطلاع على كتابه الأشباه والنظائر، فقد عقد فيه فصلا كبيرا جدا، قال: كلمات نحويّة يترتّب عليها مسائل فقهيّة))[3].

ولقد اعتنى ابن السُّبْكِيّ أيضا بغريب اللغة[4]، كما اعتنى بالشعر، وخصّ معجزات الرسول

---

(١) انظر: كدكي، تاج الدّين السُّبْكِيّ، ص٣٢.

(٢) عليّ معوض، وعادل عبد الموجود، مقدمة تحقيق رفع الحاجب، ج١، ٨٣، بتصرف يسير.

(٣)المصدر السابق، ص٨٤.

(٤) انظر أمثلة ذلك: ابن السبكي، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٦٧، وج٨، ص٦٨، والإبهاج، ج٦، ص٢٢٤٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

– ﷺ – بإحدى قصائده.

ولم تَخْفَ مكانة ابن السُّبْكِيّ في اللغة وعلومها على العلماء الذين ترجموا له، فذكروه بها؛ فقد وصفه ابن حجّي، وكذلك ابن قاضي شهبة بأنّه له يد في النظم والنثر، جيّد البديهة، ذو بلاغة، وطلاقة لسان[١]، وقال عنه ابن حجر: ((وأجاد في الخطّ، والنظم، والنثر))[٢].

أدرك بلاغة ابن السُّبْكِيّ عامّة الناس فضلا عن علمائهم؛ فقد ((خطب بجامع دمشق قاضي القضاة تاج الدّين السُّبْكِيّ خطبة بليغة فصيحة، أداها أداء حسنا، وقد كان يُحَسُّ من طائفة من العوامّ أن يشوشوا، فلم يتكلم أحد منهم، بل ضجّوا عند الموعظة وغيرها، وأعجبهم الخطيب وخطبته وأداؤه وتبليغه ومهابته))[٣].

هذه المكانة التي وصل إليها ابن السُّبْكِيّ في اللغة وعلومها كان لها موارد أَثْرَتْها؛ من ذلك صحبته للصلاح خليل بن أيبك الصّفديّ، يقول ابن السُّبْكِيّ: ((كنت أصحبه منذ كنت دون سنّ البلوغ، وكان يكاتبني وأكاتبه، وبه رغبت في الأدب))[٤].

ويؤكد ابن السُّبْكِيّ استمرار هذه الصحبة؛ فيقول: ((وكانت بيني وبينه صداقة منذ كنت صغيرا، فإنّه كان يترّدد إلى والدي، فصحبته، ولم يزل مصاحبا لي إلى أنْ قضى نحبه))[٥].

ومما يميّز علاقة ابن السُّبْكِيّ بالصّفديّ، أنّها علاقة تشاركيّة، تبادلا فيها العلم، والمشورة؛ فما صنّف الصّفديّ كتابا إلا وسأل ابن السُّبْكِيّ عمّا يحتاج فيه من فقه وحديث وأصول ونحو[٦]،

---

(١) انظر: ابن قاضي شهبة، طبقات الشّافعيّة، ج٣، ص١٤٢.

(٢) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٤٢٦.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٣١٨– ٣١٩.

(٤) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج١٠، ص٦.

(٥) المصدر السابق نفسه.

(٦) انظر: ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج١٠، ص٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وكتب إليه مرّة يسأله عن تثنية لفظ عين وعين، فأجابه ابن السُّبْكِيّ بجواب طويل[1]، أودعه الصّفديّ كتابه "صرف العين"[2].

المطلب الثّاني: أثره في علوم اللغة

آمن ابن السُّبْكِيّ بجهود العلماء السابقين، وقدرهم، وأراد أنْ يضيف على ما قاموا به، بحيث يتجاوز الجمع والحشد لأقوالهم، حتّى تندفع عجلة العلم إلى الأمام، وكان يستهجن إعادة ما ذكره الماضون إذا لم يضمّ إلى ذلك تتكيتا عليهم أو زيادة، وكان هذا شأنه في شتّى العلوم؛ لم يقتصر على علم دون آخر، ولهذا فإنّ له أثرا واضحا، تجلّى باستنباطاته النّحويّة[3]، وإضافاته التي تدلّ على سعة إطلاعه على اللغة وعلومها، وقد ظهر هذا الأثر في علاقته بالصّفديّ، وما أفاده منه.

كما ظهر أثر ابن السُّبْكِيّ من خلال ما سطره في كتابه معيد النعم حول الأسلوب الأمثل في مخاطبة الناس، وضرورة البعد عن التّقعّر في الكلام، واستخدام حوشيّ الألفاظ، والتراكيب الصعبة، فقال: ((ومن العلماء طائفة استغرق حبّ النحو واللغة قلبها، وملأ فكرها، فأداها إلى التقعر في الألفاظ، وملازمة حوشيّ اللغة، بحيث خاطب به من لا يفهمه... فإنّ كلّ أحد يُكلم على قدر فهمه، ومن اجتلب اللحن، وارتكب العالي من اللغة، والغريب منها، وتكلّم بذلك مع كلّ أحد عن قصد، فهو ناقص العقل))[4]، وطالب كاتبي الرسائل بين يديّ السلطان، و المدرسين بالبعد عن ذلك[5].

---

(١) ابن السبكي، الطبقات الكبرى، ج١٠، ص٨.

(٢) حقق كتاب "صرف العين" الباحث محمّد عبد المجيد لاشين ضمن رسالته الموسومة "الصفدي وآثاره في الأدب والنقد مع تحقيق كتاب صرف العين وعرض العين في وصف العين دراسة وتحقيق"، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، ٢٠٠٠م، قسم اللغة العربية، إشراف محمد يونس عبد العال، ويحيى عبد الدايم.

(٣) انظر: ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٩، ص٢٨١- ٢٨٢.

(٤) ابن السُّبْكِيّ، معيد النعم، ص٩٠- ٩١.

(٥) انظر: المصدر السابق، ص٣١، وص١٠٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عاب ابن السُّبكيّ على المتقعّرين من اللغويّين الذين ينشغلون بالقوالب اللغويّة، والنّحويّة، والألفاظ الظاهرة دون الانتباه إلى المعاني، ومثلهم الذين يخالفون القوانين النّحويّة الثابتة من أجل مراعاة المعاني، ولم يسلم من نقده الذين ولعوا بالسجع والقوافي حتى صاروا يتكلّفونه[١].

وقد بحث بعض المسائل اللغويّة، وأدلى فيها بدلوه؛ فأبدى رأيه في مسألة تثنية المُختَلِفَين[٢]: ((ولي على هذه المسألة كلام مفرد، في جواب سؤال سألنيه صاحبنا الإمام الأديب صلاح الدّين خليل بن أيبك الصفدي))[٣].

وظهر أثر ابن السُّبكيّ في اللغة وعلومها في نقل العلماء لأقواله، وآرائه؛ فنقل السّيوطيّ عنه في كتابه "المزهر في علوم اللغة"[٤]، والزّبيديّ في كتابه "تاج العروس"[٥]، ونقل عنه محمّد الصبّان في حاشيته على شرح الأشمونيّ لألفيّة ابن مالك[٦]، ومحمّد الخضريّ في حاشيته على شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك[٧].

---

(١) انظر: النحلاوي، الإصلاح التربوي، ص٨٦- ٩١.

(٢) كالمروتين، ويقصد بهما الصفا والمروة، والأبوين، ويقصد بهما الأب والأم، والأصل في مثل تلك الكلمات أن لا تثنى بلفظ واحد إن اختلفت في اللفظ، لكنها تثنى من قبيل التغليب، أي تغليب أحد اللفظين على الآخر، وهو سماعي لا يقاس عليه، انظر: السيوطي، همع الهوامع، تحقيق عبد الحميد هنداوي، مصر، المكتبة التوفيقية، ج١، ص١٥٠.

(٣) ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج٥، ص٢٧٤.

(٤) انظر: السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد عليّ منصور، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، ج١، ص٢٣، ص٢٤، ٣٢٥، وغيرها.

(٥) انظر: الزبيدي، تاج العروس، ج١، ٢٥، ، ج٣٩، ص٣٦١، وغيرها.

(٦) انظر: الصبان، محمد بن علي، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، القاهرة – مصر، منشورات محمد علي صبيح، ١٣١٧هـ – ١٩٠٠م، ج٢، ص٨٠.

(٧) انظر: الخضري، حاشية الخضري، ج١، ص٣١٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الخامس: التّصوّف

شهدت مصر والشّام في العصر المملوكي نشاطا دينيّا واسعا، دلّ عليه كثرة بناء المساجد، والخوانك[1]، والربط[2]، والزوايا الخاصّة بالصّوفيّة.

والتّصوّف كما تحدّث عنه ابن خلدون هو: ((العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا، وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذّة، ومال، وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة))[3].

ولعل انتشار الصّوفيّة في مصر والشّام في العصر المملوكي يعود إلى الأسباب الآتية:

أولاً: ورود المتصوّفة إلى مصر والشّام، كابن عربيّ الأندلسيّ، وأحمد البدويّ، وأبو الحسن الشاذليّ، وغيرهم[4].

ثانياً: رعاية السلاطين المماليك للمتصوّفة؛ فقد بنوا لهم الزوايا، ووقفوا عليها الأوقاف، وعطفوا على مشايخهم[5].

---

(١) ((الخوانك جمع خانكاه، وهي كلمة فارسية معناها "بيت" وقيل أصلها خونقاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك، والخوانك حدثت في الإسلام في حدود الأربعمائة من سني الهجرة، وجعلت لتخلي الصوفية فيها لعبادة الله تعالى))، المقريزي، المواعظ والإعتبار، ج٣، ص٥٦٧.

(٢) ((الربط جمع رباط، وهو دار يسكنها أهل طريق الله... والرباط هو بيت الصوفية، ومنزلهم))، المصدر السابق، ج٣، ص٦٠٠- ٦٠١.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٦٧.

(٤) انظر: رزق، عاصم محمّد، خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ج١، ص٦٢، وذكرت المصادر أن الناصر صلاح الدّين يوسف بن أيوب ابن شادي أوقف الخانكاة الصلاحية للفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة، ووقف عليها الأوقاف الكثيرة، ورتب للصوفية الطعام في كل يوم، انظر: المقريزي، المواعظ والإعتبار، ج٣، ٥٧٠- ٥٧٣.

(٥) خرج السلطان بيبرس إلى منطقة سريا قوس ومعه عدة من المهندسين، وعيّن موضعا قريبا منها يبنى عليها خانقاة فيها مائة خلوة لمائة صوفي، وبجانبها جامع تقام فيه الجمعة، ودار للضيافة، وحمام، ومطبخ، انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص٤٩٨، عاصم رزق، خانقاوات الصوفية في مصر، ج١، ص٤٧، وص٥٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثالثاً: سوء الأوضاع السّياسيّة والاجتماعية في عصر المماليك؛ فكانت تلك الأوضاع دافعا لكثير من النّاس للعزلة، والانقطاع للعبادة؛ رجاء تبدل الحال[1].

وسيشمل هذا المبحث الحديث عن تصوّف ابن السبكي، وتأثره بالصوفية، وأثره فيها.

المطلب الأول: تصوّف ابن السُّبْكِيّ

لم تشر المصادر إلى تصوّف ابن السُّبْكِيّ، وإنْ كانت مظاهر ذلك تبدو واضحة، كما أنّ المصادر التاريخيّة تفتقر إلى الإشارة إلى من تلقّى عنهم التّصوّف، إلا أنّ الظّنّ يرجّح أنّ أوّل شيخ تلقى منه ابن السُّبْكِيّ علم التّصوّف هو والده تقيّ الدّين، الذي صحب في التّصوّف تاج الدّين بن عطا الله السّكندريّ الشّاذليّ، ولست في صدد إثبات صوفيّة تقيّ الدّين، فقد وصفه ولده ابن السُّبْكِيّ بأنّه كان كثير التّعظيم للصّوفيّة والمحبة لهم[2]، ونقل عنه كلاما في التّصوّف[3]، ونسب إليه بعض الكرامات.

أما الشّيخ الثّاني فهو يوسف بن سليمان بن أبي الحسن (ت ٧٥٠هـ) فقد ترجم له ابن السُّبْكِيّ واصفا إيّاه بالصّوفيّ الشّاعر[4]، وكان قد سمع منه، ومن نظمه في رحلته إلى الحجّ سنة سبع وأربعين وسبعمائة.

ومن شيوخ الصّوفيّة الذين جالسهم ابن السُّبْكِيّ، وبحث معهم في بعض المسائل الشّيخ محمّد الأردبيليّ؛ قال ابن السُّبْكِيّ: ((وقد جالست في هذه المسألة الشّيخ الإمام الصّالح العارف قطب الدّين بركة المسلمين محمّد بن أسفهبدا الأردبيليّ أعاد الله من بركته))[5].

---

(١) انظر: عاصم رزق، خانقاوات الصوفية، ج١، ص٤٧.

(٢) انظر: ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج١٠، ص٢١٩.

(٣) انظر: المصدر السابق، ج١٠، ص٢٩٥.

(٤) انظر: المصدر السابق، ج١٠، ص٣٩٣.

(٥) المصدر السابق، ج٢، ص٣١٣، والبحث في مسألة رؤية الله في الدنيا، وهو ما يعبر عنه الصوفية بالتجلي.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أما تصوّف ابن السُّبْكيّ؛ فهناك من النّصوص ما تشير إلى أنّه ذو قدم راسخة فيه، إلا أنّه تواضع حتى أخرج نفسه من زمرة الصّوفيّة؛ فهو يبحث مسائل الصّوفيّة، ويستنبط الدّلالات رادّا ذلك إلى علم التّصوّف؛ فيقول: ((وفيها دلالة على أنّه ينبغي أنْ يوكل أمر الحاسدين إلى الله تعالى، ولا يلتفت إليه، ولا يشتغل به، ويترك وغيّه، فكفاه بجهنّم سعيرا، وهذا من علم التّصوّف))[1].

ثم ها هو يتواضع، فيقول: ((وأما كرامات الأولياء فبحر لا يخوضه إلا الأصفياء، ونحن بمعزل عنه، فما لنا ولهذا المقام، حشرنا الله في زمرة أهله))[2].

ويقول في معرض حديثه عن مسألة (رؤية الله): ((هذا حاصل كلام القوم، وأنا معترف بالقصور عن فهمه))[3].

المطلب الثّاني: تأثر ابن السُّبْكيّ بالصّوفيّة، وأثره فيها:

كان ابن السُّبْكيّ يجلّ الصّوفيّة ويعظّمهم – كما كان والده – فقد قال فيهم: ((الصّوفيّة حيّاهم الله وبيّاهم، وجمعنا في الجنّة نحن وإيّاهم، وقد تشعّبت الأقوال فيهم تشعّبا ناشئا عن الجهل بحقيقتهم؛ لكثرة المتلبّسين بها؛ بحيث قال الشّيخ أبو محمّد الجوينيّ: لا يصحّ الوقف عليهم، لأنّه لا حدّ لهم يعرف، والصّحيح صحّته، وأنّهم المعرضون عن الدنيا، المشتغلون في أغلب الأوقات بالعبادة... والحاصل أنّهم أهل الله وخاصّته، الذين ترتجى الرّحمة بذكرهم،

---

(١) ابن السُّبْكيّ، الأشباه والنظائر، ج٢، ص٣٧٦، وكلامه هذا في التعليق على قول الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، سورة النساء،الآية(٥٤).

(٢) ابن السُّبْكيّ، منع الموانع، ص٢٤٣.

(٣) ابن السُّبْكيّ، الطّبقات الكبرى، ج٢، ص٣١٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويستنزل الغيث بدعائهم، فرضي الله عنهم وعنّا بهم))[1].

وأما ما يصدر عن الصّوفيّة من ألفاظ وتصرّفات قد يعيبها الشّرع، فإنّ ابن السُّبْكِيّ يُرجع ذلك إلى الجهل بأحوالهم، فإنْ كانت جريمة ظاهرة، فينبغي البحث عن تأويل لها، وإلا فهي من طبيعة البشر التي قلّ أنْ يسلم منها أحد حيث يقول في ذلك: ((وتلك الأمور قلّ أنْ يفهمها من يعيبها، والواجب تسليم أحوال القوم إليهم، وإنّا لا نؤاخذ أحدا إلا بجريمة ظاهرة، ومتى أمكننا تأويل كلامهم، وحمله على محمل حسن لا نعدل عن ذلك، لا سيّما من عرفناه منهم بالخير، ولزوم الطريقة، ثم إنْ بدرت لفظة من غلطة، أو سقطة، فإنّها عندنا لا تهدم ما مضى))[2].

ويقول: ((والله الله في ألفاظ جرت من بعض سادات القوم، لم يعنوا بها ظواهرها، وإنّما عنوا بها أمورا صحيحة، فلا ينبغي للشّيخ ذكرها لمريد لا يفهمها، فإنّه يضلّه، مثل ما يقال عن بعضهم: العلم حجاب، فإنّه لا يريد به ظاهر ما يفهمه المبتدئ، ولكنّ له معنى لا يناسب حال المبتدئ الكشف عنه، وغير ذلك من ألفاظ ربّما جرى بعضها في حال السكر، فإنّها ممّا لا يقتدى بها، ولا توجب القدح في قائلها، بل نسلم إليه حاله، ونقيم عذره فيما سقط من بين شفتيه حالة الغيبة، فإنّ الشّارع لم يكلّف غائب الذّهن، هذا إذا فقدت أسباب التّأويل لكلامه بالكلّيّة، ولن نجد ذلك إنْ شاء الله تعالى في كلام أحد من المعتبرين، بل قد نزّه الله تعالى ألفاظهم عن الأباطيل، وما لهم كلمة إلا ولها محمل حسن))[3].

ولهذا فقد حذّر ابن السُّبْكِيّ من الإنكار على الصّوفيّة؛ فقال: ((وقد جرّبنا فلم نجد فقيها ينكر على الصّوفيّة إلا ويهلكه الله تعالى، وتكون عاقبته وخيمة... لأنّ هؤلاء القوم لا يعاملون

---

(١) ابن السُّبْكِيّ، معيد النعم، ص١١٩- ١٢٠.

(٢) المصدر السابق، ص٨٨.

(٣) المصدر السابق، ص١٢٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

بالظّواهر، ولا يفيد معهم إلا الباطن، ومحض الصّفاء، وهم أهل الله تعالى وخاصّته، نفعنا الله بهم، وأكثر من يقع فيهم لا يفلح))[1].

ومعنى هذا أنّ الشريعة منقسمة إلى ظاهر لا يصلح إلا للعوام من الناس، وباطن وحقيقة لا تصلح إلا للخواص منهم، وهذا التقسيم يفتح بابا لتبرير قبول ما يخالف النصوص الشرعية، وأنّ من ينكر ذلك إنما أتي من جهله بتلك الأسرار التي لا يدركها إلا الخلص من الناس، وفي ذلك دعوة لتعطيل الفكر الذي أمرنا الله تعالى بإعماله.

وقد مارس عملا نقديا في تخليص الصوفية من بعض ما تعلق بها فنبّه إلى أنّ هناك أقواما قد تشبّهوا بالصّوفيّة وليسوا منهم، فنتج عن هذا التشبّه سوء الظّنّ بالصّوفيّة، ويعلل هذا بقوله: ((ولعلّ ذلك من الله تعالى قصدا لخفاء هذه الطّائفة التي تؤثر الخمول على الظهور))[2].

لا يوجد لابن السُّبكِيّ مؤلّف خاصّ يبحث فيه موضوع التّصوّف، ولا تشير المصادر التّاريخيّة إلى من تلقّى عنه التّصوّف من تلاميذه، إلا أنّ النّاظر في مصنّفات ابن السُّبكِيّ يجد الكثير من المسائل الصّوفيّة التي بحثها؛ كالتّجلّي، ورؤية الله، والكرامات، وقد أطال فيها، وذكر في "طّبقات الشافعية الكبرى" العديد من الكرامات.

ولم يَخْلُ كتابه "معيد النّعم" من الحديث عن الصّوفيّة، والتّعريف بهم، وببعض كراماتهم، وصفاتهم، وقد دافع عنهم كما يدافع الرّجل عن خاصّة أهله[3].

وختم كتابه "جمع الجوامع" بخاتمة في علم التّصوّف[4]، ويبدو أنّ هذه الخاتمة كانت لها

---

(١) ابن السُّبكِيّ، معيد النعم، ص٨٨.

(٢) المصدر السابق، ص١٢٣.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص١١٩- ١٢٦.

(٤) انظر: ابن السُّبكِيّ، جمع الجوامع، ص١٣٠- ١٣٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قيمتها عند أعلام الصّوفيّة، فاعتنوا بها؛ فقد ذكر أنّ الشّيخ علوان الهيتي[1] قُرأ على الشّيخ عليّ ابن ميمون[2] هذه الخاتمة من "جمع الجوامع"[3].

وقد نقل السّيوطيّ في "الحاوي" أنّ ابن السُّبْكِيّ من الأئمة الأعلام الذين أفتوا بعدم حنث من حلف بالطلاق أنّ أحد الأولياء بات عنده ليلة كذا، وحلف آخر بالطلاق أنّ هذا الولي بات عنده في الليلة نفسها، استنادا على أنّ أولياء الله يعطون التّبدّل، وهو ظهورهم في أكثر من مكان، وبصور متعدّدة[4]، وهذا من تأثّر ابن السُّبْكِيّ بالصّوفيّة، وهو استخفاف بالكرامات؛ لأنّه لا يراعي فيها العقل، ولا الشّرع، والأمر بقبولها على أنّها كرامة للولي فيه دعوة لشيوع الخرافة بين النّاس، وتسويق للخيالات والأوهام الزائفة في عقول الأمة.

واتّخذ تأثّره صورا أخرى؛ فترجم لأحد أعلام الصّوفيّة في كتاب أسماه "مناقب الشّيخ أبي بكر بن قوّام"، وزار قبر هذا الشّيخ مرّات ومرّات[5].

---

(١) الشّيخ علوان عليّ بن عطية بن الحسن بن محمّد، أخذ طريقة التصوف عن علي بن ميمون، وتحدّث الناس عن جلالته وجمعه بين العلم والعمل، صنّف في الفقه والأصول والتصوف، من مصنفاته: كتاب "مصباح الهداية ومفتاح الدراية"، و"بيان المعاني في شرح عقيدة الشيباني"، توفيّ سنة ست وثلاثين وتسعمائة، انظر ترجمته في: النجم الغزي، الكواكب السائرة، ج٢، ص٢٠٦، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٨، ص٢١٧- ٢١٨.

(٢) عليّ بن ميمون بن أبي بكر المغربي الغماري، سكن فاس واشتغل بالعلم، ودرّس، وولي القضاء، وصحب مشايخ الصوفية، من مصنفاته: كتاب "غربة الإسلام في مصر والشام"، و"شرح الجرومية على طريقة الصوفية"، توفيّ سنة سبع عشرة وتسعمائة، انظر ترجمته في: النجم الغزي، والكواكب السائرة، ج١، ص١٧١- ١٧٨.

(٣) انظر: النجم الغزي، الكواكب السائرة ، ج٢، ص٢٠٦، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٨، ص٨١- ٨٤.

(٤) انظر: السيوطي، الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون، تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ج١، ص٢١٨.

(٥) انظر: ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٨، ص٤١٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الفصل الثّالث: أثر الثقافة الموسوعية على النقد الحديثي عند ابن السُّبْكِيّ، وفيه:

المبحث الأوّل: أثر الثقافة الحديثيّة.

المبحث الثّاني: أثر الثقافة الفقهيّة والأصوليّة.

المبحث الثّالث: أثر الثقافة التّاريخيّة.

المبحث الرّابع: أثر الثقافة اللغويّة.

المبحث الخامس: أثر التّصوّف.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الفصل الثالث: أثر الثقافة الموسوعية على النقد الحديثي عند ابن السبكي.

سبق الحديث أن ابن السبكي كان من العلماء الموسوعيين، الذين جمعوا بين علوم ومعارف وتخصصات مختلفة، مما ساعده على إدراك وشائج التعاون والتكامل، بين ما يحمله من معارف وعلوم، وفي هذا الفصل سيكون الحديث عن أثر تلك الثقافة الموسوعية على النقد الحديثي، وكيف ظهر التكامل المعرفي بين العلوم حتى خدم بعضها بعضا.

المبحث الأوّل: أثر الثقافة الحديثيّة على النقد الحديثي

شهد كثير من العلماء لابن السُّبْكِيّ بمعرفته بالحديث الشريف وعلومه، وقد سبق الكلام عن مكانته في علم الحديث في الفصل الثّاني، وما سأعرضه في هذا المبحث هو التدليل على ما سبق بيانه.

المطلب الأوّل: العناية بالإسناد

قد يكون من نافلة القول الحديث عن الإسناد، وأهميّته في الرواية الحديثيّة، ومدى عناية المحدّثين به، فهو عمدتهم في صحّة الحديث أو ضعفه، وهو ((خصيصة من خصائص الأمّة الإسلاميّة، ولم ترغب عنه بعد تدوين الحديث، والاطمئنان إليه؛ إبقاءً لهذه الخصيصة، وربطا للصلة بين علمائها، وبين رسول الله ﷺ))[1].

والحديث عن عناية ابن السُّبْكِيّ بالإسناد لا يشمل على وجه الخصوص ما أورده من روايات حديثيّة، بل ولإظهار مدى تأثّره وهو الفقيه والأصوليّ والأديب بمنهج المحدّثين، فهو محدّث يَعي قيمة الإسناد، ولذا فقد نبّه قارئ كتابه "طبقات الشّافعيّة الكبرى" أنْ لا يستثقل ما اشتمل ((عليه من كثرة الأسانيد، فهي لعمر الله بهجة هذا الكتاب، وزينة هذا الجامع لمحاسن

---

(١) الجوابي، محمد طاهر، جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف، تونس، نشر وتوزيع مؤسسات =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الأصحاب، وواسطة هذا العقد الآخذ بعقول أولي الألباب))[1].

وقال عن تلك الأسانيد التي أوردها: ((ولقد يعزّ على أبناء الزمان جمعها، ويبعد منهم – وقد ركبوا الهوينا وركنوا إلى الدّعة – وضعها، ويتعذّر عليهم – وهم الذين قَنِعَ الفاضل منهم بحاجة في نفسه من اسم التّصنيف قضاها – صُنْعها، فإنهم رفضوا طلب الحديث بالكليّة فضلا عن جمعه بالأسانيد، ونقضوا قواعد الأئمّة الذين قال منهم سفيان الثوري، ﷺ: الإسناد زين الحديث، فمن اعتنى به فهو السعيد، ودحضوا قول عبد الله بن المبارك: الإسناد من الدّين ...))[2].

ويشهد لعناية ابن السُّبكيّ بالإسناد ما أودعه في كتابه "طبقات الشّافعيّة الكبرى" من الأحاديث المسندة، وما ساقه من متابعات وشواهد، ولهذا فلا ((ينبغي أنْ يُملَّ النّاظر في هذا الكتاب طول الأسانيد ... فإنّه لذلك وضع، ولهذا القصد جُمِعَ، وعلى أعواد هذه القواعد رُفِعَ))[3].

أما تأثّر ابن السُّبكيّ – الفقيه، والأصوليّ، والأديب اللغويّ – بمنهج المحدثين، فيحدثنا عنه بقوله: ((وحرصت أنْ لا أذكر حكاية، ولا أثرا، ولا شعرا إلا مسندا على طريقة جهابذة الحفاظ))[1].

تعدّدت مظاهر عناية ابن السُّبكيّ بالإسناد؛ ويظهر ذلك من خلال تنبيهه على دقائق إسنادية، كما قال في حديث أخرجه بسنده إلى أبي رجاء عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ "عليكم

=

عبد الكريم بن عبد الله، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، ص٨٨.

(١) ابن السُّبكيّ، الطبقات الكبرى، ج١، ص٣١٤.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص٢٢٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بلا إله إلا الله ..." الحديث[٢]: ((... لم يخرجه أحد من الأئمة الستّة، وليس لأبي رجاء في الكتب الستّة شيء لا عن أبي بكر، ولا عن غيره، ولكن في أبي داود، والتِّرْمِذِيّ، من حديث عثمان بن واقد عن أبي نصيرة عن مولى لأبي بكر الصديق عن أبي بكر ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: "مَا أَصَرَّ مَنْ اسْتَغْفَرَ وَلَوْ فَعَلَهُ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً"[٣] قلت: وأنا أعتقد أنّ مولى أبي بكر المشار إليه هو أبو رجاء هذا، والله أعلم))[٤].

وقد فرّق ابن السُّبْكِيّ في صيغ التحمّل، لما له من أثر في الحكم على الحديث، ولهذا قال: ((... وقولنا في سياق هذا السّند سمعت أبا زكريا وأبا بكر يقولان: سمعت أبا عبد الله، كذا هو في "مقتضب تاريخ نيسابور" للحافظ أبي بكر الحازمي بخطه، وقد كتب كما رأيته بخطه فوق سمعت صحّ، وقد أجاد، فإنّه حاك عن اثنين قولهما، فكل منهما يقول: سمعت، فافهمه فهو دقيق))[٥]، ولهذا تجد التنويع في صيغ تحمّل ابن السُّبْكِيّ للأحاديث؛ فيقول: ((فيما قرأه علينا من لفظه))[٦]، ((قراءة عليه وأنا أسمع))[٧]، ((بقراءتي عليه))، ((سماعا عليه، إمّا بقراءتي، أو

=

(١) ابن السبكي، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢١٧.

(٢) حديث ضعيف، أخرجه أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى (ت ٣٠٧هـ)، المسند، تحقيق حسين سليم أسد، دمشق – سوريا، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، ج١، ص١٢٣، حديث رقم(١٣٦)، وقال المحقق إسناده ضعيف.

(٣) حديث ضعيف، أخرجه أبو داود، السنن، كتاب الصلاة، باب في الإستغفار، ج٢، ص٨٤، حديث رقم(١٥١٤)، والتِّرْمِذِيّ، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي (ت٢٧٩هـ)، واللفظ له، الجامع الكبير، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت – لبنان، دار الرسالة العلمية، ط١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ ، ج٦، ص١٥٩، حديث رقم(٣٨٧٥)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي نُصَيْرَةَ وَلَيْسَ إِسْنَادُهُ بِالْقَوِيِّ.

(٤) ابن السُّبْكِيّ، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٨– ٢٩.

(٥) المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٠.

(٦) المصدر السابق، ج١، ص٥.

(٧) المصدر السابق، ج١، ص٢٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

بقراءة غيري، وغالب ظنّي أنّه بهما جميعا في نوبتين))[1].

وتمثلت عناية ابن السُّبْكِيّ بالصناعة الإسناديّة من خلال:

أولا: الجمع بين الشّيوخ؛ قال: ((أخبرنا المشايخ حافظ الزّمان أبو الحجاج يوسف بن الزّكي عبد الرحمن بن يوسف المزّيّ، وأبو الفضل عبد الرحيم بن إبراهيم بن الشّيخ تقيّ الدّين أبي محمّد إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر، وأبو سليمان داود بن إبراهيم بن داود العطار، وأبو إسحاق إبراهيم بن جعفر بن إسماعيل بن الكحّال العباديّ السكريّ، قراءة عليهم، وأنا أسمع قال المزّيّ، وابن العطّار: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد بن البخاري، وقال ابن أبي اليسر: أخبرنا جدّي تقيّ الدّين، وقال ابن الكحّال: أخبرنا المسلم بن محمّد بن علاّن القيسيّ، قالوا: أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد))[2] .

ثانيا: اختصار الأسانيد؛ قال: ((أخبرنا أبو عبد الله الحافظ بقراءتي عليه أخبرنا إسماعيل ابن عبد الرحمن الحنبلي غير مرة أخبرنا أبو محمد الحسن بن عليّ بن الحسن بن الحسين بن البزّ الأسديّ، سنة ثلاث وعشرين، أخبرنا جدّي الحسين أخبرنا علي بن محمد بن علي الشّافعيّ سنة أربع وثمانين وأربعمائة أخبرنا محمد بن الفضل الفرّاء بمصر أخبرنا أبو الفوارس أحمد بن محمد الصّابونيّ سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة أخبرنا المزنيّ أخبرنا الشّافعيّ عن مَالِكٍ عن نَافِعٍ عن عبد اللَّهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما قال: "نهى رسول اللَّهِ ﷺ عن الْوِصَالِ، قالوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ، قال: إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ، إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى"[3]، وبهذا الإسناد "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ

---

(١) ابن السُّبْكِيّ، الطبقات الكبرى، ج١، ص٨٣.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص٢٥، وانظر: مزيدا من الأمثلة، المصدر السابق، ج١، ص٢٦، وص٤٥.

(٣) حديث صحيح، أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح، تحقيق مصطفى البغا، بيروت – لبنان، دار ابن كثير، ط٣، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، كتاب الصوم، باب الوصال ومن قال ليس في الليل صيام، ج٢، ص٦٩٣، حديث رقم(١٨٦١).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رَمَضَانَ فقال لا تَصُومُوا حتى تَرَوْا الْهِلالَ ولا تُفْطِرُوا حتى تَرَوْهُ فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا له"[1]، وبه "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَرَضَ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا من تَمْرٍ أو صَاعًا من شَعِيرٍ على كل حُرٍّ أو عَبْدٍ ذَكَرٍ أو أُنْثَى من الْمُسْلِمِينَ"[2]))[3].

ثالثا: التحويل في الإسناد؛ قال: ((... ذلك ما أخبرناه الشّيخ الإمام الوالد، رحمه الله، بقراءتي عليه أخبرنا محمد بن علي البالسيّ أخبرنا عبد الحق بن خلف حضورا أخبرنا هبة الله ابن أبي البركات محفوظ بن الحسن بن صصري أخبرنا ياقوت بن عبد الله الرّوميّ أخبرنا عبد الله بن محمد الصَّرِيفينيّ الخطيب، ح وأخبرنا الشّيخ الإمام، رحمه الله، أيضا قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا محمد بن إبراهيم الرّحبيّ وأبو الخير الصّوفيّ قالا أخبرنا أبو العباس ابن عبد الدايم، ح وأخبرنا صالح بن مختار الأشنوي قراءة عليه وأنا أسمع بالقاهرة قال أخبرنا ابن عبد الدايم أخبرنا يحيى بن محمود الثّقفيّ أخبرنا جدّي لأبي أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل، ح وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ بقراءتي عليه...))[4].

رابعا: التّلفيق بين الأسانيد والمتون[5]؛ قال: ((... وروى الحافظ - ابن عساكر- أيضًا بأسانيد مختلفة هذا الأثر بزيادات أخر، اجْتَمَعَت على بعضها، واخْتَلَفَت في بعضها، وأنا أُلْحِقُ

---

(١) حديث صحيح، أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ إذا رأيتم الهلال فصوموا، ج٢، ص٦٧٤، حديث رقم(١٨٠٧).

(٢) حديث صحيح، أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر على العبد وغيره من المسلمين، ج٢، ص٥٤٧، حديث رقم(١٤٣٣).

(٣) ابن السُّبْكِيّ، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٩٥.

(٤) ابن السُّبْكِيّ، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٢٢-١٢٣.

(٥) التلفيق مصطلح عند اهل الحديث يعنون به أن يكون الحديث عند الراوي عن اثنين وهو بمجموعه ليس عن واحد منهم، فيرويه بسياق واحد دون تفريق بين رواياتهم، قال السخاوي: ((وأن يكن مجموعه - أي الحديث- من جملة الرواة ملفقا، بأن كان عن كل راو منهم قطعة))، السخاوي، فتح المغيث، ج٢، ص٣٠٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

تلك الطرق، وأجمع ما اجتمعت وما افترقت فيه، فكان مذكورًا في بعضها ... فأقول:))[1].

وكمظهر من مظاهر عناية ابن السُّبْكِيّ بالإسناد، فقد اعتنى بتخريج الحديث؛ فقال بعد أنْ ساق حديثا: ((أخرجه مسلم عن عمرو بن محمّد الناقد عن أبي النّضر هاشم بن القاسم فوقع لنا بدلا عاليا، ورواه أيضا عن عبد الله بن هاشم الطّوسيّ عن بَهْز بن أسد العَمّيّ البصْرِيّ، وأخرجه التِّرْمِذِيّ عن محمّد بن إسماعيل التِّرْمِذِيّ عن عليّ بن عبد الحميد الكوفي، ورواه النّسائِيّ عن محمّد بن معمر عن أبي عامر عبد الملك بن عمرو العَقَدِيّ ثلاثتهم عن سليمان بن المُغِيرة به، وأخرجه البخاريّ في صحيحه عن عبد الله بن يوسف التِّنِّيسِيّ، وأبو داود، والنّسائِيّ، وابن ماجة جميعا عن عيسى بن حماد زُغْبَة كلاهما عن الليث بن سعد عن سعيد المقبريّ عن شَرِيك عن أنس))[2].

وكذلك اعتنى بعلو الإسناد؛ فقال في حديث: ((أخرجه التِّرْمِذِيّ عن ابن عمر عن سفيان، فوقع لنا بدلا عاليا، وعن محمود بن غيلان عن يحيى بن آدم عن سفيان، فوقع لنا عاليا بدرجات ثلاث))[3].

كما يحرص على بيان درجة الحديث؛ فلا يكاد يورد حديثا إلا وينبّه إلى درجة الحديث صحّة أو ضعفا، وتفصيل ذلك في المطلب الرابع من هذا الفصل.

---

(١) ابن السُّبْكِيّ، الأشباه والنظائر، ج٢، ص٣١٥.

(٢) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج١، ص٨٠- ٨١.

(٣) المصدر السابق، ج٩، ص١٧٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المطلب الثّاني: آراؤه وترجيحاته في علوم الحديث

لا يُذكر لابن السُّبْكِيّ تصنيف مستقل في علم مصطلح الحديث، وهذا يرجع باعتقادي إلى أنّ علم الحديث ما وصل إلى عصر ابن السُّبْكِيّ إلا وقد اشبع بحثا، ولم يعد في الإمكان إلا بعض الاستدراكات الطفيفة القائمة على تفصيل المسائل المجملة، أو الترجيحات المبنيّة على قوة الدليل، وسأستعرض فيما يلي بعض هذه التعليقات:

أولا: آراؤه في علوم الحديث

المسألة الأولى: على من يُطْلَق لقب المحدّث

قال ابن السُّبْكِيّ: ((إنّما المحدّث من عَرَفَ المسانيد[1]، والعلل وأسماء الرجال، والعالي والنّازل، وحَفِظَ مع ذلك من متون الأحاديث جملة مستكثرة، وسَمِعَ الكتب الستّة ومسند الإمام أحمد بن حنبل، وسنن البيهقيّ ومعجم الطّبرانيّ، وضمّ إلى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثيّة، هذا أول درجاته، فإذا سمع ما ذكرنا وكتب الطّباق، ودار على الشيوخ وانتقى عليهم، وخرّج وتكلم في العلل والوفيات والجرح والتّعديل، كان في أوّل درجات من يحق له اسم المحدّث، ثم يزيد الله من شاء ما شاء))[2].

والملاحظ على نصّ ابن السُّبْكِيّ أنّه يحوي ثلاثة أمور ينبغي توافرها في المحدّث:

الأوّل: حفظ الأسانيد، ومعرفة رجالها، وتمييز صحيحها من سقيمها.

الثّاني: حفظ المتون.

الثّالث: سماع الحديث، وكتابته، والرّحلة في طلبه.

---

(١) المسانيد: هي الكتب الحديثيّة المصنّفة على أسماء الصّحابة، وقد ورد لفظ الأسانيد في كتاب "معيد النعم" لابن السُّبْكِيّ عندما ذكر من هو المحدّث، وهو الأنسب هنا لتوافقه مع باقي النص.

(٢) ابن السُّبْكِيّ، منع الموانع، ص٥٤٧،

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وقد ذكر ابن السُّبكِيّ هذا النص في كتابه "معيد النعم" بألفاظ مقاربة، وهو في كلا الكتابين قد أورد هذا النص في معرض رده على الفلاسفة الذين تفرقوا فِرَقًا عدّة؛ فقال: ((ومنهم فرقة ترقّت عن هذه الفرقة وقالت: لا بدّ من ضمّ علم الحديث إلى التّفسير، فكان قصاراها النّظر في "مشارق الأنوار" للصّاغانيّ، فإنْ ترفّعت ارتقت إلى "مصابيح البغويّ" وظنّت أنّها بهذا القدر تصل إلى درجة المحدثين، وما ذاك إلا لجهلها بالحديث، فلو حفظ من ذكرناه هذين الكتابين عن ظهر قلب، وضمّ إليهما من المتون مثليهما لم يكن محدّثا، ولا يصير بذلك محدّثا حتى يلج الجمل في سمّ الخياط، فإذا رامت بلوغ الغاية في الحديث، على زعمها، اشتغلت ب"جامع الأصول" لابن الأثير، وانْ ضمّت إليه كتاب "علوم الحديث" لابن الصّلاح أو مختصره المسمّى ب"التّقريب والتّيسير" للنوويّ، ونحو ذلك فحينئذ ينادَى من انتهى إلى هذا المقام بمحدّث المحدّثين، وبخاريّ العصر، وما ناسب هذه الألفاظ الكاذبة، فإنّ من ذكرناه لا يُعَدُّ محدّثا بهذا القدر))[1].

وقد ناقش الإمام ابن حجر مسألة من هو المحدّث، وخلص إلى القول بأنّ من جمع الأمور الثّلاثة – التي أشار إليها ابن السبكي – كان فقيها ومحدّثا كاملا، ومن حفظ الأسانيد، وطلب الحديث، وجمعه فهو محدّث صرف لا نزاع في ذلك، أما من اعتنى بالمتون وحدها، فلا حظّ له في اسم المحدّث[2].

وقد تحدث السّيوطيّ في مقدمة "تدريب الراوي" عن شروط المحدّث والحافظ، وخلص إلى أنّ لقب الحافظ أخصّ، مستشهدا بقول ابن السُّبكِيّ في شروط المحدّث[3].

وابن السُّبكِيّ في كلامه يجمع بين شروط المحدّث وشروط الحافظ دون تفريق بينهما، وهو

---

(١) ابن السُّبكِيّ، معيد النعم، ص٦٦- ٦٧، وانظر: ابن السُّبكِيّ، منع الموانع، ص٥٤٦- ٥٤٧.

(٢) انظر: ابن حجر، النكت على كتاب ابن الصلاح، ج١، ص٢٣٠.

(٣) انظر: السّيوطيّ، تدريب الراوي، ج١، ص٤٤-٤٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ما يوضحه قول الإمام ابن سيد النّاس؛ فقد قال: ((وأمّا المحدّث في عصرنا فهو: من اشتغل بالحديث رواية ودراية، وجمع بين رواته، واطّلع على كثير من الرواة والروايات في عصره، وتميّز في ذلك حتى عُرِفَ فيه حفظه، واشتهر فيه ضبطه، فإنْ توسع في ذلك حتى عَرَفَ شيوخه وشيوخ شيوخه، طبقة بعد طبقة، بحيث يكون ما يعرفه من كلّ طبقة أكثر ممّا يجهله منها، فهذا هو الحافظ))[1].

المسألة الثّانية: خبر أهل الأهواء والبدع

قال ابن السُّبكيّ في خبر أهل الأهواء والبدع: ((فإنْ علمنا من مذهبهم جواز الكذب؛ إمّا لنصرة رأيهم، أو غير ذلك لم تُقبل روايتهم، وقد ادعى الاتّفاق على ذلك مدّعون، وهذا عندي فيه تفصيل؛ فإنْ اعتقدوا جواز الكذب مطلقا، فالأمر كذلك، وإنْ اعتقدوا جواز الكذب في أمر خاص كالكذب فيما يتعلق بنصرة العقيدة، أو التّرغيب في الطّاعة، والتّرهيب عن المعصية لم يتّجه الاتّفاق إلا على ردّ روايتهم فيما هو متعلق بذلك الأمر الخاص فقط))[2].

يفرق ابن السُّبكيّ في هذه المسألة بين من يستحلّ الكذب مطلقا، وبين من يستحلّه لنصرة العقيدة، أو في التّرغيب والتّرهيب، فيردّ خبر من استحلّ الكذب مطلقا، ولم أجد له في ذلك سلف، لأنّه ما من اصحاب بدعة يستحلون الكذب مطلقا إلا ويخصّونه لنصرة مذهبهم.

وقبل ابن السبكي خبر من استحلّ الكذب في أمر مخصوص إذا روى ما لا يتعلّق بذلك الأمر الذي استحلّ الكذب له، والأمر خلاف ما ذهب إليه ابن السُّبكيّ؛ قال الشافعي: ((وتقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية من الرافضة؛ لأنهم يرون الشهادة بالزور لموافقيهم)).

---

(١) السيوطي، تدريب الراوي، ج١، ص٤٨.

(٢) ابن السُّبكيّ، الإبهاج، ج٥، ص١٩٠٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وقال الخطيب: ((ذهبت طائفة من أهل العلم إلى قبول أخبار أهل الأهواء الذين لا يعرفون منهم استحلال الكذب، والشهادة لمن وافقهم بما ليس عندهم فيه شهادة))[1].

وقال السّيوطيّ: ((قيل يحتجّ به إنْ لم يكن ممن يستحلّ الكذب في نصرة مذهبه، أو لأهل مذهبه، سواء أكان داعية أم لا، ولا يقبل إنْ استحلّ ذلك))[2].

وهذا متّجه، لأن ((من عرف بالكذب في حديث واحد صار الكذب هو الظاهر من حاله وسقط العمل بجميع أحاديثه مع جواز كونه صادقا في بعضها))[3].

أما خبر أهل الأهواء والبدع ممن لا يستحلون الكذب لنصرة مذهبهم سواء أكانوا دعاة لتلك البدعة، أم غير دعاة، فخبرهم مقبول إن لم يوافق بدعتهم، وهذا ما يشير إليه نصّ الشافعي السابق، فلم يفرّق بين الداعية، وغير الداعية

وهذا البخاري قد خرّج لعمران بن حطان الخارجي، مادح عبد الرحمن بن ملجم قاتل عليﷺ، وكان خارجيا[4].

المسألة الثّالثة: التّوثيق على الإبهام من غير تسمية المرويّ عنه

قال ابن السُّبكِيّ: ((أمّا المجهول ظاهرا وباطنا فمردود إجماعا، وكذا مجهول العين، فإنْ وصفه نحو الشّافعيّ بالثّقة، فالوجه قبوله، وعليه إمام الحرمين خلافا للصيرفيّ والخطيب، وإنْ قال: لا أتّهم، فكذلك))[5].

---

(١) الخطيب، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر (ت ٤٦٣هـ)، الكفاية في علم الرواية، تحقيق أبو عبد الله السروقيّ وإبراهيم المدنيّ، المدينة المنورة، المكتبة العلمية، ص١٢٠.

(٢) السّيوطيّ، تدريب الراوي، ج١،ص٣٢٥.

(٣) الخطيب، الكفاية، ج١، ص٣٦٤.

(٤) انظر رواية البخاري عن عمران في: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب اللباس، باب لبس الحرير وافتراشه للرجال، ج٥، ٢١٩٤، حديث رقم(٥٤٩٧، وباب نقض الصور، ج٥، ص٢٢٢٠، حديث رقم(٥٦٠٨).

(٥) ابن السُّبكِيّ، جمع الجوامع، ص٦٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقال السّخاويّ: ((أَلْحَقَ ابن السُّبْكِيّ "بحدّثني الثّقة" من مثل الشّافعيّ دون غيره "حدثني من لا أتّهم" في مطلق القبول لا في المرتبة، وفرّق بينهما الذّهبيّ، وقال: إنّ قول الشّافعيّ "أخبرني من لا أتّهم" ليس بحجة؛ لأنّ من أنزله من رتبة الثّقة إلى أنّه غير متّهم، فهو ليّن عنده ولا بدّ، وضعيف عند غيره؛ لأنّه عندنا مجهول، ولا حجّة في مجهول، ونَفْيُ الشّافعيّ التهمة عمّن حدّثه لا يستلزم نفي الضّعف))[1].

ينبغي النّظر في هذه المسألة إلى من صدرت منه تلك الكلمة، فإنْ كان من شأنه أنْ يطلق "حدثني الثّقة" أو "من لا أتّهم" ويقصد به رجلا معروفا ــ كما كان يفعل الإمام الشّافعيّ، والإمام مالك[2]ــ فهو والحالة هذه كمن صرّح باسمه، فَيُبْحَثُ عن حاله، أمّا إنْ لم يكن له حال واحدة، وأطلق ذلك، فالصّحيح عدم اعتباره توثيقا؛ قال الخطيب: ((إذا قال العالِم: كلّ من رويتُ عنه فهو ثقة وإنْ لم أُسمّه، ثم روى عمّن لم يسمّه فإنّه يكون مزكّيا له غير أنّا لا نَعْمَلُ على تزكيته؛ لجواز أنْ نعرفه إذا ذكره بخلاف العدالة))[3].

وأظنّ أنّ ابن السُّبْكِيّ لا يقصد إلحاق قول الشّافعيّ "حدثني من لا أتهم" ب"حدثني الثّقة" في مطلق الحكم على الراوي بقبول روايته، ولذا فقد قال تعليقا على اعتراض الذّهبيّ بأنّ نفي التّهمة لا تعدّ توثيقا: ((وهذا صحيح، غير أنّ هذا إذا وقع من الشّافعيّ على مسألة دينية، فهي والتّوثيق سواء في أصل الحجّة، وإنْ كان مدلول اللفظ لا يزيد على ما ذكره الذّهبيّ، فَمِنْ ثمّ خالفناه في مثل الشّافعيّ، أمّا منْ ليس مثله، فالأمر كما قال))[4].

---

(١) السّخاويّ، فتح المغيث، ج١، ص٣١٢.

(٢) انظر: السّيوطيّ، تدريب الراوي، ج١،ص٣١١- ٣١٢، فقد نقل مقصود الإمام مالك، والإمام الشّافعيّ فيمن قالا فيه "أخبرنا الثّقة".

(٣) الخطيب، الكفاية، ص٩٢، وانظر: السّيوطيّ، تدريب الراوي، ج١، ص٣١٠-٣١١.

(٤) انظر كلام ابن السُّبْكِيّ: السّيوطيّ، تدريب الراوي، ج١، ص٣١٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وهذا ما أشار إليه السّيوطيّ حين قال: ((فإنْ كان القائل عالما أي مجتهدا، كمالك والشّافعيّ، وكثيرا ما يفعلان ذلك، كفى في حقّ موافقه في المذهب لا غيره عند بعض المحقّقين، قال ابن الصبّاغ: لأنّه لا يورد ذلك احتجاجا بالخبر على غيره، بل يذكر لأصحابه قيام الحجّة عنده على الحكم، وقد عرف هو مَنْ روى عنه ذلك))[1].

ثانيا: ترجيحاته في علوم الحديث

المسألة الأولى: تكذيب الأصل الفرع

قال ابن السُّبكيّ: ((الصّحيح عندي: أنّ تكذيب الشّيخ للراوي عنه لا يسقط المرويّ، فما ظنّك بما إذا لم يكذّبه، ولكنّه تردّد وشكّ))[2].

وقال في كتاب آخر: ((المختار وفاقا للسّمعانيّ، وخلافا للمتأخرين: أنّ تكذيب الأصل الفرع لا يسقط المرويّ))[3].

إذا روى الراوي عن شيخه حديثا، فأنكر الشّيخ ذلك الحديث، أو نفاه، فهو على احتمالين؛

الأوّل: أنْ يكون الشّيخ جازما بذلك؛ نحو قوله: ما رويته، أو كذب عليّ.

وقد نبّه السّخاويّ إلى الفرق بين تكذيب الشّيخ للراوي عنه، وردّ الرواية دون تكذيب، فقال: ((فإنْ جزم بالردّ بدون تصريح كقوله: ما رويت هذا، أو ما حدثت به قطّ، أو أنا عالم أنّني ما حدثتك، أو لم أحدثك، فقد سوى ابن الصّلاح تبعا للخطيب وغيره بينهما أيضا، وهو الذي مشى عليه شيخنا في توضيح النّخبة، لكنّه قال في الفتح: إنّ الراجح عندهم أي المحدّثين القبول)) [4].

---

(١) السيوطي، تدريب الراوي، ج١، ص٣١٢.

(٢) ابن السُّبكيّ، الأشباه والنظائر، ج٢، ص١٦٦.

(٣) ابن السُّبكيّ، جمع الجوامع، ص٦٧.

(٤) السّخاويّ، فتح المغيث، ج١، ص٣٤٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الثّاني: أنْ لا يجزم الشّيخ بذلك؛ نحو قوله: لا أذكره، أو لا أعرفه، وجمهور العلماء على قبول ذلك الحديث ((لأنّ المرويّ عنه بصدد النّسيان، والسهو، والراوي عنه ثقة جازم، فلا يردّ بالاحتمال روايته))[1].

والكلام في الاحتمال الأوّل حيث ذهب ابن السُّبكِيّ إلى اختيار رأي ابن السّمعانيّ في عدم سقوط المرويّ، وهو خلاف ما قاله الإمام ابن الصّلاح، والإمام ابن حجر؛ قال الإمام ابن الصّلاح: ((إذا روى ثقة عن ثقة حديثا، وروجع المرويّ عنه فنفاه، فالمختار أنّه إنْ كان جازما بنفيه بأنْ قال: ما رويته، أو كذب عليّ، أو نحو ذلك، فقد تعارض الجزمان، والجاحد هو الأصل، فوجب ردّ حديث فرعه ذلك))[2]، وقال الإمام ابن حجر: ((وإنْ روى عن شيخ حديثا، فجحد الشّيخ مرويّه، فإنْ كان جزما كأن يقول: كذب عليّ، أو ما رويت هذا، أو نحو ذلك، فإنْ وقع منه ذلك، ردّ ذلك الخبر لكذب واحد منهما لا بعينه))[3].

ونقل ابن السُّبكِيّ ذلك الرأي عن ابن الحاجب والأصحاب[4]، إلا أنّه اختار رأي ابن السمعانيّ، وهو اختيار غير صحيح لما أورده ابن السُّبكِيّ من تعليل ابن السمعانيّ لاختياره؛ حيث قال: ((لأنّ الراوي قاله بحسب ظنّه، ولعلّ شيخه نسي، ومع احتمال نسيانه كيف يسقط؟))[5]، والمسألة في الجزم لا في الاحتمال، ولذلك فقد ردّ المحدثون، والأصوليون الحديث دون قدح في عدالة الشّيخ، أو الراوي عنه؛ لأنّ الفرع ((مكذّب لشيخه أيضا في ذلك، وليس

---

(١) ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري أبو عمرو (ت ٦٤٣هـ)، مقدمة ابن الصلاح، تحقيق نور الدين عتر، بيروت – لبنان، دار الفكر المعاصر، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ص١١٨.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) ابن حجر، شرح نخبة الفكر، ص١٣١.

(٤) انظر: ابن السُّبكِيّ، رفع الحاجب، ج٢، ص٤٣١.

(٥) ابن السُّبكِيّ، رفع الحاجب، ج٢، ص٤٣١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

قبول جرح شيخه له بأولى من قبول جرحه لشيخه، فتساقطا))[1]، وقال ابن السُّبكيّ: ((لأنّ عدالة كل واحد منهما على التعيين متيقنة[2]، وكذبه مشكوك فيه، واليقين لا يرفع بالشك))[3].

المسألة الثّانية: رواية الحديث المختصر تامّا

قال ابن السُّبكيّ بعد ذكره لحديث "إذا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ"[4]: ((كذا أورد شيخنا الذّهبيّ بعض الحديث على عادته في كثير من الأوقات، وأنا لا أحبّ ذلك، وعندي أنّه لا يجوز روايته بكماله، وإنّما يروي منه ما صرّح به))[5].

وقد ذكر ابن السُّبكيّ ما يوحي بالخلاف في هذه المسألة؛ فذكر عن الخطيب أنّ الإسماعيليّ سئل عمّن قرأ إسناد الحديث على الشّيخ دون ذكر المتن، فهل يجوز له أنْ يحدّث بجميعه؟

---

(١) ابن الصلاح، المقدمة، ص٦١.

(٢) وردت في المطبوع "منتفية"، والصواب ــ والله أعلم ــ ما أثبتّه لمناسبته السياق.

(٣) ابن السُّبكيّ، رفع الحاجب، ج٢، ص٤٣١.

(٤) حديث صحيح، وتمامه "...قال يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شيئا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وتنجينا من النَّارِ قال فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فما أُعْطُوا شيئا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ من النَّظَرِ إلى رَبِّهِمْ عز وجل"، أخرجه مسلم، الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم، ج١، ص١٦٣، حديث رقم(١٨١).

(٥) ابن السُّبكيّ، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٢٨٧، ثم قال بعد ذلك: ((وعندي أنّه لا يجوز روايته بكماله، وإنّما يُروى منه ما صرّح به، فلهذا اتبعته، واقتصرتُ على القَدْرِ الذي ذكره منه، ولو قال لي علقمة: حدثني عمر بن الخطاب بحديث "إنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ" لما قلت إلا: قال لي علقمة حدثني عمر بحديث "إنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ"، ولم أقل: قال لي علقمة: حدثني عمر أنّ النبي ﷺ قال: "إنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى فَمَنْ كانت هِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كانت هِجْرَتُهُ إلى دُنْيَا يُصِيبُهَا أو امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إليه"، ولو قلتُ ذلك لكنتُ كاذبا على علقمة؛ فإنّه لم يقل لي ذلك، بل لو قلت: إنّ علقمة حدثني بحديث "إنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ" والحالة هذه لكذبتُ عليه، فإنّه لم يحدثني به، فافهم واحترز وراقب قوله ﷺ "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النَّارِ"، وحديث إنّما الأعمال، أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب ما جاء أنّ الأعمال بالنيّة، ج١، ص٣٠، حديث رقم(٥٤)، وحديث من كذب عليّ، أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، ج١، ص٥٢، حديث رقم(١١٠).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فأجاب: أرجو أنْ يجوز[1].

وقد مال ابن السُّبْكِيّ إلى فتوى الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني لمّا سئل ((إذا روى عن الشّيخ الأحاديث الطوال، وقال فيه: وذكر الحديث بطوله، ثمّ أحبّ هذا أنْ يروي الحديث بطوله ولا يختصر، هل له ذلك؟ أجاب الأستاذ أنّ ذلك لا يجوز، قلت: وهذا الذي أراه))[2].

وتتضح خشية ابن السُّبْكِيّ من رواية الحديث المختصر تامّا ــ وتعريضه بمن يفعل ذلك ــ مما قاله أبو العباس الوليد بن بكر[3] بعد أنْ ((ذكر قراءة المحدّث بأسانيد عدّة أحاديث حتى إذا بلغ صدور المتون قرأ منها مقدار ما يُعرف به الحديث، ثمّ أمسك عن قراءة باقيه، ويقول: وذكر الحديث بطوله، قال الوليد: وهذا إنّما يصلحُ إذا كان الرواي والطّالب ممّن يعرف الأحاديث، وكان الفرع مُقَابَلا بالأصل، أو كان مشهورا من الحديث لا يَخْتَلِفُ لفظه، وينبغي في مثل هذا أنْ يقول: وذكر الحديث إلى موضع كذا، استظهارا من أنْ يكون فيه زيادة في بعض الروايات، ولا يكون في بعضها))[4].

---

(١) قال الإسماعيليّ: ((البيان أولى، ولكن إذا عرف المحدّث والقارئ ذلك الحديث بطوله، فأرجو أنْ يجوز ذلك، والبيان أولى، أنْ يقول كما كان))، الخطيب، الكفاية، ص٣١٠، وهو ما ذُكِرَ أيضا عن أبي عليّ الزّجاجيّ، انظر: ابن السُّبْكِيّ، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٢٨٨.

(٢) المصدر السابق، ج٤، ص٢٥٩.

(٣) هو الإمام الوليد بن بكر بن مخلد الحافظ العالم أبو العباس الغمري الأندلسي السرقسطي، كان إماما في الحديث والفقه، عالما بالعربية، انظر ترجمته في: الحميدي، محمد بن فتّوح بن عبد الله (ت٤٨٨هـ)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، ج١، ص١٢٩، والذّهبيّ، سير الأعلام، ج١٧، ص٦٥، والصفدي، الوافي بالوفيات، ج٧، ص٤٥١، والسّيوطيّ، طبقات الحفاظ، ج١، ص٤١٩- ٤٢٠، والزركلي، الأعلام، ج٨، ص١١٩.

(٤) الخطيب، الكفاية، ص٣١٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المسألة الثّالثة: مباحث في الإرسال

اختار ابن السُّبكِيّ القول بأنّ الحديث المرسل هو قول غير الصحابي قال رسول الله ﷺ، وهو يوافق بذلك ما ذهب إليه بعض الفقهاء، والأصوليون، فيدخل فيه المنقطع والمعضل، وأما المحدّثون فيخصّونه بقول التابعي قال رسول الله ﷺ، وهو أدقّ لما فيه من تفريق بين ما هو متفق على ردّه – كالمنقطع والمعضل – وبين ما هو مختلف في قبوله.

أمّا مسألة الاحتجاج بالحديث المرسل، فقد أورد ابن السُّبكِيّ عدّة نصوص توضّح ما ذهب إليه في حكم الحديث المرسل، حيث قال في معرض تعليقه على حديث أبي العالية: ((... فنقول أبو العالية تابعيّ، والمرسل عندنا لا حجّة فيه))[1]، ولمّا ذكر الحديث المرسل قال فيه: ((والصّحيح ردّه، وعليه الأكثر؛ منهم الشّافعيّ، والقاضي))[2].

يتّضح من هذين النصّين أنّ ابن السُّبكِيّ يوافق ما ذهب إليه كثير من المحدثين، والفقهاء، والأصوليين في ردّ الحديث المرسل، وعدم الاحتجاج به[3].

والنّاظر إلى صنيع ابن السُّبكِيّ، وتصريحه، يجد أنّ له موقفا آخر في حكم المرسل؛ فمن أقواله: ((فإنْ كان لا يروي إلا عن عدل، كابن المسيب، قبل وهو مسند))[4]، وقال في مرسل أئمّة النّقل: ((والمراد بأئمّة النّقل من لهم أهليّة الجرح والتّعديل، وأمّا من ليس منهم فما نظنّ

---

(١) ابن السُّبكِيّ، الإبهاج، ج٥، ص١٩٩١.

(٢) ابن السُّبكِيّ، جمع الجوامع، ص٧٣، ويجدر التنبيه إلى أنّ الإمام الشافعي لم يردّ المرسل بل قبله بشروط، فهو رأي ثالث بين القبول والردّ.

(٣) قال الإمام مسلم: ((والمرسل من الروايات ــ في أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ــ ليس بحجّة))، مسلم، مقدمة الصحيح، ج١، ص٣٠، وقال الخطيب: ((والذي نختاره من هذه الجملة، سقوط فرض العمل بالمراسيل، وأنّ المرسل غير مقبول))، الخطيب، الكفاية، ص٣٨٧.

(٤) ابن السُّبكِيّ، جمع الجوامع، ص٧٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بذي مُسكَة قبول مراسيله))[1].

فعلى هذا يتلخص موقف ابن السُّبْكِيّ في حكم الحديث المرسل، بأنه يردّه ولا يحتجّ به، أمّا إنْ احتفّ بقرائن توحي بأنّ له أصلا قبله، وقد وضّح ابن رجب هذا التّردّد في قبول المرسل، وعدم قبوله، فقال: ((واعلَم أنّه لا تنافي بين كلام الحفّاظ، وكلام الفقهاء في هذا الباب، فإنّ الحفّاظ إنّما يريدون صحّة الحديث المعيّن إذا كان مرسلاً، وهو ليس بصحيح على طريقهم، لانقطاعه وعدم اتصال إسناده إلى النبي ﷺ، وأمّا الفقهاء فمرادهم صحّة ذلك المعنى الذي دلّ عليه الحديث، فإذا أعضد ذلك المرسل قرائن تدل على أنّ له أصلا قوي الظنّ بصحة ما دلّ عليه، فاحتُجَّ به مع ما احتفّ به من القرائن، وهذا هو التّحقيق في الاحتجاج بالمرسل عند الأئمّة))[2].

ثمّ قال ابن السُّبْكِيّ: ((فإنْ تجرّد ولا دليل سواه، فالأظهر الانكفاف لأجله))[3].

قال العراقيّ: ((الذي فهمته من هذه العبارة، أنّ المجتهد ينكف عن العمل في تلك المسألة بما يقتضيه المرسل، لأنّه غير حجة، وبما يخالفه لاحتمال كونه حجة، وهذا معنى قوله: لأجله، وحاصله أنّه يُحْدِثُ شبهة توجب التّوقف في تلك المسألة))[4].

فهذا رأي آخر تبعه ابن السُّبْكِيّ، فهو موافق لغيره في ردّ المرسل، وموافق في قبوله إنْ احتفت به قرائن تقوّي الظّنّ بصحّة أصله، أمّا إنْ انفرد في المسألة، فلا يحتجّ به لاحتمال ضعفه، ولا يحتجّ بمعارضه لاحتمال صحّة المُرْسَل.

---

(١) ابن السُّبْكِيّ، رفع الحاجب، ج٢، ص٤٦٥.

(٢) ابن رجب، شرح علل التِّرْمِذِيّ، ج١، ص٢٩٧- ٢٩٨.

(٣) ابن السُّبْكِيّ، جمع الجوامع، ص٧٣.

(٤) العراقي، زين الدين عبد الرحيم أبو الفضل (ت٨٠٦هـ)، الغيث الهامع شرح جمع الجوامع، تحقيق محمّد حجازي، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م، ص٤٧٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وقد فسّر ابن السُّبكِيّ عدم الاحتجاج بمثل ذلك بقوله: ((نحن لا نثبت حكما، وإنّما نكفّ عمّا كنّا عاملين به إلى استتمام البحث))[1].

وقد عزا السّيوطيّ القول بالانكفاف عن العمل بالمرسل ــ والحالة هذه ــ إلى الإمام الشّافعيّ، حيث قال: ((إنْ لم يكن في الباب دليل سوى المرسل، فثلاثة أقوال للشّافعيّ، ثالثها وهو الأظهر: يجب الانكفاف لأجله))[2].

المطلب الثّالث: نقد الرجال

نقد الرجال مصطلح يقصد به علم الجرح والتعديل، وموضوعه اثبات عدالة الراوي وضبطه، أو ثلمها، وغايته صيانة السنة النبوية من كل دخيل، وقد ذكر ابن السبكي في مصنفاته أحكاما بالتوثيق، وأخرى بالتجريح، وتكمن فائدة ذلك في بيان صحة ما ذهب إليه ابن السبكي من الآراء الفقهية، أو الأصولية، أو اللغوية، أو صحة اعتراضه على الخصم، وسأعرض فيما يلي بعض الأمثلة:

أولا: توثيق الرواة

١- قال ابن السُّبكِيّ في ترجمة أبي عبد الرحمن السُّلَمِيّ[3]: ((قال الخطيب: قال لي محمّد ابن يوسف النيسابوريّ القطّان: كان السُّلَمِيّ غير ثقة، وكان يضع للصّوفيّة، قال الخطيب: قَدْرُ

---

(١) ابن السُّبكِيّ، رفع الحاجب، ج٢، ص٤٨٠.

(٢) السّيوطيّ، تدريب الراوي، ج١، ص٢٠٢.

(٣) هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى أبو عبد الرحمن السُّلَميّ النيسابوري، روى عن الأصم وغيره، قال ابن الجوزي: كانت له عناية بأخبار الصوفية، فصنف لهم تفسيرا على طريقتهم، ونقل الخطيب عن محمد بن يوسف النيسابوري القطّان، قال: كان يضع للصوفية، فقال الخطيب: قدر أبي عبد الرحمن عند أهل بلده جليل، وكان مع ذلك مجودا صاحب حديث، وقال ابن ناصر الدين: هو حافظ زاهد لكن ليس بعمدة، وله في حقائق التفسير تخريف كثير، ولد سنة ثلاثين وثلاثمائة، ومات في شعبان سنة اثنتي عشرة وأربع مائة، انظر ترجمته في: الذهبي، العبر في خبر من غبر ج٣، ص١١١، وميزان الاعتدال، ج٦، ص١١٨، وابن كثير، =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أبي عبد الرحمن عند أهل بلده جليل، وكان مع ذلك محمودا صاحب حديث، قلت: قول الخطيب فيه هو الصّحيح، وأبو عبد الرحمن ثقة، ولا عبرة بهذا الكلام فيه))[1].

٢- قال في الحديث عن نسب أمّ الشّافعيّ هل هي أسْدية، أم من ولد علي بن أبي طالب ﷺ؟ بعد أن نقل ترجيح البيهقيّ وغيره أنّها أسْدية: ((جعل البيهقيّ الحمل فيه على أحمد بن الحسين ابن أبي مروان[2]، واحتجّ بمخالفة سائر الروايات له، قلت: ... وضعف ابن أبي مروان لم يثبت عندنا، ولو كان لم يسكت عنه الحاكم، إنْ شاء الله))[3].

٣- قال في حديثه عن المجهول: ((فإنْ قيل: قد قبلتم المجهول؛ وذلك أنّ عبد الرحمن بن وعلة المصريّ[4] رجل مجهول، وقد روى عن ابن عبّاس أنّ النّبيّ ﷺ قال: "أيّما أهاب دبغ فقد

=

البداية والنهاية، ج١٢، ص١٢، وابن حجر، لسان الميزان، ج٥، ص١٤٠، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٢٥٦، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص١٩٦.

(١) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٤، ص١٤٤- ١٤٥، وكلام ابن السُّبْكِيّ في أبي عبد الرحمن موافق لما عليه النّقاد.

(٢) هو أحمد بن الحسين بن أحمد بن مروان بن عبيد بن أبي مروان الضبي المرواني النيسابوري أبو نصر سمع ابن خزيمة والسراج ومحمد بن حمدون وطائفة، روى عنه الحاكم وأبو حفص بن مسرور وأبو سعد الكنجروذي وآخرون، وتفرد بالرواية عن بضعة عشر شيخا، مات في سنة ثمانين وثلاث مائة، انظر ترجمته في: السمعانيّ، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي أبو سعيد (ت٥٦٢هـ)، الأنساب، تحقيق عبد الله البارودي، بيروت – لبنان، دار الفكر، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨، ج٥، ص٢٦٤، والذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢٦، ص٦٥٥، وسير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ج١٦، ص٣٩٥، والعبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م، ج٣، ص١٥، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص٩٦.

(٣) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٢، ص١٧٨، وقال أيضا: ((أما تضعيف البيهقيّ فصادر من لين أحمد بن الحسين بن أبي مروان عنده، وإذا ضعّف الرّجل في السند، ضعف الحديث من أجله، ولم يكن في ذلك دلالة على بطلانه، بل قد يصحّ من طريق أخرى، وقد يكون هذا الضّعيف صادقا ثبتا في هذه الرواية، فلا يدلّ مجرّد تضعيفه والحمل عليه على بطلان ما جاء به))، المصدر السابق، ج١، ص١٩٤.

(٤) هو عبد الرحمن بن وعلة السبئي المصريّ، ويقال ابن السميفع بن وعلة، روى عن عبد الله بن عبّاس، =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

طهر"، ونُقل عن أحمد بن حنبل أنّه ذُكِرَ له حديثُه هذا فقال: ومن ابن وعلة؟ قلنا: ليس ابن وعلة مجهولا، بل هو ثقة، روى عنه زيد بن أسلم، ويحيى بن سعيد وغيرهما، ووثّقه ابن معين والعجلي والنَّسَائِيّ، وروى له مسلم والأربعة))[1].

٤- نقل قول ابن عبد البر في عقبة بن أوس[2] بأنّه مجهول[3]، فقال: ((ولعلّ عرق العصبيّة للمالكيّة لحقه، وإلاّ فليس عقبة بمجهول، بل معروف، روى عنه ابن سيرين، كما ذكر

=

وعبد الله بن عمر بن الخطاب، روى عنه جعفر بن ربيعة، وزيد بن أسلم، والقعقاع بن حكيم، ويحيى بن سعيد الأنصاريّ، قال يحيى بن معين: ثقة، وكذلك قال العجليّ والنّسائيّ، وقال أبو حاتم: شيخ، وذكره ابن حبّان في الثّقات، وقال ابن حجر: ذكره أحمد فضعفه في حديث الدباغ، وقال في التّقريب: صدوق، قيل مات سنة مائة أو نحوها، انظر ترجمته في: البخاريّ، التّاريخ الكبير، ج٥، ص٣٥٩، والعجلي، معرفة الثقات، ج٢، ص٨٩، والعجلي، معرفة الثقات، ج٢، ص٨٩، وابن أبي حاتم، الجرح والتّعديل، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٣٧٢هـ – ١٩٥٢م، ج٥، ص٢٩٦، وابن حبّان، الثّقات، ج٥، ص١٠٥، والمزي، تهذيب الكمال، ج١٧، ص٤٧٨، والذّهبيّ، تاريخ الإسلام، ج٦، ص٤١٧، والكاشف، ج١، ص٦٤٨، وابن حجر، تقريب التّهذيب، ص٣٥٢، وتهذيب التّهذيب ج٦، ص٢٦٣، ولسان الميزان، تحقيق دائرة المعرف النظامية – الهند، بيروت – لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٣، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، ج٧، ص٢٨٥.

(١) ابن السُّبْكِيّ، الإبهاج، ج٥، ص١٩١٨- ١٩١٩، وقد اتضح من كلام ابن حجر أنّ الإمام أحمد إنّما قال بضعفه لحديث الدباغ، ولم يكن حكمه مطلقا فيه، فلا يخالف في ذلك قول من قال أنّ ابن وعلة ثقة.

(٢) هو عقبة بن أوس السّدوسيّ البصريّ، ويقال: يعقوب بن أوس، روى عنه القاسم بن ربيعة، ومحمّد بن سيرين، وعلي بن زيد بن جدعان، قال العجليّ: بصري تابعي ثقة، وذكره ابن حبّان في الثّقات، وقال الذّهبيّ: وثّق، وقال ابن حجر: تابعي مشهور، وقال في التّقريب: صدوق، وقال ابن سعد: كان ثقة قليل الحديث، انظر ترجمته في: ابن سعد، الطّبقات الكبرى، ج٧، والبخاريّ، التّاريخ الكبير، ج٦، ص٤٣٤، والعجليّ، معرفة الثّقات، ج٢، ص١٤٢، وابن أبي حاتم، الجرح والتّعديل، ج٦، ص٣٠٨، وابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد(ت٤٦٣هـ)، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، تحقيق سالم عطا ومحمد معوض، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، ج٨، ص٤٦، والمزّيّ، تهذيب الكمال، ج٢٠، ص١٨٧، والذهبي، الكاشف، ج٢، ص٢٨، ص١٥٤، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي البجاويّ، بيروت – لبنان، دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م ج٥، ص٢٧٧، وتقريب التّهذيب، ص٣٩٤، وتهذيب التّهذيب، ج٧، ص٢١١.

(٣) قال ابن عبد البر: ((وأما عقبة بن أوس، فرجل مجهول؛ لم يرو عنه إلا القاسم بن ربيعة فيما علمت، يقال فيه التّوسيّ، ويقال فيه السّدوسيّ، وقد قيل فيه: يعقوب بن أوس، وقال يحيى بن معين: عقبة بن أوس هو يعقوب بن أوس))، ابن عبد البر، الاستذكار، ج٨، ص٤٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ابن خزيمة، وروى عنه أيضا القاسم بن ربيعة، وابن جدعان، وقال فيه أحمد بن عبد الله العجليّ: بصريّ تابعيّ ثقة، ولم يتكلّم فيه أحد بجرح))[1].

٥- قال في ترجمة أحمد بن صالح المصريّ[2] بعد أنْ تعقب كلام النّسائيّ[3]: بأنه ليس بثقة ولا مأمون، وذكر أقوال الأئمّة في تعديله: ((أحمد بن صالح ثِقَةٌ إمام، ولا التفات إلى كلام من تكلّم فيه))[4].

ثانيا: تجريح الرواة

١- قال ابن السُّبكيّ بعد أنْ ذكر حديثا من طريق المُنْكَدِر بن محمّد[5]: ((والمُنْكَدِر بن

---

(١) ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج٣، ص١١٥-١١٦.

(٢) هو أحمد بن صالح المصريّ أبو جعفر الحافظ، المعروف بابن الطّبريّ، أحد الحفاظ المبرزين، والأئمّة المذكورين، روى عن إبراهيم بن الحجاج من أصحاب عبد الرزاق، وأسد بن موسى المصريّ، روى عنه البخاريّ وأبو داود وجماعة، وسمع منه النّسائيّ ولم يحدث عنه، قال أبو نعيم الفضل بن دكين: ما قدم علينا أحد أعلم بحديث أهل الحجاز من هذا الفتى يريد أحمد بن صالح، ونقل ابن عدي عن أبي زرعة الدّمشقيّ قال: قدمت العراق فسألني أحمد بن حنبل من خلّفت بمصر؟ قلت: أحمد بن صالح، فسر بذكره، وذكر خيرا ودعا الله له، وقال البخاريّ: أحمد بن صالح ثقة صدوق، ما رأيت أحدا يتكلم فيه بحجة، وقال أبو حاتم: ثقة، كتبت عنه بمصر وبدمشق وبأنطاكية، ذكره النسائي وأساء الثناء عليه، وقال العجليّ: ثقة صاحب سنّة، وقال أبو داود: كان يقوّم كل لحن في الحديث، وقال الذّهبيّ: يقارب يحيى بن معين في الحفظ والإتقان، قال ابن حجر: ثقة حافظ، تكلم فيه النّسائيّ بسبب أوهام له قليلة، ونقل عن ابن معين تكذيبه، وجزم ابن حبّان بأنّه إنّما تكلم في أحمد بن صالح الشمومي، فظنّ النّسائيّ أنّه عنى ابن الطبريّ، توفي سنة ٢٤٨هـ، انظر ترجمته في: النّسائيّ، الضعفاء والمتروكين، تحقيق محمود إبراهيم زايد، حلب – سوريا، دار الوعي، ط١، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م، ج١، ص٢٢، والباجيّ، التّعديل والتّجريح، ج١، ص٣٢٤، والمزّيّ، تهذيب الكمال، ج١، ص٣٤٠، وابن حجر، تقريب التّهذيب، ص٨٠، وتهذيب التّهذيب، ج١، ص٣٤، ولسان الميزان، ج١، ص١٨٦.

(٣) قال النّسائيّ: ((أحمد بن صالح المصري، ليس بثقة))، النّسائيّ، الضّعفاء والمتروكين، ج١، ص٢٢.

(٤) ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج٢، ص٨.

(٥) هو المُنْكَدِر بن محمّد بن المُنْكَدِر القرشيّ التّيميّ المدنيّ، روى عن أبيه، روى عنه محمّد بن طلحة التّيميّ، ومعن بن عيسى، وأبو إسحاق الطالقانيّ، سئل عنه أحمد بن حنبل، فقال: هو ثقة، وقال العجلي: ضعيف، وقال السعديّ: ضعيف الحديث، وقال النّسائيّ وأبو زرعة: ليس بالقوي، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال مرة: ليس به بأس، وقال ابن حبّان: كان من خيار عباد الله، فقطعته العبادة عن الحفظ، وقال الذّهبيّ: فيه لين، وقد وثقه أحمد، وقال في التّقريب: ليّن الحديث، انظر ترجمته في: ابن سعد، الطّبقات الكبرى، القسم المتمّم لتابعي =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

محمّد الذي وقع في روايتنا هذه غلبت عليه العبادة، فقطعته عن الحفظ))[1].

٢- قال في تعليقه على حديث "الاثنان فما فوقهما جماعة": ((ورواه ابن ماجة من حديث الرّبيع بن بدر، المعروف بعليلة[2]، وهو أيضا ضعيف))[3].

٣- قال في تعليقه على رواية ابن دحية[4]: ((وابن دحية لا تقبل روايته؛ فإنّه متّهم بالوضع

=

أهل المدينة ومن بعدهم، تحقيق زياد محمد منصور، المدينة المنورة – السعودية، مكتبة العلوم والحكم، ط٢، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ص٤٦٠، والعجليّ، معرفة الثقات، ج٢، ص٣٠٠، والعقيليّ، أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى (ت٣٢٢هـ)، الضعفاء الكبير، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، بيروت – لبنان، دار المكتبة العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، ج٤، ص٢٥٤، وابن أبي حاتم، الجرح والتّعديل، ج٨، ص٤٠٦، وابن حبّان، المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق محمود إبراهيم زايد، حلب – سوريا، دار الوعي، ط١، ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م، ج٣، ص٢٣، وابن عديّ، عبد الله بن عبد الله بن محمد أبو أحمد الجرجانيّ(ت٣٦٥هـ)، الكامل في ضعفاء الرّجال، تحقيق يحيى غزاوي، بيروت – لبنان، دار الفكر، ط٣، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م، ج٦، ص٤٥٤، وابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج(ت٥٧٩هـ)، الضعفاء والمتروكين، تحقيق عبد الله القاضي، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١،١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م، ج٣، ص١٤١، والمزّيّ، تهذيب الكمال، ج٢٨، ص٥٦٢، والذّهبيّ، الكاشف، ج٢، ص٢٩٨، والمغني في الضّعفاء، تحقيق نور الدين عتر، حلب – سوريا، دار المعارف، ١٣٩٠هـ – ١٩٧١م، ج٢، ص٦٧٩، وابن حجر، تقريب التّهذيب، ص٥٤٧، وتهذيب التّهذيب، ج١٠، ص٢٨١، ولسان الميزان، ج٧، ص٤٠٠.

(١) ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج١٠، ص١٧١.

(٢) هو الربيع بن بدر يقال له عليلة، السعديّ التميميّ البصريّ، روى عن أبيه وأبي الزبير، قال البخاريّ: يخالف في حديثه، وقال السعديّ: واهي الحديث، وقال أبو حاتم: لا يشتغل به ولا بروايته؛ فإنّه ذاهب الحديث، وقال النّسائيّ والأزديّ والدّار قطنيّ: متروك الحديث، وقال ابن حبّان: يقلب الأسانيد، توفي سنة ١٧٨هـ، انظر ترجمته في: البخاريّ، التّاريخ الصّغير، تحقيق محمد إبراهيم زايد، بيروت – لبنان، دار المعرفة، ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، ج٢، ص١٧٦، والتّاريخ الكبير، ج٣، ص٢٧٩، والجوزجانيّ، إبراهيم بن يعقوب أبو إسحاق (ت٢٥٩هـ)، أحوال الرّجال، تحقيق صبحي السامرائيّ، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، ص ١١٣، والعقيليّ، الضّعفاء، ج٢، ص٥٣، وابن أبي حاتم، الجرح والتّعديل، ج٣، ص٤٥٥، وابن حبّان، المجروحين، ج١، ص٢٩٧، وابن عدي، الكامل في ضعفاء الرّجال، ج٣، ص١٢٧، وابن الجوزيّ، الضّعفاء والمتروكين، ج١، ص٢٧٩، والمزّيّ، تهذيب الكمال، ج٩، ص٦٣، والذّهبيّ، الكاشف، ج١، ص٣٩١، والمغني في الضّعفاء، ج١، ص٢٢٦، وابن حجر، تقريب التّهذيب، ص٢٠٦، وتهذيب التّهذيب، ج٣، ص٢٠٧.

(٣) ابن السُّبكيّ، الإبهاج، ج٣، ١٣٣٤.

(٤) هو عمر بن الحسن بن عليّ بن محمّد، أبو الخطّاب، ابن دحية الكلبيّ توفي سنة ٦٣٣هـ، أديب، مؤرخ، حافظ للحديث، رحل إلى مراكش والشّام والعراق وخراسان، واستقر بمصر، وكان كثير الوقيعة في العلماء والائمّة، فأعرض بعض معاصريه عن كلامه، وكذّبوه في انتسابه إلى " دحية " وقالوا: إنّ دحية الكلبيّ لم يعقب، من تصانيفه "المطرب من

=

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
Arabic Digital Library-Yarmouk University

على رسول الله ﷺ))[1].

٤- قال في تعليقه على حديث "إذا اختلف المتبايعان": ((ثمّ إنّه يرويه الحسن بن عمارة[2]، وهو متروك، رديء الحفظ))[3].

٥- قال في تعليقه على حديث "ليس الخبر كالمعاينة": ((ومن الأمثال "ليس الخبر كالمعاينة"، وهو مروي؛ رواه أحمد بن محمّد الملحمي[4]، وهو ضعيف))[5].

=

أشعار أهل المغرب"، و"الآيات البينات"، و "نهاية السول في خصائص الرسول"، وهو متّهم في نقله مع أنّه كان من أوعية العلم، انظر ترجمته في: ابن خلّكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ)، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت – لبنان، دار الثقافة، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م، ج٣، ص٤٤٨، والذّهبيّ، سير أعلام النّبلاء، ج٢٢، ص٣٨٩، والمقتنى في سرد الكنى، تحقيق محمد صالح عبد العزيز، المدينة المنورة – السعودية، الجامعة الإسلامية، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ج١، ص٢١٨، وميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م، ج٥، ص٢٢٤، وسبط ابن العجمي، برهان الدين الحلبي أبو الوفا إبراهيم بن محمد (ت٨٤١هـ)، الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط، تحقيق علاء الدين علي رضا، القاهرة – مصر، دار الحديث، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ص٣٦٨، وابن حجر، لسان الميزان، ج٤، ص٢٩٢، والسّيوطيّ، بغية الوعاة، ج٢، ص٢١٨، والزركليّ، الأعلام، ج٥، ص٤٤.

(١) ابن السُبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٥، ص١٨٩.

(٢) هو الحسن بن عمارة بن المضرّب الكوفيّ البجليّ مولاهم، أبو محمد الفقيه المشهور، كان على قضاء بغداد في خلافة المنصور، وقال أحمد بن حنبل: الحسن بن عمارة متروك الحديث؛ أحاديثه موضوعة، لا يكتب حديثه، وقال ابن معين: الحسن بن عمارة ليس حديثه بشيء، وقال أبو حاتم: هو متروك الحديث، وقال ابن حجر: ضعفه الجمهور، وقال ابن حبّان: كان بليته التّدليس، توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة، انظر ترجمته في: البخاريّ، التّاريخ الكبير، ج٢، ص٣٠٣، والعجليّ، معرفة الثّقات، ج١، ص٢٩٩، وابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج٣، ص٢٧، وابن حبّان، المجروحين، ج١، ص٢٢٩، والمزّيّ، تهذيب الكمال، ج٦، ص٢٦٥، والذّهبيّ، الكاشف، ج١، ص٣٢٨، وابن حجر، تقريب التّهذيب، ص١٦٢، وتهذيب التّهذيب، ج٢، ص٢٦٣، وطبقات المدلسين، تحقيق عاصم بن عبدالله القريوتي، عمان – الأردن، مكتبة المنار، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ص٥٣.

(٣) ابن السُبْكِيّ، الإبهاج، ج٤، ص١٥٦٠.

(٤) هو أحمد بن محمّد بن حرب الملحميّ الجرجانيّ أبو الحسن، وأخرج له ابن عدي عدّة أحاديث يقول في كل منها أنّه باطل، وكرر تكذيبه في عدّة مواضع، وقال: كان يلقن فيتلقن، وهو مشهور بالكذب ووضع الحديث، وقال ابن حبّان: أردت السماع منه فأخذ جزءا فرأيت فيه ما استدللت به على أنّه كان يضع الحديث فلم اشتغل به، انظر ترجمته في: الجرجاني،تاريخ جرجان، ص٧٢، وابن حبّان، المجروحين، ج١، ص١٥٤، وابن عدي، في ضعفاء الرّجال، ج١، ص٢٠٠، وابن عدي، في ضعفاء الرّجال، ج١، ص٢٠٠، وابن الجوزيّ، الضّعفاء والمتروكين، ج١، ص٨٥، وسبط ابن العجمي، الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث، ص٥٢، وابن حجر، لسان الميزان، ج١، ص٢٥٨.

(٥) ابن السُبْكِيّ، الإبهاج، ج٥، ص١٥٩٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطلب الرّابع: نقد الأحاديث

((النقد والتنقاد: تمييز الدّراهم، وإخراج الزّيف منها))[1]، هذا في اللغة، ويقصد به اصطلاحا: تمييز الأحاديث الصّحيحة من الضّعيفة، أو الموضوعة، والحكم على الرواة توثيقا، أو تجريحا[2].

إنّ التّصدي لنقد الأحاديث، والحكم عليها، أمر شاقّ يستلزم اعتبار الأسانيد والمتون، ورصيدا كافيا في معرفة الرّجال، كيف لا والخطأ والوهم قد يدخل ((على أي جزء منها؛ فقد يخطئ في ذكر الاسم، وقد يخطئ في عبارة التّحمل، حدثنا أو أخبرنا، وقد يخطئ في الرفع، أو الوقف، أو الإرسال، وقد يخطئ في عبارة المتن))[3].

وقد خاض ابن السُّبْكِيّ هذا المضمار، وتعرض لنقد المرويات، سواء أكان هذا النّقد يفضي إلى تصحيح الأحاديث، أو تضعيفها، وسأذكر فيما يلي جملة من الأمثلة على أحكامه على الأحاديث تصحيحا، أو تضعيفا، متبعا ذلك أمثلة ممّا استدركه على غيره من العلماء.

أولا: أمثلة من تصحيح ابن السُّبْكِيّ للأحاديث

١- قال في ترجمة أحمد بن عمرو بن السرح أبو الطاهر المصري: ((وتفرد عن ابن وهب بحديث؛ فقال: حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبي يونس عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "كلُّ بَني آدَمَ سَيِّدٌ والرَّجُلُ سَيِّدُ أهْلِهِ والمَرْأةُ سَيِّدَةُ بَيْتِهَا"[4]، هذا حديث صحيح

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري(ت٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت – لبنان، ط١، دار صادر، ١٣١٧هـ -١٩٠٠م، ج٣، ص٤٢٥.

(٢) انظر: الأعظمي، محمد مصطفى، منهج النقد عند المحدثين نشأته وتاريخه، الرياض – السعودية، مكتبة الكوثر، ط٣، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص٥.

(٣) همام عبد الرحيم سعيد، الفكر المنهجي عند المحدثين، مجلة الأمة، الدوحة – قطر، العدد(١٦)، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص١٠٨.

(٤) الحديث أخرجه ابن السنيّ بسنده إلى أحمد بن عمرو بن السرح ثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

غريب))[1].

وقد ذكر الحديث الإمام ابن عدي مبينا تفرد ابن السرح عن ابن وهب[2]، وقال الذّهبيّ بعد أن ذكره: ((رواته ثقات))[3]، وقال عنه في السير: ((هذا حديث صالح الإسناد غريب))[4].

٢- قال في حديث "رُدُّوا السَّائِلَ وَلَوْ بِظِلْفٍ مُحْرَقٍ "[5]: ((روي بإسناد جيّد، رويناه في

=

أبي يونس عن أبي هريرة ﷺ قال: قال: رسول الله ﷺ "كل نفس من بني آدم سيد فالرجل سيد أهله والمرأة سيدة بيتها"، ابن السنيّ، أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري(ت٣٦٤هـ)، عمل اليوم والليلة، تحقيق كوثر البرني، جدة - السعودية، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ص٣٤٦، حديث رقم ٣٨٨، ولم أقف على الحديث عند غير ابن السنيّ.

(١) ابن السُبْكِيّ، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٢٦.

(٢) انظر: ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ج١، ص١٨٢، وج٤، ص٢٠٤، والمزّيّ، تهذيب الكمال، ج٥، ص٥٥١.

(٣) الذّهبيّ، تذكرة الحفاظ، ج٢، ٦٨.

(٤) الذّهبيّ، السير، ج١٢، ص٦٣

(٥) حديث حسن، أخرجه ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي(ت٢٣٥هـ)، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال يوسف الحوت، الرياض - السعودية، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، ج٢، ص٣٥٣، حديث رقم(٩٨٢٢)، وأحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني(ت ٢٤١هـ)المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ج٤٥، ص٤٤٠، حديث رقم(٢٧٤٥٠)، والتِّرْمِذِيّ، الجامع الكبير، كتاب الزكاة، باب ما جاء في حق السائل، ج٢، ص٢٠٢، حديث رقم(٦٧١)، وقال حسن صحيح، ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني (ت٢٨٧هـ)، الآحاد والمثاني، تحقيق باسم جوابرة، الرياض - السعودية، دار الراية، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ج٦، ص١٥٣، حديث رقم(٣٣٨١)، والنَّسائِيّ، السنن الكبرى، تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد كسروي، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، كتاب الزكاة، باب رد السائل ولو بشيء، ج٢، ص٤٢، حديث رقم(٢٣٤٦)، وابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي(ت٣٥٤هـ)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م،، ج٨، ص١٦٧، حديث رقم(٣٣٧٤)، والطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم (ت٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق حمدي السلفي، الموصل - العراق، مكتبة الزهراء، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م،، ج٢٤، ص٢١٩- ٢٢٠، حديث رقم(٥٥٥- ٥٥٨)، والظلف للبقر والغنم، كالحافر للفرس والبغل، والخف للبعير، ومحرق أي محترق، انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الأثر، ج٣، ص١٥٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

جزء البطاقة))[1].

وقد ذكر ابن عبد البر هذا الحديث، وحكم بوجود قلب في اسناده[2]، وقال ابن الأثير: ((أخرج أحمد بن حنبل هذا المتن في ترجمة حواءَ جدة عمرو بن معاذ، فعلى هذا تكون حواء جدّة ابن بجيد أيضاً، وأخرج أبو نُعَيم وأبو عمر هذا المتن في ترجمة حواء أم بُجيد قبل هذه الترجمة، وأخرجه أبو عمر في هذه الترجمة أيضا، فيكون أبو عمر قد أخرجه في ترجمتين، وهذا يدل على أنهما واحدة، وقد جعلهما اثنتين))[3].

وقال ابن حجر: ((حواء جدة عمرو بن معاذ الأنصارية، فرّق ابن سعد بينها وبين حواء أم بجيد، وهما واحدة))[4]، فعلى هذا لا يكون هناك قلب في إسناد الحديث.

وورد كذلك خلاف في اسم ابن بجيد؛ هل هو محمد؟ أم عبد الرحمن؟ فقال شعيب الأرنؤوط بعد أن حكم بأن الحديث حسن: ((ابن بجيد لم يسمَّ في هذه الرواية، وكذلك لم يسمه أكثر الرواة عن مالك ... وقد انفرد يحيى بن بكير عن مالك في تسميته محمدا ... ورجّح الحافظ أنه الصواب في اسمه، مخطّئا المزّيّ في ذلك، لكن يعكر على الحافظ ما ذكر في يحيى

---

(١) ابن السُبكيّ، الطبقات الكبرى، ج٨، ص١٦٨، وجزء البطاقة لأبي القاسم حمزة بن محمد الكناني(ت٣٥٧هـ)، وهو مطبوع بتحيقق عبد الرزاق بن عبد المحسن، الرياض- السعودية، مكتبة دار السلام، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٤م.

(٢) انظر: ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، ج٤، ص٢٩٨، وقال في الاستيعاب: ((وقد ذكرنا الاضطراب في هذا الإسناد في كتاب التمهيد، ومنهم من يجعل حواء هذه هي التي قبلها)))، ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي البجاوي، بيروت – لبنان، دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ج٤، ص١٨١٥.

(٣) ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد الجزري أبو الحسن(ت٦٣٠)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق عادل الرفاعي، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ج٧، ص٨٢.

(٤) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٧، ص٥٩٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من أنه مُتَكَلِّمٌ في سماعه من مالك، وتفرده به))[1].

٣- قال في حديث "من اقْتَبَسَ عِلْمًا من النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً من السِّحْرِ زَادَ ما زَادَ"[2]: ((رواه أبو داود بإسناد صحيح))[3].

وكذلك قال العراقي[4]، وقال شعيب الأرنؤوط: ((إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير الوليد بن عبد الله، وهو ابن أبي مغيث، روى له أبو داوود، وابن ماجة، وهو ثقة))[5].

٤- ذكر بإسناده إلى أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ "تَجِدُ من شرار الناس ذَا الْوَجْهَيْنِ"[6] قال الأعمش: الذي يَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ، حديث صحيح أخرجه

---

(١) مسند أحمد، ج٤٥، ص٤٤١، حاشية١، وانظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٦، ص١٢٩.

(٢) حديث صحيح، أخرجه أحمد بن حنبل، المسند، ج٣، ص٤٥٤، حديث رقم(٢٠٠٠)، وعبد بن حميد بن نصر أبو محمّد(ت٢٤٩هـ)، المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق صبحي السامرائيّ ومحمود الصعيدي، القاهرة – مصر، مكتبة السنة، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص٢٣٦، حديث رقم(٧١٤)، وابن أبي شيبة، المصنّف، ج٥، ص٢٣٩، حديث رقم(٢٥٦٤٦)، والطّبرانيّ، المعجم الكبير، ج١١، ص١٣٥، حديث رقم(١١٢٧٨)، وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستانيّ (ت٢٧٥هـ)، السّنن، تحقيق محمد محيي الدّين، بيروت – لبنان، دار الفكر، كتاب الطّب، باب في النّجوم، ج٤، ص١٥، حديث رقم(٣٩٠٥)، وابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني (ت٢٧٥هـ)، السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، لبنان – بيروت، دار الفكر، كتاب الأدب، باب تعلّم النّجوم، ج٢، ص١٢٢٨، حديث رقم(٣٧٢٦)، والبيهقيّ، السّنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة – السعودية، مكتبة دار الباز، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، جماع أبواب الحكم في السّاحر، باب ما جاء في كراهية اقتباس علم النّجوم، ج٨، ص١٣٨، حديث رقم(١٦٢٩٠).

(٣) ابن السُّبْكِيّ، معيد النّعم، ص٩١.

(٤) انظر: العراقيّ، المغني عن حمل الأسفار، تحقيق أشرف عبد المقصود، الرياض – السعودية، مكتبة طبرية، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ج٢، ص١٠٢٩.

(٥) أحمد بن حنبل، المسند، ج٣، ص٤٥٥، حاشية١.

(٦) حديث صحيح، أخرجه البخاريّ، الجامع الصّحيح، كتاب الأدب، باب ما قيل في ذي الوجهين، ج٥، ص٢٢٥١، حديث رقم(٥٧١١)، بلفظ: "تَجِدُ من شرار الناس يوم الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الذي يَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ"، ومسلم، الصّحيح، كتاب البر والصّلة والآداب، باب ذم ذي الوجهين وتحريم فعله، ج٤، ص٢٠١١، حديث رقم(٢٥٢٦)، والتّرْمِذِيّ، الجامع الكبير، كتاب البر والصّلة، باب ما جاء في ذي الوجهين، =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

التِّرمذي))[1].

٥- قال في معرض تعليقه على حديث فيمن سب النبي ﷺ[2]: ((وقد روى البيهقي هذا الحديث في سننه من حديث معمر هكذا، وهو إسناد صحيح))[3].

قال ابن حزم(ت٤٥٦هـ) بعد أنْ ذكر القصّة بسنده: ((هذا حَدِيثٌ مُسْنَدٌ صَحِيحٌ، وقد رَوَاهُ عَلِيُّ بن الْمَدِينِيِّ عن عبد الرَّزَّاقِ كما ذَكَرْنَاهُ، وَهَذَا رَجُلٌ من الصَّحَابَةِ مَعْرُوفٌ اسْمُهُ الذي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ رَجُلٌ من بَلْقِينَ))[4].

وقال ابن حجر(ت٨٥٢هـ): ((رجل صحابي لم يُسَمّ، ادعى ابن حزم أنّ هذه اللفظة علَمٌ عليه سماه بها أهله، فقال: صحابيّ معروف، ذكر ذلك في أواخر المحلى، في باب من سبّ الله ورسوله[5]، واعتمد على ما رواه من طريق محمّد بن عبد الملك بن أيمن عن حبيب البخاريّ صاحب أبي ثور عن محمّد بن سهل: سمعت عليّ بن المدينيّ يقول، فذكر قصّة له مع المأمون

=

ج٤، ص٣٧٤، حديث رقم(٢٠٢٥).

(١) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٨، ص٢٧، ولم أقف على قول الأعمش الذي ذكره ابن السُّبْكِيّ، وربما فاته أيضا أنه في الصحيحين.

(٢) أخرجه عبد الرزاق، المصنّف، ج٥، ص٣٠٧، حديث رقم(٩٧٠٥) بلفظ: أنّ امرأة كانت تسب النّبيّ ﷺ، فقال النبي ﷺ: من يكفيني عدوي، فخرج إليها خالد بن الوليد فقتلها، وأخرج أيضا عبد الرزاق عن ابن جريج عن رجل عن عكرمة مولى ابن عبّاس أنّ النّبيّ ﷺ سبّه رجل، فقال: من يكفيني عدوي؟ فقال الزبير: أنا، فبارزه فقتله الزبير، فأعطاه النّبيّ ﷺ سلبه، عبد الرزاق أبو بكر بن همّام الصّنعانيّ(ت٢١١هـ)، المصنّف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت – لبنان، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٢م، ج٥، ص٣٠٧، حديث رقم(٩٧٠٤)، والبيهقيّ، السّنن الكبرى، كتاب المرتد، باب قتل من ارتدّ عن الإسلام، ج٨، ص٢٠٢، حديث رقم(١٦٦٤١)، بسنده إلى عبد الله بن المبارك عن معمر عن سماك بن الفضل عن عروة بن محمد عن رجل من بَلْقَين أنّ امرأة سبّت النّبيّ ﷺ، فقتلها خالد بن الوليد ﷺ.

(٣) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٢، ص١٤٩.

(٤) ابن حزم، عليّ بن أحمد بن سعيد الظاهريّ (ت٤٥٦هـ)، المحلّى، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، دار الآفاق الجديدة، ج١١، ص٤١٣.

(٥) انظر: ابن حزم، ،المحلّى، ج١١، ص٤١٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فيمن سبّ النّبي ﷺ، وذكر فيها حديث رجل من بلقين، قال عليّ: بهذا يعرف هذا الرّجل، وهو اسمه، وقد وفد على النّبيّ ﷺ وبايعه، قلت: محمّد بن سهل ما عرفته، وفي طبقته محمّد بن سهل العطّار رماه الدّار قطنيّ بالوضع))[1]، وقال العينيّ(ت٨٥٥هـ): ((وهو حديث صحيح مسند، رواه عن النّبيّ رجل من بلقين))[2].

قال ابن السُّبكيّ: ((قلت: لا يريد ابن المدينيّ بقوله: وهو اسمه، أنّ اسم هذا الرّجل المجهول "رجل من بلقين"، وأنّ هذا اللفظ علَمٌ عليه، وإنّما يريد أنّه بذلك يعرف، لا يعرف له اسم علَم، بل إنّما يُعرف بقبيلته، وهي القين، فيقال: رجل من بني القين، يدلّ عليه مع وضوحه قوله: هكذا يعرف هذا الرّجل))[3].

٦- قال في حديث "خلع النّبيّ ﷺ نعله وهو في الصلاة"[4]: ((رواه أبو داود بإسناد صحيح، وابن خزيمة في صحيحه، وابن حبّان، والحاكم في مستدركه، وقال: على شرط مسلم))[5].

وكذلك قال ابن كثير[6]، وذكر أبو حاتم الرازي أنّه روي مرسلا ومتصلا، والمتّصل

---

(١) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٥٣٩.

(٢) العينيّ، بدر الدين محمود بن أحمد (٨٥٥هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، ج٢٤، ص٨٢.

(٣) ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج٢، ص١٤٩.

(٤) حديث صحيح، أخرجه أحمد بن حنبل، المسند، ج١٧، ص٢٤٢، حديث رقم(١١١٥٣)، والدّارميّ، عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمّد (ت٢٥٥هـ)، السّنن، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، بيروت – لبنان، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م، كتاب الصّلاة، باب الصّلاة في النّعلين، ج١، ص٣٧٠، حديث رقم(١٣٧٨)، وأبو داود، السّنن، كتاب الصّلاة، باب الصّلاة في النّعل، ج١، ص١٧٥، حديث رقم(٦٥٠)، وابن خزيمة، محمد بن إسحاق أبو بكر السلميّ النيسابوريّ(ت٣١١هـ)، صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، بيروت – لبنان، المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م، جماع أبواب الصّلاة على البسط، باب المصلّي يصلّي في نعليه، ج٢، ص١٠٧، حديث رقم(١٠١٧)، وابن حبّان، الصّحيح، ج٥، ص٥٦٠، حديث رقم(٢١٨٥).

(٥) ابن السُّبكيّ، رفع الحاجب، ج٢، ص١١٥.

(٦) انظر: ابن كثير، تحفة الطّالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب، تحقيق عبد الغني الكبيسي، مكة =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أشبه[1]، وقد ذكر ابن الملقّن هذا الحديث، وعدّد طرقه[2]،ونقل القاريّ عن ابن حجر: أنّ إسناده حسن[3]، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، غير يزيد، وهو ابن هارون، فمن رجال الشّيخين[4].

٧- قال في حديث "الشَّيْطَانُ يَهُمُّ بِالْوَاحِدِ وَالِاثْنَيْنِ فإذا كَانُوا ثَلَاثَةً لم يَهُمَّ بِهِمْ"[5]: ((صحيح، مرويّ في مسند ابن وهب، من مرسلات سعيد بن المسيب))[6].

وابن السُّبكيّ يصحح هذا الحديث مع قوله: ((والمرسل عندنا لا حجّة فيه))[7]، لأنّه من

=

المكرمة – السعودية، دار حراء، ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م، ص١١١.

(١) ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن بن إدريس بن مهران الرازي أبو محمد (ت٣٢٧هـ)، علل الحديث، تحقيق محب الدين الخطيب، بيروت – لبنان، دار المعرفة، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م، ج١، ص١٢١.

(٢) انظر: ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت٨٠٤هـ)، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشّرح الكبير، تحقيق مصطفى أبو الغيط و عبدالله بن سليمان وياسر بن كمال، الرياض–السعودية، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م، ج٤، ص١٣٣.

(٣) انظر: القاري، عليّ بن سلطان بن محمّد (ت١٠١٤هـ)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تحقيق جمال عيتاني، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ج٢، ص٤٤٠.

(٤) أحمد بن حنبل، المسند، ج١٧، ص٢٤٣، حاشية١.

(٥) حديث ضعيف، أخرجه مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي(ت١٧٩هـ)، الموطأ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مصر، دار إحياء التراث العربي، كتاب الإستئذان، باب ما جاء في الوحدة في السفرللرجال والنساء، ج٢، ص٩٧٨، حديث رقم(١٧٦٥)، والبيهقيّ، السّنن الكبرى، جماع أبواب آداب السّفر، باب كراهية السّفر وحده، ج٥، ص٢٥٧، حديث رقم(١٠١٢٧)، وابن عبد البر، التمهيد، ج٢٠، ص٨.

(٦) ابن السُّبكيّ، رفع الحاجب، ج٢، ص١٨٥، وقال الدّار قطنيّ: ((يرويه عبد الرحمن بن حرملة واختلف عنه؛ فرواه عبد العزيز بن محمّد الأزدي عن ابن أبي الزناد عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة، وغيره يرويه عن ابن حرملة عن ابن المسيب مرسلا وهو أشبه))، الدّار قطنيّ، علي بن عمر أبو الحسن البغدادي(ت٣٥٨هـ)، العلل الواردة في الأحاديث النبويذة، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله السلفي، الرياض – السعودية، دار طيبة، ط١، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، ج٩، ص١٩٥، وقال ابن عبد البر: ((لم يختلف الرواة للموطأ في إرسال هذا الحديث، وقد رواه ابن أبي الزناد مسندا عن أبي هريرة)) ، ابن عبد البر، التّمهيد، ج٢٠، ص٨، وذكره الهيثميّ، علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، القاهرة – مصر، بيروت – لبنان، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٦م، ج٣، ص٢١٥، وقال: رواه البزار، وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد، وهو ضعيف، وقد وثّق.

(٧) ابن السُّبكيّ، الإبهاج، ج٥، ص١٩٩١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

روايةَ سعيد بن المسيب، وقد قال ابن السُّبْكِيّ: ((إنّ مراسيل سعيد عندنا مقبولة؛ لكونها مسانيد))[1].

وقد رجّح الخطيب أن المرسل عند المحدثين ضعيف، لا يستثنى من ذلك مرسل أحد، وإنما قبل في مواضع اعتضد فيها بقرائن دلت على صحته، ولأن في مراسيل سعيد ما لم يوجد مسندا بحال من وجه يصح[2].

٨- قال في حديث "لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ"[3]: ((وهذا سند صحيح، أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده عن هُشَيْم كما سقناه))[4].

قال ابن عديّ: ((... سمعت يحيى بن حسان يقول: هُشَيْم لم يسمع حديث أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس "ليس الخبر كالمعاينة"، إنّما دلّسه ... ويقال: إنّ هذا لم يسمعه هُشَيْم من أبي بشر، إنّما سمعه من أبي عوانة عن أبي بشر، فدلّسه))[5].

وقد ذكر ابن عديّ إسنادين لهذا الحديث من طريق يحيى بن حمّاد، ومن طريق محمّد بن

---

(١) ابن السُّبْكِيّ، الإبهاج، ج٥، ص١٩٩١.

(٢) انظر: الخطيب، الكفاية، ص٤٠٤، وما بعدها.

(٣) حديث ضعيف، أخرجه أحمد بن حنبل، المسند، ج٣، ص٣٤١، حديث رقم(١٨٤٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الشّيخين، وابن حبّان، الصّحيح، ج١٤، ص٩٦، حديث رقم(٦٢١٣)، والطّبرانيّ، المعجم الاوسط، تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، القاهرة – مصر، دار الحرمين، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ج١، ص١٢، حديث رقم(٢٥)، والحاكم، محمد بن عبدالله أبو عبدالله النيسابوري(ت٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ج٢، ص٣٥١، حديث رقم(٣٢٥٠")، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه، والقضاعيّ، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله (ت٤٥٤هـ)، مسند الشّهاب، تحقيق حمدي السلفي، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، ج٢، ص٢٠١، حديث رقم(١١٨٢).

(٤) ابن السُّبْكِيّ، رفع الحاجب، ج٣، ص٤١٧.

(٥) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرّجال، ج٧، ص١٣٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أبي نعيم كلاهما عن أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد، ثمّ ذكر رواية هُشَيْم عن أبي بشر ليدلل على عدم سماع هُشَيْم من أبي بشر[1].

وقال العلائيّ: ((هُشَيْم بن بشير أحد الأئمّة مشهور بالتدليس، مكثر منه))[2].

فالحديث من طريق هُشَيْم ضعيف لأنه من رواية مدلس لم يصرح بالسماع، وصحيح من غير طريق هُشَيْم، وعلى هذا يحمل تصحيح بعض المحققين للحديث.

٩- قال في حديث "هو الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ"[3]: ((وهو حديث صحيح، أخرجه أبو داوود، والتِّرْمِذِيّ، والنَّسَائيّ، وابن ماجة، وصحّحه التِّرْمِذِيّ، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه، ورجّح ابن مندة أيضا صحته))[4].

وذكره الزيلعيّ، وعدّد طرقه، ونقل ((عن التّرمذيّ أنّه قال: حديث حسن صحيح، وسألت محمّد بن إسماعيل عن هذا الحديث، فقال: حديث صحيح))[5].

قال ابن عبد البر: ((لا أدري ما هذا من البخاريّ، رحمه الله، ولو كان عنده صحيحا

---

(١) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرّجال، ج٧، ص١٣٦.

(٢) العلائي، أبو سعيد بن خليل بن كيكلدي(ت٧٦١هـ)، جامع التحصيل، تحقيق حمدي السلفي، بيروت – لبنان، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م، ص١١١.

(٣) حديث صحيح، أخرجه مالك، الموطأ، كتاب الطّهارة، باب الطّهور للوضوء، ج١، ص٢٢، حديث رقم(٤١)، وأبو داوود، السّنن، كتاب الطّهارة، باب الوضوء بماء البحر، ج١، ص٢٧، حديث رقم(٨٣)، وابن ماجة، السّنن، كتاب الطّهارة، باب الوضوء بماء البحر، ج١، ص١٣٦، حديث رقم(٣٨٦)، والتِّرْمِذِيّ، الجامع الكبير، كتاب الطهارة، باب ماء جاء في ماء البحر أنه طهور، ج١، ص٨٦، حديث رقم(٦٩)، وقال: حسن صحيح، والنّسائيّ، السّنن، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب – سوريا، ط٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، باب ماء البحر، ج١، ص٥٠، حديث رقم(٥٩)، وابن خزيمة، الصّحيح، ج١، ص٥٩، حديث رقم(٨٧).

(٤) ابن السُّبْكِيّ، رفع الحاجب، ج٣، ص١١٩– ١٢٠.

(٥) انظر: الزيلعي، عبدالله بن يوسف أبو محمد الحنفي (ت٧٦٢هـ)، نصب الراية لأحاديث الهداية، تحقيق محمد عوامة، بيروت – لبنان، جدة – السعودية، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، ج١، ص٩٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لأخرجه في مصنّفه الصّحيح عنده، ولم يفعل، لأنّه لا يعول في الصّحيح إلا على الإسناد، وهذا الحديث لا يحتجّ أهل الحديث بمثل إسناده، وهو عندي صحيح، لأنّ العلماء تلقوه بالقبول له، والعمل به، ولا يخالف في جملته أحد من الفقهاء))[1]، وتعقبه ابن حجر بقوله: ((وهذا مردود؛ لأنّه لم يلتزم الاستيعاب، ثمّ حكم ابن عبد البر مع ذلك بصحّته، لتلقّي العلماء له بالقبول، فردّه من حيث الإسناد، وقبله من حيث المعنى، وقد حكم بصحّة جملة من الأحاديث لا تبلغ درجة هذا، ولا تقاربه، ورجّح ابن مندة صحّته، وصحّحه أيضا ابن المنذر، وأبو محمّد البغويّ))[2].

١٠- قال في حديث "أينقص الرّطب إذا يبس؟ قالوا نعم، قال: فلا إذن"[3]: ((رواه الأربعة، وقال التِّرْمِذِيّ: حسن صحيح، وصحّحه ابن خزيمة، والحاكم))[4].

ثانيا: أمثلة من تضعيف ابن السُّبْكِيّ لبعض الأحاديث[5].

١- التّضعيف بمحترزات الاتّصال:

المثال الأوّل: قال في حديث "من ملك ذا رحم"[6]: ((ولو صحّ الحديث لما كان عنه

---

(١) ابن عبد البر، التمهيد، ج١٦، ص٢١٨- ٢١٩.

(٢) ابن حجر، التلخيص الحبير، ج١، ص٩- ١٠.

(٣) حديث صحيح، أخرجه أحمد بن حنبل، المسند، ج٣، ص١٠٠، حديث رقم(١٥١٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قويّ، رجاله ثقات، وأبو داود، السّنن، كتاب البيوع، باب في التمر بالتمر، ج٣، ص٢٥١، حديث رقم(٣٣٥٩)، وابن ماجة، السّنن، كتاب التجارات، باب بيع الرطب بالتمر، ج٢، ص٧٦١، حديث رقم(٢٢٦٤)، والتِّرْمِذِيّ، الجامع الكبير، كتاب البيوع، باب ما جاء في النهي عن المحاقلة والمزابنة، ج٣، ص٥٢٨، حديث رقم(١٢٢٥)، وقال حسن صحيح، والنّسائيّ، السّنن الكبرى، باب اشتراء التمر بالرطب، ج٤، ص٢٢، حديث رقم(٦١٣٦)، وابن حبّان، الصّحيح، ج١١، ص٣٧٨، حديث رقم(٥٠٠٣)، والدّار قطنيّ، السّنن، تحقيق عبد الله هاشم يماني، بيروت – لبنان، دار المعرفة، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، كتاب البيوع، ج٣، ص٤٩، حديث رقم(٢٠٥)، والحاكم، المستدرك، ج٢، ص٤٤، حديث رقم(٢٢٦٥).

(٤) ابن السُّبْكِيّ، الإبهاج، ج٦، ص٢٣١٧.

(٥) وقد رأيت تقسيم هذه الأمثلة بحسب الشّروط الواجب توافرها في الحديث الصّحيح.

(٦) حديث حسن، أخرجه أحمد بن حنبل، المسند، ج٣٣، ص٣٣٨، وص٣٦٥، حديث رقم(٢٠١٦٧)، وحديث رقم(٢٠٢٠٤)، وأبو داود، السّنن، كتاب العتق، باب فيمن ملك ذا رحم محرم، ج٤، ص٢٦، حديث =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

مخلص، ولوجب الرجوع إليه، ولكنّه، وإنْ رواه أصحاب السّنن الأربعة، متكلم في إسناده من قبل أنّ راويه حمّاد بن سلمة عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب، والكلام في سماع الحسن عن سمرة شهير، ومن قبل أنّ حمّاد انفرد به، وشكّ فيه عن الحسن عن سمرة فيما يحسب حمّاد، ثم إنّ غير حمّاد خالفه فيه، وروي موقوفًا بإسناد آخر، وقال البيهقيّ: الحديث إذا انفرد به حمّاد ثمّ شكّ فيه ثمّ خالفه من هو أحفظ منه، وجب التّوقف فيه))[1].

يذكر ابن السُّبْكِيّ لهذا الحديث عللا جعلته يرده وإنْ رواه أصحاب السّنن الأربعة؛ الأولى: نفي سماع الحسن من سمرة، والثّانية: انفراد حمّاد وشكّه في الحديث، ومخالفته لغيره، أمّا سماع الحسن من سمرة فمختلف فيه؛ نفاه ابن معين[2]، وقال بهز بن أسد: إنّ اعتماد الحسن على كتب سمرة[3]، وكذلك قال سعيد بن يحيى القطان[4]، وأثبت سماع الحسن من سمرة أبو داود[5]، والبخاريّ، وعليّ بن المدينيّ، والتِّرْمِذِيّ[6]، والذّهبيّ[7].

المثال الثّاني: قال ابن السُّبْكِيّ في حديث أبي العالية[8] "أنّ ضريرا دخل المسجد فوقع في

=

رقم(٣٩٤٩)، وابن ماجة، السّنن، كتاب العتق، باب من مَلَكَ ذَا رَحِمٍ مَحْرَمٍ فَهُوَ حُرٌّ، ج٢، ص٨٤٣، حديث رقم(٢٥٢٤)، والتِّرْمِذِيّ، الجامع الكبير، كتاب الأحكام، باب ما جاء فيمن ملك ذا رحم محرم، ج٣، ص٦٤٦-٦٤٧، حديث رقم(١٣٦٥).

(١) ابن السُّبْكِيّ، الأشباه والنّظائر، ج٢، ص١٧٨.

(٢) انظر: ابن أبي حاتم، المراسيل، تحقيق شكر الله القوجاني، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٦م، ص٣٣.

(٣) انظر: ابن أبي حاتم، المراسيل، ص٣٢.

(٤) انظر: العلائي، جامع التحصيل، ص١٦٥.

(٥) نقل ابن حجر عن أبي داود قوله: دلّت هذه الصحيفة على أنّ الحسن سمع من سمرة، وقد علّق ابن حجر على ذلك بقوله: ولم يظهر لي وجه الدّلالة بعد، انظر: ابن حجر، تهذيب التّهذيب، ج٢، ص٢٣٥.

(٦) انظر: العلائي، جامع التحصيل، ص١٦٥.

(٧) حيث قال الذّهبيّ: ((قد صحّ سماعه في حديث العقيقة، وفي حديث النّهي عن المثلة من سمرة))، انظر: الذّهبيّ، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٥٦٧.

(٨) هو أبو العالية الرياحيّ رفيع بن مهران البصري، أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بسنتين، ودخل على أبي

=

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حفرةٌ في المسجد، فضحك بعض من كان خلف النبي ﷺ، فقال: "من ضحك منكم فليعد الوضوء والصلاة"[1]: ((فنقول: أبو العالية تابعيّ، والمرسل عندنا لا حجة فيه))[2].

قال ابن عديّ بعد أنْ ذكر الحديث: ((وروى هذا الحديث الحسن البصريّ، وقتادة، وإبراهيم النخعيّ، والزّهريّ، يحكون هذه القصة عن أنفسهم مرسلا، وقد اختلف على كل واحد منهم موصولا ومرسلا، ومدار هؤلاء كلهم مرجعهم لأبي العالية، والحديث حديثه ... ولأبي العالية الرّياحيّ أحاديث صالحة غير ما ذكرت، وأكثر ما نقم عليه من هذه الأحاديث حديث الضّحك في الصّلاة، وكل من رواه غيره فإنّما مدارهم ورجوعهم إلى أبي العالية، والحديث له، وبه يعرف، ومن أجل هذا الحديث تكلموا في أبي العالية، وسائر أحاديثه مستقيمة صالحة))[3].

ثمّ نقل كلام ابن المدينيّ في الحديث حيث قال: ((قال لي عبد الرحمن بن مهدي حديث الضّحك في الصّلاة أنّ النّبيّ ﷺ أمر أنْ يعيد الصّلاة والوضوء، كلّه يدور على أبي العالية، قال علي: فقلت قد رواه الحسن عن النّبيّ ﷺ مرسلا، فقال عبد الرحمن: ثنا حماد بن زيد عن حفص بن سليمان، فقال: أنا حدثت به الحسن عن حفصة عن أبي العالية، قلت له: قد رواه إبراهيم النّخعيّ عن النّبيّ ﷺ مرسلا، فقال عبد الرحمن: حدثنا شريك عن أبي هاشم قال: أنا

=

بكر، وصلّى خلف عمر، قال ابن عدي: له أحاديث صالحة، وثّقه أبو زرعة، وأبو حاتم وغيرهما، وقال شعبة: قد أدرك رفيع عليا، ولم يسمع منه، مات سنة ثلاث وتسعين، انظر ترجمته في: ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ج٣، ص١٦٢، والباجيّ، التّعديل والتجريح، ج٢، ص٥٧٨، ، والمزّيّ، تهذيب الكمال، ج٩، ص٢١٤، والذّهبيّ، تذكرة الحفاظ، ج١، ص٦١، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٥١٤، وتهذيب التّهذيب، ج٣، ص٢٤٦، ولسان الميزان، ج٧، ص٤٧١.

(١) حديث ضعيف، أخرجه الدّار قطنيّ، السنن، كتاب الطهارة، باب أحاديث القهقهة في الصلاة وعللها، ج١، ص١٧٠، حديث رقم(٣٥)، وأبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني(ت٤٣٠هـ)، مسند أبي حنيفة، تحقيق الفاريابي، السعودية – الرياض، مكتبة الكوثر، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، ص٢٢٣.

(١٠) ابن السُّبكيّ، الإبهاج، ج٥، ص١٩٩١.

(٣) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ج٣، ص١٦٥– ص١٦٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

حدثت به إبراهيم عن أبي العالية، قال علي: فقلت لعبد الرحمن قد رواه الزّهريّ عن النّبيّ ﷺ مرسلا، قال عبد الرحمن قرأت هذا الحديث في كتاب ابن أخي الزّهريّ عن الزّهريّ عن سليمان بن الأرقم عن الحسن))[1].

وقال البيهقيّ: ((وحديث القهقهة لم يثبت إسناده، ومداره على أبي العالية الرّياحيّ، وأبو العالية إنّما رواه مرسلا، وإرسال أبي العالية ضعيف))[2].

وقال: ((قال الأمام أحمد، رحمه الله تعالى، ولو كان عند الزّهريّ أو الحسن فيه حديث صحيح لما استجازا القول بخلافه))[3]، وقد عقد الدّار قطنيّ بابا لأحاديث القهقهة في الصّلاة، وبيّن علله[4] ولكل هذا فالحديث لا يصحّ؛ لأنه من طريق أبي العالية، وقد أرسله.

٢- التضعيف بمحترزات العدالة:

المثال الأول: قال ابن السُّبْكِيّ في حديث جَابِرِ بن عبد اللَّهِ ﷺ عَنِ النبي ﷺ أنه قال في قَتْلَى أُحُدٍ: "لاَ تُغَسِّلُوهُمْ فإن كُلَّ جُرْحٍ أو كُلَّ دَمٍ يَفُوحُ مِسكاً يوم الْقِيَامَةِ ولم يُصَلِّ عليهم"[5]: ((وفي إسناده رجل مجهول يسمى ب"عبد رب"))[6].

قال ابن حجر: ((عبد رب هكذا بغير إضافة، روى عن الزهري، وعنه شعبة، قال أحمد:

---

(١) ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ج٣، ص١٦٩.

(٢) البيهقيّ، السّنن الصغرى، تحقيق محمد ضياء الرحمن الأعظمي، المدينة المنورة، مكتبة الدار، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ص٥٢.

(٣) البيهقيّ، السّنن الكبرى، ج١، ص١٤٧.

(٤) انظر: الدّار قطنيّ، السّنن، ج١، ص١٦١، وانظر: المقدسيّ، محمّد بن طاهر (ت٥٠٧هـ)، ذخيرة الحفاظ، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي الرياض - السعودية، دار السلف ، ط١، ١٤١٦ هـ -١٩٩٦م، ج١، ص٥٢٥، والزّيلعيّ، نصب الراية، ج١، ص٥٢.

(٥) حديث صحيح، أخرجه أحمد بن حنبل، المسند، ج٢٢، ص٩٧، حديث رقم(١٤١٨٩).

(٦) ابن السُّبْكِيّ، رفع الحاجب، ج٤، ص٣١٦- ٣١٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حدثنا محمد ثنا شعبة سمعت عبد رب يحدث عن الزهري عن ابن جابر عن جابر في قتلى أحد، قلت: أغفله الحسيني ومن تبعه، وزعم التاج السبكي في شرح المختصر أنه مجهول، وكأنّه وقع في النسخة التي وقف عليها مثل ما وقع في نسختي، وهو غلط أو تحريف من أحد الرواة، وإلا فقد أخرج الحديث المحاملي في الجزء الثالث من أماليه رواية الأصبهانيين عنه[1]، فقال فيه: عن عبد ربّه بن سعيد[2]عن الزهريّ، وهذا هو الصّواب، وعبد ربّه بن سعيد هو الأنصاريّ، ثقة مشهور من رجال التّهذيب)[3].

فزال بهذا الكلام ما جعل ابن السُّبْكِيّ يردّ الحديث من أجله، وقد أخرج البخاريّ ما يشهد لهذا الحديث عن جَابِرِ بن عبد اللَّهِ رضي الله عنهما قال: "كان النبي ﷺ يَجْمَعُ بين الرَّجُلَيْنِ من قَتْلَى أُحُدٍ في ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يقول أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ فإذا أُشِيرَ له إلى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ في اللَّحْدِ وقال أنا شَهِيدٌ على هَؤُلَاءِ يوم الْقِيَامَةِ وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ في دِمَائِهِمْ ولم يُغَسَّلُوا ولم يُصَلَّ عليهم"[4].

المثال الثّاني: قال ابن السُّبْكِيّ في حديث مبايعة عثمان[5]: ((وأيضا في سند الحديث سفيان

---

(١) طبع كتاب "أمالي المحاملي" رواية ابن يحيى البيِّع، تحقيق إبراهيم القيسي، الدمام – السعودية، دار ابن القيّم، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

(٢) هو عبد ربه بن سعيد بن قيس بن عمرو النّجاريّ أخو يحيى بن سعيد، ويقال عبد ربه المدينيّ، قال يحيى القطّان عنه: كان وقّادا حيّ الفؤاد، وقال ابن معين: ثقة مأمون، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: عبد ربه بن سعيد لا بأس به، قلت: يحتجّ بحديثه؟ قال: هو حسن الحديث ثقة، مات سنة تسع وثلاثين ومائة، انظر ترجمته في: البخاريّ، التّاريخ الكبير، ج٦، ص٧٦، وابن أبي حاتم، الجرح والتّعديل، ج٦، ص٤١، وابن حبّان، الثّقات، ج٥، ص١٣١، والباجيّ، التّعديل والتّجريح، ج٢، ص٩١٦، والمزّيّ، تهذيب الكمال، ج١٦، ص٤٧٦، والذّهبيّ، الكاشف، ج١، ص٦١٩، وابن حجر، تهذيب التّهذيب، ج٦، ص١١٥.

(٣) ابن حجر، تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، تحقيق إكرام الله إمداد الحق، بيروت – لبنان، دار البشائر، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، ج١، ص٢٤٥.

(٤) أخرجه البخاريّ، الجامع الصّحيح، كتاب الجنائز، باب الصّلاة على الشّهيد، ج١، ص٤٥٠، حديث رقم(١٢٧٨).

(٥) حديث ضعيف، ولفظه " عن سُفْيَانُ بن وَكِيعٍ حدثني قَبِيصَةُ عن أبي بَكْرِ بن عَيَّاشٍ عن عَاصِمٍ عن أبي وَائِلٍ قال قلت لِعَبْدِ الرحمن بن عَوْفٍ كَيْفَ بَايَعْتُمْ عُثْمَانَ وَتَرَكْتُمْ عَلِيًّا ﷺ قال ما ذنبي قد بَدَأْتُ بِعَلِيٍّ فقلت أُبَايِعُكَ على كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَسِيرَةِ أبي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما قال: فقال فِيمَا اسْتَطَعْتُ، قال: ثُمَّ عَرَضْتُهَا على عُثْمَانَ ﷺ فَقَبِلَهَا "، انفرد بإخراجه عبد الله بن أحمد في زيادات المسند، ج١، ص٥٦٠، حديث رقم(٥٥٧)، وقال المحقق: إسناده ضعيف، وذكره ابن =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ابن وكيع[1]، وقد قال فيه أبو زرعة: متّهم بالكذب))[2].

وهذا الحديث قد انفرد عبد الله بن أحمد في إخراجه في زيادات المسند من طريق وكيع بن الجرّاح، الذي أجمعت كلمة النّقاد فيه على أنّه ابتلي بورّاقه، ولمّا روجع في ذلك لم يرجع، فلذلك تُرك حديثه، واتُهِمَ بالكذب[3]، وحكم الحديث كما قال ابن السُّبْكِيّ.

٣- التّضعيف بمحترزات الضّبط:

المثال الأوّل: قال ابن السُّبْكِيّ في حديث " كُلُّ صَلاةٍ لا يُقْرَأُ فِيهَا بِأُمِّ الْكِتَابِ فَهِيَ خِدَاجٌ إلا أنْ تكون وَرَاءَ الإِمَامِ"[4]: ((قلنا: لم يرفعه عن مالك غير يحيى بن سلاّم[5]، وهو في

=

الأثير، أسد الغابة، ج٤، ص١٢٣، والهيثميّ، مجمع الزوائد، ج٥، ص١٨٥،.

(١) هو سفيان بن وكيع بن الجراح الرؤاسيّ الكوفيّ، يكنّى أبا محمّد، توفي سنة سبع وأربعين ومائتين، وقد ابتلي بورّاق سوء يدخل عليه ما ليس من حديثه، ولهذا فقد تُرِكَ حديثه؛ قال البخاريّ: يتكلمون فيه لأشياء لقنوه إياها، وقال ابن أبي حاتم: أشار أبي عليه أنْ يغيّر ورّاقه فإنّه أفسد حديثه، وقال له لا تحدّث إلا من أصولك، فقال: سأفعل، ثمّ تمادى، وحدّث بأحاديث أدخلت عليه، وقال أيضا: سألت أبا زرعة عنه، فقال: لا يُشتغل به، قيل له: كان يكذب؟ قال: كان أبوه رجلا صالحا، قيل له: كان يتّهم بالكذب؟ قال: نعم، وفي سؤالات البرذعيّ، قال: ((قلت لأبي زرعة: سفيان بن وكيع كان يُتهم بالكذب؟ قال: الكذب بس! ثمّ قال لي أبو زرعة: كَتَبْتَ عنه شيئا؟ قلتُ: لا، قال: استرحت))، انظر ترجمته، وأقوال العلماء فيه في: أبو زرعة، عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد الرازي (ت٢٦٤هـ)، سؤالات البرذعيّ، تحقيق سعدي الهاشميّ، المنصورة – مصر، دار الوفاء، ط٢، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م، ص٤٠٤، وابن حبّان، المجروحين، ج١، ص٣٥٩، وابن عديّ، الكامل في ضعفاء الرّجال، ج٣، ص٤١٧، والمزّيّ، تهذيب الكمال، ج١١، ص٢٠١، والذهبيّ، المغني في الضّعفاء، ج١، ص٢٦٩، وميزان الاعتدال، ج٣، ص٢٤٩، وابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٤، ص١٠٩.

(٢) ابن السُّبْكِيّ، الإبهاج، ج٧، ص٢٩٦١.

(٣) انظر تعليق شعيب الأرنؤوط، مسند الإمام أحمد، ج١، ص٥٦٠.

(٤) حديث ضعيف، أخرجه الطّحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة أبو جعفر (ت٣٢١هـ)، شرح معاني الآثار، تحقيق محمد النجار، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٨م، ج١، ص٢١٨، والدّار قطنيّ مرفوعا، السّنن، كتاب الصّلاة، باب ذكر قوله ﷺ من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة، ج١، ص٣٢٧، حديث رقم(٩)، أمّا الحديث الموقوف فهو "عن مَالِك عن أَبي نُعَيْمٍ وَهْبِ بن كَيْسَانَ أَنَّهُ سمع جَابِرَ بن عبد اللَّهِ يقول: من صلى رَكْعَةً لم يَقْرَأْ فيها بِأُمِّ الْقُرْآنِ فلم يُصَلِّ إلا أَنْ يَكُونَ وَرَاءَ الإِمَامِ" ، أخرجه مالك، الموطّأ، كتاب الصّلاة، باب ما جاء في أمّ القرآن، ج٢، ص٨٤، حديث رقم(١٨٧)، والتّرْمِذِيّ، واللفظ له، الجامع الكبير، كتاب الصّلاة، باب ما جاء في ترك القراءة خلف الإمام إذا جهر الإمام، ج٢، ص١٢٤، حديث رقم(٣١٣)، وقال: حسن صحيح، والبيهقيّ، السّنن الكبرى، ج٢، ص١٦٠، حديث رقم(٢٧٢٥).

(٥) هو يحيى بن سلاّم بن أبي ثعلبة، التيميّ بالولاء، من تيم ربيعة، البصريّ ثمّ الإفريقيّ، مفسر، فقيه، عالم بالحديث واللغة، أدرك نحو عشرين من التّابعين، وروى عنهم، ولد بالكوفة، وانتقل مع أبيه إلى البصرة، فنشأ

=

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الموطّأ موقوف، وقد قيل: وَهِمَ يحيى بن سلاّم عن مالك في رفعه، ولم يتابع عليه، ويحيى كثيرُ الوهم))[1].

وقد قال البيهقيّ بعد أنْ ذكر الرّواية الموقوفة: ((هذا هو الصّحيح عن جابر من قوله غير مرفوع، وقد رفعه يحيى بن سلاّم، وغيره من الضّعفاء عن مالك، وذاك ممّا لا يحلّ روايته على طريق الاحتجاج به))[2].

وقال الدّار قطنيّ بعد أنْ أخرج الحديث مرفوعا من رواية يحيى بن سلاّم: ((يحيى بن سلاّم ضعيف، والصّواب موقوف))[3].

وقال ابن عبد البر: ((لم يرو هذا الحديث أحد من رواة الموطّأ مرفوعا، وإنّما هو في الموطّأ موقوف على جابر من قوله، وانفرد يحيى بن سلاّم برفعه عن مالك، ولم يتابع على ذلك))[4].

المثال الثّاني: قال في حديث "تَعْمَلُ هَذِهِ الأُمَّةُ بُرْهَةً بِكِتَابِ اللَّهِ، ثُمَّ تَعْمَلُ بُرْهَةً بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، ثُمَّ تَعْمَلُ بِالرَّأْيِ، فَإِذَا عَمِلُوا بِالرَّأْيِ، فَقَدْ ضَلُّوا وَأَضَلُّوا"[5]: ((والحديث المشار إليه لا تقوم

=

بها ونسب إليها، ورحل إلى مصر، ومنها إلى إفريقية فاستوطنها، وذكره ابن حبّان في الثّقات، وقال: ربما أخطأ، وقال سعيد بن عمرو قلت: لأبي زرعة في يحيى بن سلاّم المغربيّ فقال: لا بأس به ربما وهم، ضعّفه الدّار قطنيّ، وقال ابن عدي: يكتب حديثه مع ضعفه، توفي بمصر بعد رجوعه من الحجّ لأربع بقين من صفر سنة مائتين، انظر ترجمته في: ابن أبي حاتم، الجرح والتّعديل، ج٩، ص١٥٥، وابن حبّان، الثّقات، ج٩، ص٢٦١، وابن عديّ، الكامل في ضعفاء الرجال، ج٧، ص٢٥٣، والذّهبيّ، ميزان الاعتدال، ج٧، ص١٨٣، والمغني في الضّعفاء، ج٢، ص٧٣٦، وابن حجر، لسان الميزان، ج٦، ص٢٥٩.

(١) ابن السُّبْكيّ، الإبهاج، ج٧، ص٢٧٧٨.

(٢) البيهقيّ، السّنن الكبرى، ج٢، ص١٦٠.

(٣) الدّار قطنيّ، السّنن، ج١، ص٣٢٧.

(٤) ابن عبد البر، التّمهيد، ج١١، ص٤٨.

(٥) حديث ضعيف، أخرجه أبو يعلى، من طريق عثمان بن عبد الرحمن الزهريّ، المسند، ج١٠، ص٢٤٠،

=

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

به الحجّة، ولا يصلح معارضا؛ لأنّ راويه جُبَارة بن المغلّس[1]، وهو ضعيف، عن حماد بن يحيى الأبحّ [2]، وقد قال فيه البخاريّ: يهم في الشيء بعد الشيء))[3].

قال المنّاويّ: ((قال المحقق أبو زرعة: لا ينبغي الجزم بهذا الحديث، فإنّه ضعيف اهـ،

=

حديث رقم(٥٨٥٦).

(١) هو جُبَارة بن المغلّس الحمانيّ أبو محمّد الكوفيّ، قال أبو زرعة: أما إنّه كان لا يتعمد الكذب، ولكن كان يوضع له الحديث فيقرؤه، وقال يحيى بن معين: كذّاب، وقال البخاريّ: حديثه مضطرب، وقال أبو حاتم: هو على يَدَيْ عَدْلٍ، مات سنة إحدى وأربعين ومائتين، انظر ترجمته في: أحمد بن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، بيروت – لبنان، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، ج١، ص٤٧٠، وأبو زرعة، سؤالات البرذعي، ج١، ص٤٦٢، والعقيليّ، الضّعفاء، ج١، ص٢٠٧، وابن أبي حاتم، الجرح والتّعديل، ج٢، ص٥٥٠، وابن عديّ، الكامل في ضعفاء الرّجال، ج٢، ص١٨٠، وابن الجوزيّ، الضّعفاء والمتروكين، ج١، ص١٦٥، والمزّيّ، تهذيب الكمال، ج٤، ص٤٨٩، والذّهبيّ، الكاشف، ج١، ص٢٨٩، والمغني في الضّعفاء، ج١، ص١٢٧، وميزان الاعتدال، ج٢، ص١١١، والقرشيّ، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء أبو محمد(ت٧٧٥هـ)، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، تحقيق عبد الفتاح الحلو، بيروت – لبنان، دار هجر، ط٢، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، ج١، ص١٧٧، وابن حجر، تهذيب التّهذيب، ج٢، ص٥٠.

(٢) هو حمّاد بن يحيى أبو بكر الأبحّ ، قال أبو زرعة: ليس بالقويّ، وقال أبو حاتم: لا بأس به، وقال ابن عدي: وهو ممن يكتب حديثه، وقال الذّهبيّ: ثقة له أوهام وغرائب، وقال البخاريّ: يهم بالشيء بعد الشيء، مات سنة ثنتين ومائتين، انظر ترجمته في: أحمد بن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، ج٢، ص٤٩٥، والبخاريّ، التّاريخ الكبير، ج٣، ص٢٤، والعقيليّ، الضّعفاء، ج١، ص٣٠٩، وابن أبي حاتم، الجرح والتّعديل، ج٣، ص١٥١، وابن حبّان، الثّقات، ج٦، ص٢٢١، وابن عديّ، الكامل في ضعفاء الرّجال، ج٢، ص٢٤٧، والمزّيّ، تهذيب الكمال، ج٧، ص٢٩٢، والذّهبيّ، المغني في الضّعفاء، ج١، ص١٩١، وميزان الاعتدال، ج٢، ص٣٧٢، وابن حجر، تهذيب التّهذيب ج٣، ص١٩، ولسان الميزان، ج٢، ص٣٥٤.

(٣) ابن السُّبْكيّ، الإبهاج، ج٦، ص٢٢١٤، ولم أقف على من أخرجه من طريق جبارة بن المغلّس كما أشار ابن السُّبْكيّ، إلا أنّ كثيرا من النّقاد قد أوردوا الحديث في ترجمة جبارة بن المغلّس، وحمّاد بن يحيى الأبحّ، انظر: مصادر ترجمتهما السابقة، وقد ذكر الحديث البوصيريّ، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل (ت٨٤٠هـ)، في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، الرياض – السعودية، دار الوطن، ط١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، ج٧، ص٣٩٦، وقال: أخرجه أبو يعلى، وابن حبّان في صحيحه، والحاكم، والبيهقيّ، إلا أنّني لم أقف عليه إلا عند أبي يعلى، وذكره الخطيب، في الفقيه والمتفقه، تحقيق عادل بن يوسف الغرازي، السعودية، دار ابن الجوزيّ، ط٢، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ج١، ٤٥٠، من رواية جبارة عن يحيى الأبحّ، ومن رواية عثمان بن عبد الرحمن الوقاصيّ، وذكره ابن عبد البر من طريق عثمان هذا، انظر: ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله،

=

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولم يبين ضعفه، وبيّنه الهيثمي[1]، فقال: فيه عثمان بن عبد الرحمن الزهري[2]، متّفق على ضعفه اهـ، وبه يعرف أنّ سكوت المصنّف عليه غير مرضيّ وقال في الميزان: عثمان هذا قال البخاريّ: تركوه، ثمّ ساق له أخبارا هذا منها))[3].

وقال ابن عديّ بعد أنْ ساق الحديث في ترجمة عثمان: ((ولعثمان غير ما ذكرت من الحديث، وعامّة أحاديثه مناكير؛ إمّا إسناده، أو متنه منكرا))[4].

وقال فيه ابن أبي حاتم: ((عَرَضتُ على أبي أحاديث سَمِعتُها من جبارة الكوفيّ، فقال في بعضها: هي موضوعة، أو هي كذب))[5].

وذكره ابن حجر في المطالب العالية من طريق عثمان بن عبد الرحمن الوقاصيّ نقلا عن أبي يعلى[6]، وقال أيضا بعد أنْ ذكر حديثا لعثمان: ((وهو متفق على تركه))[7]، وعلى هذا

=

تحقيق فواز أحمد، مؤسسة الريان، دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ج٢، ص٢٦٢.

(١) انظر: الهيثميّ، مجمع الزوائد، ج١، ص١٧٩.

(٢) هو عثمان بن عبد الرحمن الوقاصيّ الزهري، من ولد سعد بن أبي وقاص، كنيته أبو عمرو الحالكيّ، قال يحيى بن معين: الوقاصيّ ليس بشيء، وقال: لا يكتب حديثه؛ كان يكذب، وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه، فقال: متروك الحديث، ذاهب الحديث، كذّاب، توفيّ في خلافة هارون، أي ما بين ١٧٠هـ - ١٩٣هـ، انظر ترجمته في: البخاريّ، التّاريخ الكبير، ج٦، ص٢٣٨، والنّسائيّ، الضّعفاء والمتروكين، ج١، ص٧٥، والعقيلي، الضّعفاء، ج٣، ص٢٠٦، وابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج٦، ص١٥٧، وابن حبّان، المجروحين، ج٢، ص٩٨، وابن عديّ، الكامل في ضعفاء الرجال، ج٥، ص١٥٩، والمزّيّ، تهذيب الكمال، ج١٩، ص٤٢٥، والذّهبيّ، تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٣٥١، وميزان الاعتدال، ج٥، ص٥٧، وابن حجر، تهذيب التّهذيب، ج٧، ص١٢٢، ولسان الميزان، ج٧، ص٥٢١.

(٣) المنّاوي، فيض القدير، ج٣، ص٢٥٦.

(٤) ابن عديّ، الكامل في ضعفاء الرجال، ج٥، ص١٦٠.

(٥) أحمد بن حنبل، العلل ومعرفة الرّجال، ج١، ص٤٧٠.

(٦) انظر: ابن حجر، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثّمانية، تحقيق سعد بن ناصر الشتري، السعودية، دار العاصمة، دار الغيث، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ج١٢، ص٦٦٥.

(٧) ابن حجر، الأمالي المطلقة، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، بيروت - لبنان، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م، ص١٣٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فالحديث سواء أكان من رواية جبارة كما قال ابن السُّبْكِيّ، أو من رواية عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي، فلا يحتجّ به.

٤- التّضعيف بما في الحديث من علّة:

المثال الأوّل: قال في حديث "مَا مِنْ دُعَاءٍ إلاَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّماءِ حِجَابٌ حَتَّى يُصَلَّي عَلَى مُحَمَّدٍ"[1]: ((ليس في شيء من الكتب السّتّة من هذا الوجه، والحارث هو الأعور[2]، ولم يسمعه

---

(١) أخرجته موقوفا على عليّ ﷺ ، بيبي بنت عبد الصمد الهرويّة الهرثميّة(ت ٤٧٧هـ)، جزء بيبي، تحقيق عبدالرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، الكويت، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، ص٤٥، حديث رقم(٣٥)، وقد أخرجت المرفوع ولفظه "عن أبي إسحاق السبيعيّ عن الحارث عن علي ﷺ عن النّبيّ ﷺ قال: "مَا مِنْ دُعَاءٍ إلاَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله عز وجل حِجَابٌ حَتَّى يُصَلَّي عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فإذا صُلِّيَ على مُحَمَّدٍ ﷺ انْخَرَقَ الحِجَابُ واسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ وإذا لم يُصَلَّ على النَّبيِّ ﷺ لم يَسْتَجَب الله الدُّعَاءَ"، والديلميّ، أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الهمذانيّ الملقب إلكيا(ت٥٠٩هـ)، الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، ج٤، ص٤٧، حديث رقم(٦١٤٨).

(٢) هو الحارث بن عبد الله الأعور الهمدانيّ الخارفيّ أبو زهير الكوفيّ، ويقال الحارث بن عبيد الله، ويقال الحوتيّ، وحوت بطن من همدان، وقال الشّعبيّ: حدثني الحارث الأعور وكان كذّابا، قال أبو زرعة: لا يحتجّ بحديثه، وقال أبو حاتم: ليس بقويّ، ولا ممن يحتجّ بحديثه، وقال النّسائيّ: ليس بالقويّ، وقال ابن عديّ: عامّة ما يرويه غير محفوظ، وقال ابن حبّان: كان الحارث غاليا في التّشيع واهيا في الحديث، وقال ابن سعد: كان له قول سوء، وهو ضعيف في رأيه، وقال أبو بكر بن عياش: لم يكن الحارث بأرضاهم، كان غيره أرضى منه، كانوا يقولون: إنّه صاحب كتب، وقال شعبة: لم يسمع أبو إسحاق من الحارث الأعور الا أربعة أحاديث، ونقل العقيليّ بسنده عن بندار قال: أخذ يحيى وعبد الرحمن القلم من يدي فضربا على نحو من أربعين حديثا من حديث الحارث عن عليّ، وقد ورد في الحارث خلاف ذلك؛ فنقل ابن حجر عن الدوريّ قال عن ابن معين: الحارث قد سمع من ابن مسعود وليس به بأس، وقال عثمان الدارميّ عن ابن معين: ثقة، قال عثمان: ليس يتابع ابن معين على هذا، وقال ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، ج٢، ص١٥٤: ((معاذ الله أنْ يكون الشعبيّ كذّابا، بل هو إمام جليل، والنّخعيّ مثله، جلالة وعلما ودينا، وأظنّ الشّعبيّ عوقب لقوله في الحارث الهمدانيّ: حدثني الحارث وكان أحد الكذّابين، ولم يَبن من الحارث كذب، وإنّما نقم عليه إفراطه في حبّ عليّ، وتفضيله له على غيره، ومن ههنا، والله أعلم، كذّبه الشّعبيّ؛ لأنّ الشّعبيّ يذهب إلى تفضيل أبي بكر))، وعلل أحمد بن صالح المصريّ تكذيب الشّعبيّ له بقوله: الحارث الأعور ثقة، ما أحفظه وما أحسن ما روى عن عليّ، وأثنى عليه، قيل له: فقد قال الشّعبيّ: كان يكذب، قال: لم يكن يكذب في الحديث، إنّما كان كذبه في رأيه، ونقل الجرجانيّ عن أبي حفص قال: وفي هذا الكلام من الشّعبيّ في الحارث نظر، لأنّه قد روى هو أنّه رأى الحسن =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library Yarmouk University

السبيعي"[1] منه، وقد روي الحديث موقوفا على عليّ كرم الله وجهه، وروي موقوفا على عمر ﷺ)[2].

فالسبيعي لم يسمع من الحارث ألا اربعة أحاديث ليس هذا منها، وإنما دلسه بصيغة موهمة.

المثال الثّاني: قال في حديث معاذ "إنّ رسول الله ﷺ أمره حين وجهه إلى اليمن"[3]: ((قال

=

والحسين يسألان الحارث عن حديث عليّ، وهذا يدل على أنّ الحارث صحيح في الرّواية عن عليّ، ولولا ذلك لما كان الحسن والحسين، مع علمهما وفضلهما، يسألان الحارث، لأنّه كان وقت الحارث من هو أرفع من الحارث من أصحاب عليّ، فدلّ سؤالهما للحارث على صحّة روايته، ومع ذلك فقد قال يحيى بن معين: ما زال المحدّثون يقبلون حديثه، وهذا من قول يحيى بن معين الإمام في هذا الشّأن زيادة لقبول حديث الحارث وثقته، انظر ترجمته في: ابن سعد، الطّبقات الكبرى، ج٦، ص١٦٨، والنّسائيّ، الضّعفاء والمتروكين، ص٢٩، والعقيليّ، الضّعفاء، ج١، ص٢٠٨، وابن أبي حاتم، الجرح والتّعديل، ج٣، ص٧٨، والجرجانيّ، تاريخ جرجان، ص٥٥٩، وابن حبّان، المجروحين، ج١، ص٢٢٢، وابن عدي، الكامل في ضعفاء الرّجال، ج٢، ص١٨٥، والواعظ، عمر بن أحمد أبو حفص (ت٣٨٥هـ)، تاريخ أسماء الثّقات، تحقيق صبحي السامرائي، الكويت، الدار السلفية، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص٧١، وابن الجوزيّ، الضّعفاء والمتروكين، ج١، ص١٨١، والمزّيّ، تهذيب الكمال، ج٥، ص٢٤٤، والذّهبيّ، ميزان الإعتدال، ج٢، ص١٧٠، وابن حجر، تهذيب التّهذيب، ج٢، ص١٢٦، ولسان الميزان، ج٧، ص١٩٢.

(١) عمرو بن عبد الله بن عبيد، ويقال عمرو بن عبد الله بن عليّ الهمدانيّ أبو إسحاق السّبِيعيّ، بفتح السين المهملة وكسر الباء الموحدة نسبة إلى السّبِيع بن سبع، وهو ابن صعب بن معاوية، أطلق يحيى بن معين والنّسائيّ والعجليّ وأبو حاتم القول بتوثيقه، واحتجّ به الشّيخان، وقال العجليّ: سمع ثمانية وثلاثين من أصحاب النبي ﷺ، ولم يسمع من علقمة شيئا، وسمع من الحارث الأعور أربعة أحاديث فقط وسائر ما يلقى له عنه إنّما هو كتاب، وقال أبو حاتم: هو شبيه بالزهريّ في كثرة الرّواية والاتساع في الرّجال، وقال ابن الصّلاح: اختلط أبو إسحاق، اختلط أبو إسحاق، ويقال إنّ سماع سفيان بن عيينة منه بعدما اختلط، وتغير حفظه قبل موته، وأنكر الذّهبيّ اختلاطه فقال: شاخ ونسي، ولم يختلط، وقد سمع منه سفيان بن عيينة وقد تغير قليلا، وقال ابن حجر: مشهور بالتّدليس، مات سنة ستّ وعشرين ومائة، انظر ترجمته في: المزّيّ، تهذيب الكمال، ج٢٢، ص١٠٢، والعلائي، جامع التّحصيل، ص١٠٨، وابن حجر، تقريب التّهذيب، ص٤٢٣، وتهذيب التّهذيب، ج٨، ص٥٦، وطبقات المدلّسين، ص٤٢، وأبو البركات، محمد بن أحمد بن يوسف الذّهبيّ ابن الكيال(ت٩٣٩هـ)، الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات، تحقيق عبد القيّوم عبد رب النبي، مكة المكرمة - السعودية، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص٦٦.

(٢) ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج١، ص١٧٦.

(٣) حديث ضعيف، ولفظه "أنّ رسولَ الله ﷺ أمَرَهُ حين وجّهَهُ إلى اليمن أن لا تَأْخُذَ من الكَسْرِ شيئا إذا كَانَتِ =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الدّار قطنيّ: هذا حديث ضعيف، والمنهال بن الجرّاح هو الجرّاح بن منهال[1]، كان ابن إسحاق يقلب اسمه إذا روى عنه[2]، وهو متروك، وعبادة بن نُسَيّ[3] لم يسمع من معاذ ﷺ شيئا))[4].

قال البيهقيّ بعد أنْ أخرج الحديث، ونقل كلام الدّار قطنيّ: ((مِثْلُ هذا لو صحّ لقلنا به، ولم نخالفه، إلا أنّ إسناده ضعيف جدا، والله أعلم))[5].

= الوَرِقُ مائتَي دِرْهَمٍ فخذ منها خَمْسَةَ دَرَاهِمَ ولا تَأْخُذْ مِمَّا زَادَ شيئا حتَّى تَبْلُغَ أَرْبَعِينَ دِرْهَما وإذا بَلَغَ أَرْبَعِينَ دِرْهَما فَخُذْ مِنْهُ دِرْهَما"، أخرجه الدّار قطنيّ، السّنن، كتاب الزكاة، باب ليس في الكسر شيء، ج٢، ص٩٣، حديث رقم(١)، و البيهقيّ، السّنن الكبرى، ج٤، ص١٣٥، حديث رقم(٧٣١٥).

(١) هو الجرّاح بن المنهال أبو العطوف الجزريّ، قال أحمد بن حنبل: كان صاحب غفلة، وقال ابن المديني: لا يكتب حديثه، وقال البخاريّ: منكر الحديث، وقال النّسائيّ، والدّار قطنيّ: متروك، وقال ابن حبّان: كان يكذب في الحديث، ويشرب الخمر، وقال ابن معين: ليس حديثه بشيء، وقال أبو حاتم: متروك الحديث، ذاهب لا يكتب حديثه، وقال ابن سعد: كان ضعيفا في الحديث، وقال ابن عديّ: وللجرّاح بن المنهال غير ما ذكرت من الحديث، وليس هو بكثير الحديث، والضّعف على رواياته بيّن؛ وذلك لأنّ له أحاديث عن الزهريّ والحكم وأبي الزبير وغيرهم، ويبين ضعفه إذا روى عن هؤلاء الثّقات، فإنّه يروي عنهم ما لا يتابعه أحد عليه، مات سنة ثمان وستين ومائة، انظر ترجمته في: البخاريّ، التّاريخ الكبير، ج٢، ص٢٢٨، والنّسائيّ، الضّعفاء والمتروكين، ج١، ص٢٨،والعقيليّ، الضّعفاء، ج١، ص٢٠٠، وابن أبي حاتم، الجرح والتّعديل، ج٢، ص٥٣٢، وابن حبّان، المجروحين، ج١، ص٢١٨، وابن عديّ، الكامل في ضعفاء الرّجال، ج٢، ص١٦٠، والمزّيّ، تهذيب الكمال، ج٤، ص١٩٢، وابن حجر، تعجيل المنفعة، ج١، ص٦٧، ولسان الميزان، ج٢، ص٩٩.

(٢) ابن إسحاق هو محمد بن إسحاق صاحب المغازي، مشهور بالتدليس عن الضعفاء، انظر: ابن حجر، طبقات المدلسين، ص٥١.

(٣) عُبَادَة بن نُسَي بضمّ النّون وفتح المهملة الخفيفة، الكندي أبو عمر الشّاميّ الأردنيّ قاضي طبرية ثقة فاضل، قال البخاريّ: سيّدهم، وقال الذّهبيّ: ثقة كبير القدر، وأظنّ رواياته عن الكبار منقطعة، وقال أحمد بن حنبل: شاميّ ثقة، وقال أبو حاتم: لا بأس به، وأنكر روايته عن أبي موسى الأشعريّ، وقال: لا يجيء، مات سنة ثمان عشرة ومائة، انظر ترجمته في: البخاريّ، التّاريخ الكبير، ج٦، ص٩٥، والعجليّ، معرفة الثّقات، ج٢، ص١٨، وابن أبي حاتم، الجرح والتّعديل، ج٦، ص٩٦، وابن حبّان، الثّقات، ج٧، ص١٦٢، والمزّيّ، تهذيب الكمال، ج١٤، ص١٩٤، والذّهبيّ، سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٣٢٣، والعبر، ج١، ص١٤٨، والكاشف، ج١، ص٥٣٣، والعلائي، جامع التحصيل، ص٢٠٦، وابن حجر، تقريب التّهذيب، ص٢٩٢، وتهذيب التّهذيب، ج٥، ص٩٩، وابن العماد، شذرات الذهب، ج١، ص١٥٥.

(٤) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٣، ص٢٣٤.

(٥) البيهقيّ، السّنن الكبرى، ج٤، ص١٣٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وقال الزّيلعيّ: ((وهو حديث ضعيف؛ ... ، وقال النّسائيّ: المنهال بن الجرّاح متروك الحديث، وقال ابن حبان: كان يكذب، وقال عبد الحق في أحكامه: كذّاب، وقال الشّيخ في الإلمام: قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه، فقال: متروك الحديث واهيه، لا يكتب حديثه))[1].

وقال ابن حجر بعد أنْ ذكره: ((وإسناده ضعيف جدا))[2]، وعلته عدم سماع عبادة من معاذ.

٥- التّضعيف بما في الحديث من شذوذ ونكارة:

المثال الأوّل: قال في حديث "أنّ النبي ﷺ كان إذا أرَادَ أمْرًا قال اللهم خِرْ لي وَاخْتَرْ لي"[3]: ((تفرد التّرمذيّ بتخريجه من هذا الوجه، فراوه عن محمّد بن بشار عن إبراهيم بن أبي الوزير أخي محمّد بن أبي الوزير المذكور عن أبي عبد الله زنفل بن عبد الله[4]، وقيل زنفل بن شداد

---

(١) الزّيلعيّ، نصب الرّاية، ج٢، ص٣٦٧.

(٢) ابن حجر، الدّراية في تخريج أحاديث الهداية، تحقيق عبد الله هاشم المدني، بيروت – لبنان، دار المعرفة، ج١، ص٢٥٧.

(٣) حديث ضعيف، أخرجه التِّرْمِذِيّ، الجامع الكبير، كتاب الدعوات، ج٦، ص١٢١، حديث رقم(٣٨٢٥)، والبزّار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق (ت ٢٩٢هـ)، البحر الزّخار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، بيروت – لبنان، المدينة المنورة – السعودية، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، ج١، ص١٢٩، حديث رقم(٥٩)، والمروزي، أحمد بن علي بن سعيد أبو بكر(ت٢٩٢هـ)، مسند أبي بكر، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت – لبنان، المكتب الإسلامي، ص٩٦، حديث رقم(٤٤)، وأبو يعلى، المسند، ج١، ص٤٥، حديث رقم(٤٤)، والقضاعيّ، مسند الشّهاب، ج٢، ص٣٣٤، حديث رقم(١٤٧١).

(٤) هو زنفل بن عبد الله، ويقال ابن شداد العرفيّ، أبو عبد الله المكيّ، نزل عرفة، روى عن ابن أبي مليكة، ونجيح بن إسحاق العرفيّ، قال ابن معين: ليس بشيء، وقال الحميدي: كان يلعب به الصّبيان، وقال الدّار قطنيّ: ضعيف، وقال النّسائيّ: ليس بثقة، وقال ابن عديّ: لا أعرف لزنفل غير ما ذكرت، ولا يتابع على حديثه، وقال ابن حبّان: كان قليل الحديث وفي قلته مناكير، لا يحتجّ به، ونقل ابن حجر من تاريخ البخاريّ قال: كان به خبل، انظر ترجمته في: النّسائيّ، الضّعفاء والمتروكين، ج١، ص٤٣ والعقيليّ، الضّعفاء، ج٢، ص٩٧، وابن أبي حاتم، الجرح والتّعديل، ج٣، ص٦١٨، وابن حبّان، المجروحين، ج١، ص٣١١، وابن عديّ، الكامل في ضعفاء الرّجال، ج٣، ص٢٣٥، وابن الجوزيّ، الضّعفاء والمتروكين، ج١، ص٢٩٧، والمزّيّ، تهذيب الكمال، ج٩، ص٣٩٣، والذّهبيّ، المغني في الضّعفاء، ج١، ص٢٤١، وميزان الاعتدال، ج٣، ص١١٩، وابن حجر، تهذيب =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

العُرفيّ به، وقال: ضعيف لا نعرفه إلا من حديث زنفل، وهو ضعيف عند أهل الحديث، وليس له نقل في شيء من الكتب الستّة سوى هذا الحديث))[1].

وقال البزّار بعد أنْ أخرج الحديث: ((وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النّبيّ ﷺ إلاّ من هذا الوجه بهذا الإسناد، وزنفل هذا قد حدّث عنه غير إنسان، إلا أنّه لا نعلم أنّ أحدا روى هذا الحديث غيره، فلذلك ذكرناه))[2].

ونقل ابن أبي حاتم في ترجمة حاتم بن سالم القزاز، عن أبيه قال: ((وقالوا لم يحدّث بحديث ابن أبي مليكة عن عائشة عن أبي بكر الصديق ﷺ عن النّبيّ ﷺ في الاستخارة إلاّ ابن أبي الوزير، فقيل له في ذلك، فقال: أنا سمعت مع ابن أبي الوزير من شيخ بعرفة))[3]، وذكره ابن حجر وقال: ((سنده ضعيف))[4].

ثالثا: أمثلة مما استدركه على غيره من العلماء تصحيحا، أو تضعيفا

١- قال في كلامه على حديث "وَسَأَزِيدُ على سَبْعِين"[5]: ((وقول الغزّاليّ: إنّ الأظهر أنّ

=

التّهذيب، ج٣، ص٢٩٤، ولسان الميزان، ج٧، ص٢٢٠.

(١) ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج٦، ص٥٤.

(٢) البزّار، المسند، ج١، ص١٢٩.

(٣) ابن أبي حاتم، الجرح والتّعديل، ج٣، ص٢٦١.

(٤) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن باز، الرياض – السعودية، مكتبة الرياض الحديثة، ج١١، ص١٨٤.

(٥) حديث صحيح، ولفظه: "عن عمر بن الخطاب لَمَّا مَاتَ عبد اللَّهِ بن أُبَيٍّ بن سَلُولَ دُعِيَ له رسول اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عليه، فلما قام رسول اللَّهِ ﷺ وَثَبْتُ إليه فقلت يا رَسُولَ اللَّهِ: أَتُصَلِّي على ابن أُبَيٍّ وقد قال يوم كَذَا وَكَذَا كَذَا وكَذَا أُعَدِّدُ عليه قَوْلَهُ، فَتَبَسَّمَ رسول اللَّهِ ﷺ وقال: أُخِّرْ عَنِّي يا عُمَرُ، فلما أَكْثَرْتُ عليه، قال: إني خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، لو أَعْلَمُ أَنِّي إن زِدْتُ على السَّبْعِينَ يُغْفَرُ له لَزِدْتُ عليها، قال: فَصَلَّى عليه رسول اللَّهِ ﷺ ثُمَّ انْصَرَفَ، فلم يَمْكُثْ إلا يَسِيرًا حتى نَزَلَتْ الْآيَتَانِ من بَرَاءَةٌ ﴿ولا تُصَلِّ على أَحَدٍ منهم مَاتَ أَبَدًا﴾ إلى ﴿وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ قال فَعَجِبْتُ بَعْدُ من جُرْأَتِي على رسول اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، أخرجه البخاريّ، الجامع الصّحيح، كتاب الجنائز، باب ما يكره من الصّلاة على المنافقين، ج١، ص٤٥٩، حديث رقم(١٣٠٠)، ومسلم، الصّحيح، =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

هذا الخبر غير صحيح، متلقى من إمام الحرمين، فإنّه قال: هذا لم يصحّحه أهل الحديث، وإمام الحرمين تلقى ذلك من القاضي أبي بكر- الباقلاني- فإنّه قال في "مختصر التّقريب": هذا الحديث ضعيف غير مدوّن في الصّحاح، وهذا باطل، فإنّ الحديث ثابت صحيح، مدوّن في البخاريّ ومسلم))[1].

وقال أيضا: ((والحديث صحيح، متّفق عليه، أخرجه البخاريّ ومسلم، فلا يغرنّك قول الغزّاليّ: الأظهر أنّ هذا الخبر غير صحيح؛ فإنّه تلقاه من إمام الحرمين، والإمام تلقاه من القاضي، ولو علموا أنّه في الصّحيحين لما قالوا ذلك))[2].

٢- قال في حديث "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إلى الْيَمَنِ فقال كَيْفَ تَقْضِي"[3]: ((وقد قال في "البرهان" أيضا: إنّ الشّافعيّ ﷺ احتجّ ابتداء على إثبات القياس بحديث معاذ، يعني هذا، قال: والحديث مدوّن في الصّحاح، متّفق على صحّته، لا يتطرّق إليه تأويل، قلت: وهذا عجيب من إمام الحرمين، فقد قال إمام الصّناعة أبو عبد الله البخاريّ: لا يصحّ هذا الحديث، وقال التّرمذيّ ليس إسناده عندي بمتصل))[4].

قال البخاريّ: ((الحارث بن عمرو بن أخي المغيرة بن شعبة الثّقفيّ، عن أصحاب معاذ عن

=

كتاب فضائل الصّحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه، ج٤، ص١٨٦٥، حديث رقم(٢٤٠٠).

(١) ابن السُّبْكِيّ، الإبهاج، ج٣، ص٩٧٥، وانظر: ابن السُّبْكِيّ، رفع الحاجب، ج٣، ص٥٢١.

(٢) ابن السُّبْكِيّ، رفع الحاجب، ج٣، ص٥٢١.

(٣) حديث ضعيف، أخرجه الدارميّ، السّنن، باب الفتيا وما فيه من الشّدّة، ج١، ص٧٢، حديث رقم(٦٨)، وأبو داوود، السّنن، كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء، ج٣، ص٣٠٣، حديث رقم(٣٥٩٢)، والتِّرْمِذِيّ، الجامع الكبير، كتاب الأحكام، باب ما جاء في القاضي كيف يقضي، ج٣، ص٦١٦، حديث رقم(١٣٢٧)، وقال أبو عِيسَى: هذا حَدِيثٌ لا نَعْرِفُهُ إلا من هذا الْوَجْهِ، ولَيْسَ إِسْنَادُهُ عِنْدِي بِمُتَّصِلٍ.

(٤) ابن السُّبْكِيّ، الإبهاج، ج٦، ص٢١٩٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

معاذ، روى عنه أبو عون، لا يصحّ، ولا يعرف إلا بهذا، مرسل))[1]، وقال ابن الجوزيّ: ((هذا حديث لا يصحّ، وإنْ كان الفقهاء كلّهم يذكرونه في كتبهم، ويعتمدون عليه، ولعمري، إنْ كان معناه صحيحا، إنّما ثبوته لا يعرف، لأنّ الحارث بن عمرو مجهول، وأصحاب معاذ من أهل حمص لا يعرفونه، وما هذا طريقه فلا وجه لثبوته))[2]، وقال ابن حجر: ((وقال ابن طَاهِرٍ في تَصنِيفٍ له مُفْرَدٍ في الْكَلامِ على هذا الحديث: اعلَمْ أنّي فَحَصْتُ عن هذا الحديث في الْمَسَانِيدِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ، وَسَأَلْت عنه من لَقِيته من أَهْلِ الْعِلْمِ بِالنَّقْلِ، فلم أَجِدْ له غير طَرِيقَيْنِ؛ أَحَدَهُمَا طَرِيقُ شُعْبَةَ، وَالأُخْرَى عن مُحَمَّدِ بن جَابِرٍ عن أشعث ... عن رَجُلٍ من ثَقِيفٍ عن مُعَاذٍ، وَكِلاهُمَا لا يَصِحُّ، قال: وَأَقْبَحُ ما رَأَيْت فيه قَوْلُ إمَامِ الْحَرَمَيْنِ في كِتَابِ أُصُولِ الْفِقْهِ: وَالْعُمْدَةُ في هذا الْبَابِ على حديث مُعَاذٍ، قال: وَهَذِهِ زَلَّةٌ منه، وَلَوْ كان عَالِمًا بِالنَّقْلِ لَمَا ارْتَكَبَ هذه الْجَهَالَةَ))[3].

المطلب الخامس: الجرح والتّعديل

لست في صدد الحديث عن الجرح والتّعديل، ومشروعيته، وأهمّيته، فهو علم هامّ من علوم الحديث ، ولكن ما دفعني لذلك أنّ ابن السُّبكِيّ وضع قاعدة في الجرح والتّعديل، تطرق فيها للكثير من المسائل، فأحببت افراد الحديث عنها، وهذه المسائل هي:

المسألة الأولى: شروط الجارح والمعدّل

ثمّة شروط يجب توافرها فيمن يتصدى لجرح الرواة أو تعديلهم، وقد نبّه ابن السُّبكِيّ إلى شرطين منها:

---

(١) البخاريّ، التّاريخ الكبير، ج٢، ص٢٧٧.

(٢) ابن الجوزيّ، العلل المتناهية، ج٢، ص٧٥٨- ٧٥٩.

(٣) ابن حجر، التلخيص الحبير، ج٤، ص١٨٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأوّل: الخبرة بمدلولات الألفاظ؛ حيث قال: ((ومما ينبغي أنْ يُتفقد عند الجرح أيضا، حال الجارح في الخبرة بمدلولات الألفاظ، فكثيرا ما رأيت من يسمع لفظة، فيفهمها على غير وجهها، والخبرة بمدلولات الألفاظ، ولا سيّما الألفاظ العرفية، التي تختلف باختلاف عرف النّاس، وتكون في بعض الأزمنة مدحا، وفي بعضها ذمّا، أمر شديد لا يدركه إلا قعيد بالعلم))[1]، ومن أمثلة ذلك ما اشتهر عن الحجازيين من أنّهم يطلقون الكذب ويقصدون به الخطأ؛ فيقولون: كَذَبَ فلان أي أخطأ[2].

الثّاني: العلم بالأحكام الشّرعيّة؛ حيث قال: ((ومما ينبغي أنْ يتفقد أيضا حاله في العلم بالأحكام الشّرعية، فرب جاهل ظنّ الحلال حراما، فجرح به، ومن هنا أوجب الفقهاء التّفسير ليتضح الحال))[3].

المسألة الثّانية: متى يؤخذ بالجرح، ومتى لا يؤخذ؟

ذكر ابن السُّبكيّ قاعدة في الجرح والتّعديل، تحدث فيها عن عدّة مسائل؛ منها تعارض الجرح والتعديل، وهل يقدّم الجرح دائما؟ خلص فيها إلى أنّ من ثبتت إمامته، وعدالته، وكثر مادحوه ومزكوه، وندر جارحه، وكانت هناك قرينة دالّة على سبب جرحه، من تعصب أو غيره، فلا التفات إلى جرحه، وهو عدل، وعلل ذلك بقوله: ((وإلا فلو فتحنا هذا الباب، أو أخذنا تقديم الجرح على إطلاقه، لما سلم لنا أحد من الأئمّة، إذ ما من إمام إلا وقد طَعَنَ فيه طاعنون، وهلك فيه هالكون))[4].

---

(١) ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج٢، ص١٨.

(٢) انظر مزيدا من الأمثلة: السّخاويّ، فتح المغيث، ج١، ص٣٧٥- ٣٧٦.

(٣) ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج٢، ص١٨.

(٤) المصدر السابق، ج٢، ص٩، وقال أيضا : ((الجارح لا يقبل منه الجرح وإنْ فسّره في حقّ من غلبت طاعاته على معاصيه، ومادحوه على ذامّيه، ومزكّوه على جارحيه، إذا كانت هناك قرينة يشهد العقل بأنّ مثلها =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المسألة الثّالثة: التّوقف في إعمال الجرح، أو جرح الجارح بجرحه، وقد ذكر ابن السُّبكيّ حالتين لا بد أنْ يتوقف فيهما قبول الجرح على النّظر والتّدقيق:

الحالة الأولى: إذا صدر الجرح المبهم ممّن عُرفت عدالته وأهليّته، بحقّ إمام اشتهرت عدالته، فهل يُجرح الجارح بجرحه؟ يقول ابن السُّبكيّ: ((أمّا من تكلم بالهوى ونحوه، فلا شكّ فيه، وأمّا من تكلم بمبلغ ظنّه، فهنا وقفة محتومة على طالب التّحقيقات، ومزلّة تأخذ بأقدام من لا يبرأ عن حوله وقوّته، ويكلُ أمرَه إلى عالِم الخفيات، فنقول: لا شكّ أنّ من تكلم في إمام استقرّ في الأذهان عظمته، وتناقلت الرّواة ممادحه، فقد جرّ الملام إلى نفسه، ولكنّا لا نقضي أيضا على من عُرِفَت عدالته ــ إذا جَرَحَ من لم يُقْبَلْ منه جَرْحُه إيّاه ــ بالفسق، بل نجوّز أمورا؛ أحدها: أنْ يكون واهما، ومن ذا الذي لا يهم، والثّاني: أنْ يكون مؤوّلا، قد جرح بشيء ظنّه جارحا، ولا يراه المجروح كذلك؛ كاختلاف المجتهدين، والثّالث: أنْ يكون نقله إليه من يراه هو صادقا، ونراه نحن كاذبا، وهذا لاختلافنا في الجرح والتّعديل، فربّ مجروح عند عالم معدّل عند غيره، فيقع الاختلاف في الاحتجاج حسب الاختلاف في تزكيته، فلم يتعين أنْ يكون الحامل للجارح على الجرح مجرد التّعصب والهوى، حتّى يجرحه بالجرح، ومعنا أصلان نستصحبهما إلى أنْ نتيقن خلافهما، أصل عدالة الإمام المجروح، الذي قد استقرّت عظمته، وأصل عدالة الجارح، الذي يُثْبِتْ، فلا يُلتفت إلى جرحه، ولا نجرحه بجرحه))[1].

=

حامل على الوقيعة في الذي جرحه، من تعصب مذهبيّ، أو منافسة دنيويّة، كما يكون من النظراء أو غير ذلك))، المصدر السابق، ج٢، ص١٢ .

(١) ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج٢، ص١٩- ٢٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحالة الثّانية: المخالف في العقيدة؛ قال ابن السُّبْكِيّ: ((فإنْ قُلتَ: قولكم لابد من تفقد حال العقائد، هل تعنون به أنّه لا يقبل قول مخالف عقيدة فيمن خالفه مطلقا، سواء السنّيّ على المبتدع وعكسه، أو غير ذلك؟

قلتُ : هذا مكان معضل، يجب على طالب التّحقيق التّوقف عنده، لفهم ما يلقى عليه، وأنْ لا يبادر لإنكار شيء قبل التّأمل فيه، واعلم أنّا عنينا ما هو أعمّ من ذلك، ولسنا نقول: لا تقبل شهادة السنّيّ على المبتدع مطلقا، معاذ الله، ولكن نقول: من شهد على آخر، وهو مخالف له في العقيدة، أوجبت مخالفته له في العقيدة ريبة عند الحاكم المنتصر، لا يجدها إذا كانت الشّهادة صادرة من غير مخالف في العقيدة، ولا ينكر ذلك إلا فدم[1] أخرق))[2].

المسألة الرّابعة: متى يطلب تفسير الجرح؟

يقبل ابن السُّبْكِيّ الجرح غير مفسّر إلا في ثلاث حالات نصّ عليها؛ الأولى: إذا صدر الجرح بحقّ مشتهر العدالة؛ يقول: ((من ثبتت عدالته، واستقرّت، فإذا أراد رافع رفعها بالجرح قيل له: إئت ببرهان على هذا)).

الثّانية: من لم يشتهر أمره، واستوى فيه عدد الجارحين والمعدلين؛ يقول: ((أو فيمن لم يعرف حاله، ولكن ابتدره جارحان ومزكّيان، فيقال إذ ذاك للجارحَين: فسّرا ما رميتماه به)).

الثّالثة: وهي متعلّقة بالجارح؛ يقول: ((لا نطلب التّفسير من كلّ أحد، بل إنّما نطلبه حيث يحتمل الحال شكّا، إمّا لاختلاف في الاجتهاد، أو لتهمة يسيرة في الجارح، أو نحو ذلك ممّا لا يوجب سقوط قول الجارح، ولا ينتهي إلى الاعتبار به على الإطلاق بل يكون بين بين))[3].

---

(١) هو الأحمق، قليل الفهم، انظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص١٤٧٧.

(٢) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٢، ص١٥.

(٣) انظر هذه النصوص الثلاثة في: المصدر السابق، ج٢، ص٢١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الثّاني: أثر الثّقافة الفقهيّة، والأُصوليّة على النقد الحديثي

معرفة الفقه الإسلامي وأدلته، هي ثمرة النظر في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، من خلال بيان مراد الشارع من النصوص، وقد اشتهر ابن السبكي بعلمه بالفقه وأصوله، وظهر ذلك على النقد الحديثي في عدة مظاهر، وقد عقدت هذا المبحث لبيانها.

المطلب الأوّل: العناية بالمصطلحات الحديثيّة

عناية العلماء – خاصة الأصوليين – بتعريف المصطلحات نابعة من توقف تصور العلم، والإحاطة بمسائله على تعريفه، ولذلك فقد أوجب بعض العلماء على من حاول تحصيل علم من العلوم أنْ يتصور معنى هذا العلم بالحدّ الموضوع له، فقال الجوينيّ: ((حقّ على كل من يحاول الخوض في فنّ من فنون العلم، أنْ يحيط بالمقصود منه، وبالمواد التي منها يستمدّ ذلك الفنّ، وبحقيقته وفنّه وحدّه، إنْ أمكنت عبارة سديدة على صناعة الحدّ، وإنْ عسر فعليه أنْ يحاول الدرك بمسلك التّقاسيم، والغرض من ذلك أنْ يكون الإقدام على تعلمه مع حفظ من العلم الجمليّ بالعلم الذي يحاول الخوض فيه))[1].

وابن السُبكِيّ كغيره من العلماء اعتنى بتعريف المصطلحات العلميّة، وكان له في عرض ذلك مسلك سلكه في كتبه[2]، مع أنّه كان يستثقل ((الإكثار من ذكر التّعاريف، والاشتغال بتزييفها ؛ فإنّ المعاني إذا لاحت لم يحسن بطالب التّحقيق تضييع الأوقات في تحرير العبارة عنها، والأوقات أنفس من التّنافس في ذلك))[3].

---

(١) الجوينيّ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف أبو المعالي، البرهان في أصول الفقه، تحقيق عبد العظيم محمود الديب، المنصورة – مصر، الوفاء، ط٤، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، ج١، ص٧٧.

(٢) تحدث الباحث الحسنات عن منهج ابن السُبكِيّ في إيراد التعاريف اللغوية والاصطلاحية، وموقفه منها؛ انظر: الحسنات، تاج الدين السبكي، ص١٣٤- ١٤٤.

(٣) ابن السُبكِيّ، رفع الحاجب، ج٤، ص٣٨، وقال في حديثه عن الاجتهاد: ((وهذا التّعريف الذي ذكره =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

طالت عناية ابن السُبكيّ تعريف مصطلحات الحديث الشّريف وعلومه، فلا يكاد يمرّ بمصطلح من مصطلحاته إلا ويعرّفه؛ وبيان ذلك:

أوّلا: تعريف السنّة/ قال ابن السُبكيّ: ((فإذا أردنا تعريف السّنّة التي عقد لها هذا الكتاب قلنا: هي الشّيء الصّادر عن محمّد المصطفى ﷺ، لا على الإعجاز))[1].

وقال في كتاب جمع الجوامع: ((السّنّة: وهي أقوال محمد ﷺ وأفعاله))[2].

وقد سلك ابن السُبكيّ في تعريفه للسّنّة طريق علماء أصول الفقه[3]، واستعمال لفظ "السنّة" في معان كثيرة سببه استخدام كلّ فريق من العلماء ما يناسب تخصصه؛ فمنهم من كان مقصده استنباط الأحكام، ومنهم من أراد نقل كلّ ما صدر عن رسول الله ﷺ ، وكل تعريف هو الصواب في تخصصه.

ثانياً: تعريف الصّحابيّ

قال ابن السُبكيّ: ((الصّحابيّ من اجتمع مؤمنا بمحمد ﷺ، وإنْ لم يرو ولم يطل))[4].

وقال بعد أنْ ناقش تعريف ابن الحاجب للصّحابيّ: ((فلو قيل: الصّحابيّ من اجتمع بالنّبيّ

=

المصنّف سبقه إليه صاحب الحاصل، وهو من أجود التّعاريف فلا نطوّل بذكر غيره، إذ ليس في تعداد التّعريف كبير فائدة))، ابن السُبكيّ، الإبهاج، ج٢، ص٢٨٦٤.

(١) المصدر السابق، ج٥، ص١٧٥٠، وقد أخرج بهذا القران الكريم من الحدّ.

(٢) ابن السُبكيّ، جمع الجوامع، ص٦١.

(٣) قال الآمدي في تعريف السنّة: ((قد تطلق على ما كان من العبادات نافلة منقوله عن النّبيّ عليه السلام، وقد تطلق على ما صدر عن الرسول من الأدلّة الشّرعية مما ليس بمتلو، ولا هو معجز ولا داخل في المعجز))، الآمدي، علي بن محمد أبو الحسن (ت٦٣١هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق سيد الجميلي، بيروت – لبنان، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، ج١، ص٢٢٣، ((وفي اصطلاح المحدّثين: تطلق السنّة على ما أضيف إلى النّبيّ ﷺ خاصّة عند بعضهم، والأكثر أنّها تشمل ما أضيف إلى الصّحابيّ أو التّابعيّ))، نور الدين عتر، منهج النّقد في علوم الحديث، دمشق – سورية، دار الفكر، ط٣، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، ص٢٨.

(٤) ابن السُبكيّ، جمع الجوامع، ص٧٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ﷺ لكان تعريفا حسنا، والاجتماع أعمّ من الرّواية والمجالسة والمحادثة، ولا يَرِدُ على هذا الأعمى لحصول الاجتماع له))[1].

وابن السُّبْكِيّ في هذا التّعريف سلك مسلك المحقّقين من الأصوليين والمحدّثين، إلاّ ما كان من قوله "اجتمع" فقد عَدَلَ عن لفظ ابن الحاجب وغيره، الذين عبّروا بالرؤيّة ليشمل الحدّ من اجتمع بالنّبيّ ﷺ من العميان كابن أم مكتوم[2].

وقد ذكر ابن حجر تعريف الصّحابيّ، فقال: ((أصحّ ما وقفت عليه من ذلك أنّ الصّحابيّ من لقي النّبيّ ﷺ مؤمنا به، ومات على الإسلام))[3].

ثالثا: تعريف المرسل

قال ابن السُّبْكِيّ: ((المرسل: قول غير الصّحابيّ: قال رسول الله ﷺ))[4].

وقال ابن حجر: ((وبهذا التّعريف أطلق ابن الحاجب، وقبله الآمديّ والشّيخ الموفق وغيرهم، فيدخل في عمومه كلّ من لم تصحّ له صحبة ولو تأخر عصره))[5].

والمرسل في رأي جمهور المحدثين: هو ما أضافه التّابعيّ إلى النّبيّ ﷺ مما سمعه من

---

(١) ابن السُّبْكِيّ، رفع الحاجب، ج٢، ص٤٠٤.

(٢) أنظر، العراقي، الغيث الهامع، ص٤٦١.

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٦، وانظر: السّخاويّ، فتح المغيث، ج٣، ص٩٠- ١٠٤، فقد أورد الأقوال في تعريف الصّحابيّ، وما يرد عليها، والسّيوطيّ، تدريب الراويّ، ج٢، ص٢٠٨- ٢١٢.

(٤) ابن السُّبْكِيّ، جمع الجوامع، ص٧٣، وقال: إنّ هذا ((اصطلاح الأصوليين، والشّافعيّ ﷺ يطلق عليه المنقطع أيضا، وفي اصطلاح متأخريّ المحدثين هو قول التّابعيّ، فإنْ كان من تابعيّ التّابعين فمنقطع، وإنْ كان ممن عدهم، فمعضل))، ابن السُّبْكِيّ، رفع الحاجب، ج٢، ص٤٦٢- ٤٦٣.

(٥) ابن حجر، النّكت، ج٢، ص٥٤٤، وقد نص ابن السُّبْكِيّ على ذلك فقال: ((وعند الأصوليين المرسل: قول من لم يلق النبي ﷺ: قال رسول الله ﷺ، سواء كان تابعيًا أم من تابعيّ التّابعين، وإلى يومنا هذا، فتفسير الأصوليين أعمّ من تفسير المحدثين))، ابن السُّبْكِيّ، الإبهاج، ج٥، ص١٩٨٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

غيره[1]، وهو الصواب لتمييز روايةُ التابعي عن غيره، ولضبط الحدّ.

رابعاً: تعريف المنقطع

قال ابن السُبْكِيّ: ((والمنقطع: أنْ يكون بينهما، أي بين الروايتين[2] رجل لم يذكر، ولم يُعْرَف))[3].

وزاد ابن السُبْكِيّ هذا التّعريف توضيحا بما أورده من مثال قال فيه: ((فائدة: حديث عروة البارقيّ الذي أعطاه النّبيّ ﷺ دينارا ليشتري به شاة، فاشترى شاتين، ...، في البخاريّ[4] من حديث سفيان عن شبيب بن غرقدة قال: سمعت الحيّ يتحدثون عن عروة، ولكنّه كما تراه بجهالة الحيّ))[5].

والمنقطع في اصطلاح المحدّثين ما سقط منه رجل غير الصّحابيّ في موضع واحد، أو مواضع متعدّدة بحيث لا يزيد السّاقط في كل منها على واحد[6].

وابن السُبْكِيّ في هذا التّعريف يسلك مسلك الأصوليين، وقد يطلق المنقطع على المرسل أيضا.

خامساً: تعريف الموقوف

---

(١) انظر: ابن حجر، النّكت، ج٢، ص٥٤٦، وقال ابن السُبْكِيّ: ((المرسل عند جمهور المحدثين: هو أنْ يترك الراوي ذكر الواسطة بينه وبين المرويّ عنه، مثل أنْ يترك التّابعيّ ذكر الواسطة بينه وبين رسول الله ﷺ، كقول سعيد بن المسيّب قال رسول الله ﷺ))، ابن السُبْكِيّ، الإبهاج، ج٥، ص١٩٨٥.

(٢) هكذا وردت في المطبوع وأظنّ صوابها "الراويين".

(٣) ابن السُبْكِيّ، رفع الحاجب، ج٢، ٤٨٢- ٤٨٣.

(٤) حديث صحيح، أخرجه البخاريّ، الجامع الصّحيح، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أنْ يريهم النبي ﷺ آية، ج٣، ص١٣٣٢، حديث رقم(٣٤٤٣).

(٥) ابن السُبْكِيّ، رفع الحاجب، ج٢، ص٤٨٣- ٤٨٤.

(٦) انظر: الصّنعاني، توضيح الأفكار، ج١، ص٢٩٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

قال ابن السُّبكيّ: ((والموقوف: أنْ يكون قول صحابيّ، أو من دونه))[1].

وهو في هذا التّعريف يوافق المحدّثين بأنّ الموقوف هو: قول الصّحابيّ، أو فعله، ويخالفهم في عَدِّ قول من دون الصّحابيّ موقوفا[2]، فالمحدّثون يعدّون قول من دون الصّحابيّ مقطوعا، والتفريق أولى، أمّا مع التقييد بأنْ يقال: موقوف على فلان، فيجوز في غير الصّحابيّ.

المطلب الثّاني: العناية بمختلف الحديث

مُختَلف: اسم فاعل من اختلف؛ قال الفيروز أبادي: ((اختلف ضد اتفق))[3]، وورد في معنى مختلف الحديث في الإصطلاح عدّة تعاريف؛ منها ما عرّفه به النّووي بقوله: ((أنْ يأتي حديثان متضادان في المعنى ظاهرا، فيوفق بينهما، أو يرجّح أحدهما))[4].

وقال الحاكم: ((هذا النّوع من هذه العلوم معرفة سننٍ لرسول الله ﷺ يعارضها مثلها))[5].

وينبّه ابن السُّبكيّ إلى ((أنّ تعارض الأخبار إنّما يقع بالنّسبة إلى ظنّ المجتهد، أو بما يحصل من خلل بسبب الرّواة، وأما التّعارض في نفس الأمر بين حديثين صحّ صدورهما عن النّبيّ ﷺ فهو أمر، معاذ الله، أنْ يقع))[6].

وهذا ما ذهب إليه الفقهاء والأصوليون والمحدّثون، فالشّافعيّ ــ رحمه الله ــ يقول: ((وأولى أنْ لا يَشُكّ عالم في لزومها، وأنْ يعلم أنّ أحكام الله ثمّ أحكام رسوله لا تختلّ، إنّها

---

(١) ابن السُّبكيّ، رفع الحاجب، ج٢، ص٤٨٣.

(٢) انظر: الصّنعاني، توضيح الأفكار، ج١، ص٢٣٧، وص٢٤١.

(٣) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، (خلف)، ص١٠٤٥.

(٤) السّيوطيّ، تدريب الراوي، ج٢، ص١٩٦.

(٥) الحاكم، معرفة علوم الحديث، تحقيق السيد معظم حسين، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م، ص١٢٢.

(٦) ابن السُّبكيّ، الإبهاج، ج٧، ص٢٧٥١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تجري على مثال واحد))[1].

وقال الشّاطبيّ: ((ثبت أنّه لا اختلاف في أصل الشّريعة، ولا هي موضوعة على كون وجود الخلاف فيها أصلا يرجع إليه مقصودا من الشارع، بل ذلك الخلاف راجع إلى أنظار المكلفين وإلى ما يتعلق بهم من الابتلاء، وصحّ أنّ نفي الاختلاف في الشّريعة وذمّه على الإطلاق والعموم في أصولها وفروعها))[2].

وقال الخطيب: ((وكل خبرين علم أنّ النّبيّ ﷺ تكلّم بهما، فلا يصحّ دخول التّعارض فيهما على وجه، وإنْ كان ظاهرهما متعارضين؛ لأنّ معنى التّعارض بين الخبرين والقرآن، من أمر ونهي وغير ذلك، أنْ يكون موجب أحدهما منافيا لموجب الآخر، وذلك يبطل التّكليف إنْ كانا أمرا ونهيا، وإباحة وحظرا، أو يوجب كون أحدهما صدقا والآخر كذبا، إنْ كانا خبرين، والنّبيّ ﷺ منزّه عن ذلك أجمع، معصوم منه باتفاق الأمّة))[3].

ومن أمثلة عناية ابن السُّبْكِيّ بمختلف الحديث:

١- قال ابن السُّبْكِيّ: ((روى الشّافعيّ، وأحمد، وابن خزيمة، وابن حبّان في صحيحهما، والحاكم في المستدرك، وقال على شرط الشّيخين، من حديث ابن عمر أنّه ﷺ قال: "إذا بَلَغَ الْمَاءُ قُلَّتَيْنِ لم يَحْمِلْ الخَبَث"[4]، ومفهوم هذا قاض أنّه إذا لم يبلغهما يحمل الخبث، وروى الدّار قطنيّ:

---

(١) الشّافعيّ، محمد بن إدريس أبو عبد الله (ت٢٠٤هـ)، الرسالة، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة – مصر، ١٣٥٨هـ – ١٩٣٩م، ص١٧٣.

(٢) الشّاطبيّ، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطيّ المالكيّ (ت ٧٩٠هـ)، الموافقات، تحقيق مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، ج٤، ص١٣١.

(٣) الخطيب، الكفاية، ص٤٣٣.

(٤) حديث حسن، أخرجه الدارمي، السّنن، كتاب الطّهارة، باب قدر الماء الذي لا ينجس، ج١، ص٢٠٢، حديث رقم(٧٣٢)، وأبو داوود، السّنن، كتاب الطّهارة، باب ما ينجس الماء، ج١، ص١٧، حديث رقم(٦٣)، والتّرْمِذِيّ، الجامع الكبير، كتاب الطّهارة، باب ما جاء أنّ الماء لا ينجسه شيء، ج١، ص٨٥، حديث رقم(٦٧)، =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أنّه ﷺ قال: "إنّ الماء لا ينجسه شيء إلا ما غير ريحه أو طعمه"(١)، فيجمع بينهما، ويقصر مفهوم "إذا بلغ الماء" على الرّاكد، وهذا على الجاري، فنقول: إذا لم يبلغ الماء قلتين، وكان جاريا، لم ينجس إلا بالتّغير))(٢).

ويَرِدُ على هذا التوفيق السؤال الآتي: إذا بلغ الماء قلتين وكان راكدا، وتغير، أينجس أم لا؟ ولذا فالعبرة بما يغير الماء – والله أعلم- فيقال: إذا سقطت النجاسة في ماء بلغ قلتين، سواء أكان راكدا أم جاريا، فلا ينجس إلا بالتغير.

٢- قال في ترجمة ابن حبّان: ((ذكر في صحيحه حديث أنس في الوصال وقوله ﷺ "إنِّي لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ إنِّي أُطْعَمُ وَأُسقَى"(٣)، ثم قال: في هذا الخبر دليل على أنّ الأخبار التي فيها ذكر وضع النّبيّ ﷺ الحَجَرَ على بطنه، كلها أباطيل، وإنّما معناها الحُجَز لا الحَجَر، والحُجَز: هو طَرَف الإزار، إذ الله عز وجل كان يُطعم رسوله ﷺ ، ويسقيه إذا واصَل، فكيف يتركه جائعا مع عدم الوصال؟ حتى احتاج إلى شدّ الحَجَر على بطنه، وما يغني الحجر عن الجوع! قلت: في هذا

=

وقال حديث حسن، والنّسائيّ، السّنن، كتاب الطّهارة، باب التّوقيت في الماء، ج١، ص٤٦، حديث رقم(٥٢)، والدّار قطنيّ، السّنن، كتاب الطّهارة، باب حكم الماء إذا لاقته نجاسة، ج١، ص٢١، حديث رقم(١٥)، والحاكم، المستدرك، ج١، ص٢٢٦، حديث رقم(٤٦١).

(١) حديث حسن، أخرجه الدّارميّ، السّنن، كتاب الطّهارة، باب قدر الماء الذي لا ينجس، ج١، ٢٠٢، حديث رقم(٧٣١)، وأبو داوود، السنن، كتاب الطهارة، باب ما ينجس الماء، ج١، ص١٧، حديث رقم(٦٥)، والتِّرْمِذِيّ، الجامع الكبير، كتاب الطهارة، باب ما جاء انّ الماء لا ينجسه شيء، ج١، ص٨٣، حديث رقم(٦٦)، وقال حديث حسن، والنّسائيّ، السّنن، كتاب الطّهارة، باب ذكر بئر بضاعة، ج١، ص١٧٤، حديث رقم(٣٢٦)، والدّار قطنيّ، السّنن، كتاب الطّهارة، باب الماء المتغيّر، ج١، ص٢٨، حديث رقم(٣)، واللفظ له.

(٢) ابن السُّبْكِيّ، الإبهاج، ج٤، ص١٣١٦.

(٣) حديث صحيح، أخرجه البخاريّ، الجامع الصّحيح، كتاب الصّوم، باب الوصال ومن قال ليس في الليل صيام، ج٢، ص٦٩٣، حديث رقم(١٨٦٠)، ومسلم، الصّحيح، كتاب الصّيام، باب النّهي عن الوصال في الصّوم، ج٢، ص٧٧٤، حديث رقم(١١٠٢)، وابن حبّان، الصّحيح، كتاب الصّوم، ذكر الزجر عن استعمال الوصال في الصّيام، ج٨، ص٣٤٤، حديث رقم(٣٥٧٩)، واللفظ له.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نظر، وقد أخرج ابن حبّان قبل هذا بأوراق يسيرة حديث ابن عبّاس: خرج أبو بكر بالهاجرة . . . الحديث، وفيه قول النّبيّ ﷺ: "والذي نفسي بيده ما أخرجني إلا الجوع"(١)، وفي الجوع أحاديث كثيرة، والجوع لا يقتضي نقصا، بل فيه رِفْعَة لدرجاته العليا ﷺ، والجمع بين ذلك وقضيّة الوِصَال؛ أنّه ﷺ كانت له أحوال بحسب ما يختاره الله تعالى له ويرتضيه، فتارة الجوع، وتارة التّقْوية على الصّوم، وكلّ حال بالنّسبة إليه في وقتها أكمل وأولى، هكذا كان خطر لي، والذي أنا عليه الآن أنّي لا أدري من حَالِهِ ﷺ في الجوع شيئا، والذي أعتقده أنّه كان جوعا اختياريا، لا اضطراريّا، وأنّه ﷺ كان يَقْدِرُ على طَرْدِهِ عن نفسه، إمّا بأنْ تنصرف عنه شهوة الطّعام والشّراب، مع بقاء القوّة بإذن الله، وإمّا بتغذية الله المُغْنِيَة له عن الطّعام والشّراب، وإمّا بتناول الغذاء، فقد كان النّبيّ ﷺ قادرا على ذلك))(٢).

٣- قال ابن السُّبْكِيّ في حديثه عن الاعتبار بالحال أو بالمآل: ((ومن القواعد المتشعبات، والأصول المتلقيات من هذه القاعدة قول أئمّتنا: ما اجتمع الحلال والحرام إلا وغلب الحرام الحلال، وهو كما قال البيهقيّ: حديث رواه جابر الجعفي(٣) رجل ضعيف، عن الشّعبيّ، عن ابن مسعود، وهو منقطع؛ غير أنّ القاعدة في نفسها صحيحة، قال الشّيخ أبو محمّد في "السلسة"(٤): لم

---

(١) حديث صحيح، أخرجه مسلم، الصّحيح، كتاب الأشربة، بَاب جَوَازِ اسْتِتْبَاعِهِ غَيْرَهُ إِلى دَارِ من يَثِقُ بِرِضَاهُ بِذَلِكَ وَبِتَحَقُّقِهِ تَحَقُّقًا تَامًّا وَاسْتِحْبَابِ الاجْتِمَاعِ على الطَّعَامِ، ج٣، ص١٦٠٩، حديث رقم(٢٠٣٨)، من طريق أبي هريرة، وابن حبّان، الصّحيح، كتاب الأطعمة، ذكر الأمر بتحميد الله، ج١٢، ص١٦، حديث رقم(٥٢١٦).

(٢) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٣، ص١٣٣.

(٣) حديث ضعيف، أخرجه عبد الرزاق، المصنّف، ج٧، ص١٩٩، حديث رقم(١٢٧٧٢)، قال البيهقيّ: ((وأمّا الذي روي عن ابن مسعود أنّه قال: ما اجتمع الحرام والحلال إلا غلب الحرام على الحلال، فإنّما رواه جابر الجعفيّ عن الشّعبيّ عن ابن مسعود، وجابر الجعفيّ ضعيف، والشّعبيّ عن ابن مسعود منقطع، وإنّما رواه غيره بمعناه عن الشّعبيّ من قوله، غير مرفوع إلى عبد الله بن مسعود))، البيهقيّ، السّنن الكبرى، ج٧، ص١٦٩، وقال الزيلعيّ: ((وهذا الحديث وجدته موقوفا على ابن مسعود))، الزيلعيّ، نصب الراية، ج٤، ص٣١٤.

(٤) هو عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني(ت٤٣٨هـ)، والد أبو المعالي الجويني إمام الحرمين، وكتابه =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يَخْرُجْ عنها إلا ما ندر، والعبرة بالغالب، قلتُ: وقد عورض الحديث المذكور بما رواه ابن ماجة، والدّار قطنيّ من حديث ابن عمر "لا يحرم الحرام الحلال"[1]، وليس بمعارض، لأنّ المحكوم به في الأولى أعطى الحلال حكم الحرام تغليبا واحتياطا، لا صيرورته في نفسه حراما))[2].

وابن السُّبْكِيّ في هذا المثال يزيل التّعارض دون النّظر إلى قوّة الدّليل، فقد أشار في كلامه إلى ضعف الحديث الأوّل، وأمّا الحديث الثّاني فهو من رواية إسحاق بن مُحَمَّدٍ الْفَرْوِيّ[3] عن عبد اللّهِ بن عُمَرَ العمري[4]، وكلاهما ضعيف.

المطلب الثّالث: العناية بفقه الحديث

يعدّ فقه النّص الحديثي، وشرحه، واستنباط المعاني منه جانبا هامّا من جوانب علوم

=

سلسلة الواصل في فروع الشافعية.

(١) حديث ضعيف، أخرجه ابن ماجة، السّنن، كتاب النّكاح، بَاب لا يُحَرِّمُ الْحَرَامُ الْحَلاَلَ، ج١، ص٦٤٩، حديث رقم(٢٠١٥)، والدّار قطنيّ، السنن، كتاب النّكاح، ج٣، ص٢٦٨، حديث رقم(٨٩)، والبيهقيّ، السّنن الكبرى، ج٧، ص١٦٨، حديث رقم(١٣٧٤٢).

(٢) ابن السُّبْكِيّ، الأشباه والنظائر، ج١، ص١١٧.

(٣) هو إسحاق بن محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن أبي فروة الفرويّ، قال أبو حاتم : كان صدوقا ، لكن ذهب بصره فربما لقن، وكتبه صحيحة، وقال مرّة: مضطرب، وقال الآجريّ : سألت أبا داود عنه فوهّاه جدا، وقال النّسائيّ: ليس بثقة، مات سنة ستّ وعشرين ومائتين، انظر ترجمته في: النّسائيّ، الضّعفاء والمتروكين، ص١٨، والعقيلي، الضّعفاء، ج١، ص١٠٦، والمزّيّ، تهذيب الكمال، ج٢، ص٤٧١، والذّهبيّ، ميزان الاعتدال، ج١، ٣٥١، وابن حجر، تهذيب التّهذيب، ج١، ص٢١٧، ولسان الميزان، ج٧، ص٤٩٩.

(٤) هو عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب القرشيّ العدويّ ، أبو عبد الرحمن العمريّ، قال أبو زرعة: قيل لابن حنبل: كيف حديث عبد الله بن عمر؟ فقال: كان يزيد في الأسانيد، ويخالف، وكان رجلا صالحا، يكتب حديثه، ولا يحتجّ به، وقال النّسائيّ: ليس بالقويّ، توفيّ سنة إحدى وسبعين ومائة، انظر ترجمته في: النّسائيّ، الضّعفاء والمتروكين، ص٦١، وابن حبّان، المجروحين، ج٢، ص٦، والعقيليّ، الضّعفاء، ج٢، ص٢٨٠، وابن عديّ، الكامل في ضعفاء الرجال، ج٤، ص١٤١، والمزّيّ، تهذيب الكمال، ج١٥، ص٣٢٧، والذّهبيّ، ميزان الإعتدال، ج٤، ص١٥١، وابن حجر، لسان الميزان، ج٣، ص٣٢٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحديث، وهو ثمرة من ثماره؛ يقول النوويّ: ((وحاصل هذا الكلام الذي ذكره مسلم، رحمه الله، أنّ المراد من علم الحديث تحقيق معاني المتون ... والبحث عن خفي معاني المتون))[1].

قال الحاكم في بيانه لعلوم الحديث: ((معرفة فقه الحديث إذ هو ثمرة هذه العلوم، وبه قوام الشّريعة ... ونحن ذاكرون، بمشيئة الله، في هذا الموضع فقه الحديث عن أهله؛ ليستدلّ بذلك على أنّ أهل هذه الصّفة من تبحر فيها لا يجهل فقه الحديث، إذ هو نوع من أنواع هذا العلم))[2].

وقال ابن السُّبكيّ: ((ومن أهل العلم طائفة طلبت الحديث، وجعلت دأبها السّماع على المشايخ، ومعرفة العالي من المسموع والنّازل، وهؤلاء هم المحدّثون على الحقيقة، إلاّ أنّ كثيرا منهم يجهد نفسه في تهجي الأسماء والمتون، وكثرة السّماع من غير فهم لما يقرأه، ولا تتعلق فكرته بأكثر من أنّي حصّلت جزء ابن عرفة عن سبعين شيخا، جزء الأنصاريّ عن كذا كذا شيخا، ... وإنّما كان السّلف يسمعون فيعون، فيرحلون فيقرؤون، فيحفظون، فيعلَمون، ورأيت من كلام شيخنا الذّهبيّ في وصيّته لبعض المحدّثين في هذه الطّائفة: ما حظّ واحد من هؤلاء إلا أنْ يسمع ليروي فقط، فَلْيُعاقبنّ بنقيض قصده، وليشهرنّه الله بعد أنْ ستره مرّات، وليبقينّ مضغة في الألسن، وعبرة بين المحدّثين، ثمّ ليطبعنّ الله على قلبه))[3].

وانطلاقا من هذا الاعتقاد، فقد اعتنى ابن السُّبكيّ بفقه الحديث؛ فتجده يعتني بضبط ألفاظ الحديث، وبيان معاني الألفاظ الغريبة، واستنباط الأحكام، واستخراج أوجه الدّلالة، ومن أمثلة ذلك:

---

(١) النووي، المنهاج، ج١، ص٤٧.

(٢) الحاكم، معرفة علوم الحديث، ص٦٣.

(٣) ابن السُّبكيّ، معيد النّعم، ص٧١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المثال الأول: قال ابن السُّبكيّ: ((وفي الصحيحين أيضا من حديث أبي ذر أنّ النّبيّ ﷺ قال "أتاني جبريل فبشّرني أنّه من مات من أمّتك لا يُشْرِك بالله شيئا دخل الجنة"، قلت: وإنْ زنى وإنْ سرق؟ قال: وإنْ زنى وإنْ سرق[1]، وفي رواية: "على رغم أنف أبي ذر"، والرّواية في الصحيحين أيضا، قلت: ولقد تأملت قوله ﷺ "وإنْ زنى وإنْ سرق"، وجمعه بين الزنى والسّرقة دون سائر المعاصي، فلم يقع لي إلا الإشارة إلى أنّه يتجاوز عن المعاصي المتعلقة بحق الله بعد الكفر كالزنى، والمعاصي المتعلقة بحقّ العباد كالسّرقة، فَجَمْعُ، من أوتي جوامع الكلم ﷺ ، بين حقّ الله وحقّ الآدميين، يشير إلى أنّ دخول الجنّة لا يتوقّف على شيء منها، فإنْ قلتَ: ما باله آثر ذكر السّرقة على ذكر القتل وهو أقبح؟ قلتُ: لكثرة وقوع النّاس فيها وقلة وقوع القتل، فآثر ذكر ما يكثر وقوعه لشدّة الاحتياج إلى السؤال عنه على ما يندر))[2].

المثال الثّاني: قال ابن السُّبكيّ: ((سمعت والدي ﷺ يقول: سمعت عمّي أبا زكريا يحيى ابن عليّ يقول: كنّا حاضرين في الدّرس عند قاضي القضاة صدر الدّين ابن بنت الأعزّ، وهو يلقي في حديث "إنّ أرْواحَ الشُّهَدَاءِ في حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ"[3]، فحضر الشّيخ علم الدّين العراقيّ، فما استقر جالسا حتّى قال على وجه السّؤال: لا يخلو إمّا أنْ يحصل للطّير الحياة بتلك الرّوح أم لا؟

---

(١) حديث صحيح، أخرجه البخاريّ، الجامع الصّحيح، كتاب التّوحيد، باب كلام الرّبّ مع جبريل، ج٦، ص٢٧٢١، حديث رقم(٧٠٤٩)، ومسلم، الصّحيح، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنّة، ج١، ص٩٤، حديث رقم(٩٤).

(٢) ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج١، ص٥٦.

(٣) حديث صحيح، أخرجه الإمام مسلم بسنده إلى مَسْرُوقٍ قال: "سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ هو بن مسعود عن هذه الآيَةِ ﴿ولا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا في سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ، قال: أَمَا إنَّا قد سَأَلْنَا عن ذلك، فقال: أَرْوَاحُهُمْ في جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لها قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ من الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إلى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اطِّلَاعَةً، فقال: هل تَشْتَهُونَ شيئا؟ قالوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي! وَنَحْنُ نَسْرَحُ من الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذلك بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فلما رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا من أَنْ يُسْأَلُوا قالوا: يا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا في أَجْسَادِنَا حتى نُقْتَلَ في سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فلما رَأَى أَنْ ليس لهم حَاجَةٌ تُرِكُوا"، مسلم، الصّحيح، كتاب الإمارة، =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والأوّل عَيْنُ ما تَقُولُهُ التّناسُخِيّة، والثّاني مُجَرّدَ حَبْس للأرواحِ وَسِجْن، قلتُ: والجواب على هذا أنّا نلتزم الثّاني، ولا يَلْزم كونُه مُجَرّدَ حبس وسجن، لجواز أنْ يُقَدّرَ الله تعالى لها في تلك الحواصل من السرور، والنّعيم ما لا تجده في الفضاء الواسع))[1].

المثال الثّالث: قال ابن السُّبْكِيّ: ((ويجوز استنباط معنى يعمم، كمشوّش الفكر من قوله ﷺ: "لا يقضي القاضي وهو غضبان"[2]، فلقد عمّمنا الغضب، ونقل القاضي أبو الطّيب الإجماع على ذلك، وخصصناه بالغضب إلا لله؛ إذ لا كراهة على ما ذكر الإمام البغويّ، فيما إذا كان الغضب لله، واستنباط معنى يعمّ هو باب القياس))[3].

=

بَاب بَيَانِ أَنّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي الْجَنّةِ وَأَنّهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبّهِمْ يُرْزَقُونَ ج٣، ص١٥٠٢، حديث رقم (١٨٨٧).

(١) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج١٠، ص٩٥- ٩٦، ويؤيد ذلك ما جاء في تتمة الحديث من أنّ الشّهداء وإنْ كانوا في حواصل الطير إلا أنّهم في نعيم لم يطلبوا الزيادة عليه.

(٢) حديث صحيح، أخرجه البخاريّ، الجامع الصّحيح، كتاب الأحكام، باب هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان، ج٦، ص٢٦١٦، حديث رقم(٦٧٣٩).

(٣) ابن السُّبْكِيّ، الأشباه والنّظائر، ج١، ص١٥٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الثّالث: أثر الثّقافة التّاريخيّة على النقد الحديثي

أهمية الثقافة التاريخية في مجال الدراسات الحديثية واضحة جلية، كيف لا وللتاريخ دور في الكشف عن عدالة الرواة، وضبطهم، وخدمة متون الحديث؛ توثيقا لنصوصها، وترجيحا فيما بينها.

وقد نال ابن السبكي حظا وافرا من علم التاريخ، ومعرفته بتواريخ الرجال وأحوالهم، مما جعله يقف عند بعض الأخبار التي ترتبط معرفتها بنقد الأسانيد والمتون، وهذا المبحث معقود لبيان ذلك.

المطلب الأول: العناية بطبقات الحفاظ وتراجمهم

يمثل علم التّاريخ جانبا من جوانب الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، وإذا كانت علوم الدّين أو الطّبيعة، أو الفلسفة ترسم للشّعوب آفاقها النّظرية، ومسالكها العمليّة التي يجب أنْ تسلك، فَعِلْمُ التّاريخ يصف رجالها، وأحداثها، فهو الشّاهد عليها، ومن المعروف أنّ التّرجمة فنّ من فنون الكتابة التّاريخيّة، طغى إلى حدّ ما على فنون الكتابة التّاريخيّة الأخرى، وقد حوى ثروة ضخمة من النّصوص التّاريخيّة التي تجعله قادرا على الكشف عن واقع الحال في العصور الماضية[1].

وقد ((كان التّاريخ حتّى عصر الطّبريّ من ميادين العاملين بالثّقافة والعلم، ومقصورا بالذّات على رجال علوم الدّين خاصّة، أو اللغة على قلّة ... لم يحاوله أحد غيرهم، إلاّ أنّه منذ القرن الرّابع انضم إلى الفقيه والمحدّث واللغوي في رواية التّاريخ وتدوينه مجموعات أخرى عديدة التّنوّع من العلماء))[2].

---

(١) انظر: العمري، دراسات، ص١٤٧- ١٤٨.

(٢) شاكر مصطفى، التّاريخ العربي والمؤرخون دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، بيروت – لبنان، دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م، ج١، ص٢٧٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن هؤلاء الذين ولعوا بمعرفة التّاريخ، وتراجم الرّجال وسيرهم، ابن السُّبكيّ الذي كان متأثرا بمنهج المحدّثين فيما أورد من تراجم للفقهاء في "طبقاته الكبرى" و"الوسطى" و"الصغرى"[1]، فقد ذكر فيها ((ترجمة الرّجل مستوفاة على طريقة المحدّثين))[2]، كيف لا و((فنّ التّرجمة، وأكثر كتب التّاريخ هي من فنون علم الحديث، بالنّظر إلى أهدافه، التي من أجلّها معرفة المتقدّم من المتأخر، وبه يعلم النّاسخ والمنسوخ من الأخبار، ويعلم المتعاصرون من الرّواة، وتحفظ به الأنساب، وما يترتب عليها من أحكام شرعيّة كالميراث والكفاية، وبه أيضا آجال الحقوق، ويطّلع به على أخبار العلماء، وأحوال الرّواة، ونقلة الأخبار، ويعرف ذوو الفضل ممن يحسن الإقتداء بهم))[3].

وكما اعتنى ابن السُّبكيّ بالتّراجم الجماعيّة للفقهاء والحفاظ، نالت التّراجم الفردية جزءا من اهتماماته؛ فكتب "مناقب الشّيخ أبي بكر بن قوّام"، ولم يُخلِ كتبه من التّعريف ببعض الأشخاص، وبيان أسمائهم، وأوطانهم.

المطلب الثّاني: نقد الأخبار

لم يقتصر النّقد عند ابن السُّبكيّ على نقد الأحاديث، وإنّما توجّه لنقد الرّوايات التّاريخيّة،

---

(١) رجّح محققا كتاب" طبقات الشّافعيّة الكبرى" أنّ ابن السُّبكيّ ((بدأ بإخراج طبقات الشّافعيين في كتابه الطبقات الوسطى، وكان في أثناء ذلك يعمل لإصدار موسوعته في هذا الفنّ، التي عرفت باسم الطّبقات الكبرى... ولعله اختصر طبقاته الصّغرى من الطّبقات الوسطى ومن الطّبقات الكبرى أثناء عمله فيها وقبل الفراغ منها))، محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، مقدمة تحقيق الطّبقات الكبرى، ج١، ص٣٣- ٣٤، وهذا ما تؤكده نصوص ابن السُّبكيّ والتي نقلها محققا الطّبقات الكبرى، انظر: المصدر السابق، ج١، ص٣١- ٣٤.

(٢) ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج١، ص٢٠٧، وتتسم طريقة المحدّثين في التّرجمة للرّجال بالتّعريف بصاحب التّرجمة من جهة اسمه ونسبه ووطنه، وسنة المولد والوفاة، وذكر شيوخه وتلاميذه ورحلاته، وأقوال أئمّة الجرح والتّعديل فيه، ومروياته ومصنّفاته، وخصائصه الأخلاقيّة والعلميّة، والمناصب التي تولاّها، انظر: العمري، دراسات، ص١٥٣- ١٦٥.

(٣) المصدر السابق، ص١٤٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الّتي قد ترتبط معرفتها بتصحيح الأحاديث، هذا من جهة، ومن جهة أخرى الوقوف على صحيح الأخبار، ومن أمثلة ذلك:

المثال الأوّل: قال ابن السُّبْكِيّ: ((قال القاضي في مختصر التّقريب[1]: ثمّ إنّ ابن عبّاس كان ابن سبع لما توفي رسول الله ﷺ، وما بلغ ابن الزّبير أيضا حلمه في حياته ﷺ، قلت: هذا وهم؛ كان ابن عبّاس لما توفي رسول الله ﷺ ابن ثلاث عشر سنة، وقيل ابن عشر، وهو ضعيف، وقيل ابن خمس عشرة، ورجّحه أحمد بن حنبل، وأمّا ابن الزبير فإنّه ولد بعد عشرين شهرا من الهجرة، فيصحّ ما ذكره القاضي من أنّه لم يبلغ الحلم في حياة النّبيّ ﷺ))[2].

وقد وقع الخلاف في مولد ابن الزبير، والرّاجح ما قاله ابن كثير أنّه ولد في شوال من السنة الأولى للهجرة[3]، وقال ابن حجر في معرض شرحه لحديث أسماء بنت أبي بكر أنها حملت بعبد الله وهي في مكة، وهاجرت وقد أتمّت مدّة الحمل: ((وفي الحديث أنّ مولد عبد الله ابن الزبير كان في السّنة الأولى، وهو المعتمد، بخلاف ما جزم به الواقدي ومن تبعه، بأنّه ولد في السّنة الثّانية بعد عشرين شهرا من الهجرة))[4].

المثال الثّاني: قال ابن السُّبْكِيّ في تعليقه على حديث "الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً"[5]، بعد أنْ نقل ما قيل في أنّ مدّة خلافة الأربعة ثلاثون سنة: ((والصّحيح أنّ المكمّل لهذه المدّة الحسن

---

(١) كتاب التقريب والإرشاد في طرق الاجتهاد للقاضي أبي بكر الباقلاني، ويطلق عليه ابن السبكي أحيانا "مختصر التقريب"، واختصره أبو المعالي الجويني وأطلق عليه "التلخيص".

(٢) ابن السُّبْكِيّ، الإبهاج، ج٥، ص١٨٩٨.

(٣) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص٢٣٠.

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ج٧، ص٢٤٨، وفائدة ذلك بيان صحة السماع من الرسول ﷺ.

(٥) حديث حسن، أخرجه أحمد بن حنبل، المسند، ج٣٦، ص٢٥٦، حديث رقم(٢١٩٢٨)، وأبو داود، السّنن، كتاب السّنة، باب في الخلفاء، ج٤، ص٢١١، حديث رقم(٤٦٤٧)، والتِّرْمِذِيّ، واللفظ له، الجامع الكبير، كتاب الفتن، باب ما جاء في الخلافة، ج٤، ص٢٨٤، حديث رقم(٢٣٧٥)، وقال هذا حديث حسن، وابن حبّان، =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ابن عليﷺ، وكانت مدّة خلافته ستّة أشهر، بها تكمّلت الثّلاثون، ولكن الحسن ﷺ لم تتسع مهلته، ولم تبرز أوامره، ولا عرفت طريقته لقلّة المدّة))[1].

المثال الثّالث: قال ابن السُّبكِيّ في حديثه عن عدّة أهل بدر: ((وقال قوم ثلثمائة وبضعة عشر عدد أهل بدر، والبضع بكسر الباء هو ما بين الثّلاث إلى التّسع، والذي في "مختصر التّقريب" للقاضي، و"البرهان" لإمام الحرمين، و"الوجيز" لابن برهان، و"الأحكام" للآمدي، تقييد هذا العدد بثلاثمائة وثلاثة عشر، وهو لا يباين ما نقل المصنّف، ولعل النّاظر في كتب المحدّثين يجد أنّهم كانوا ثلاثمائة رجل وخمسة رجال، وهو أيضا غير مباين، وذلك لأنّ الذين خرجوا مع النّبيّ ﷺ في غزوة بدر للمقاتلة ثلاثمائة رجل وخمسة رجال، ولم يحضر الغزوة ثمانية من المؤمنين؛ أدخلهم النّبيّ ﷺ في حكم عداد الحاضرين، وأجرى عليهم حكمهم، فكانت الجملة ثلاثمائة وثلاثة عشر، فاستفد هذا، فإنّ جماعة من المحدّثين ذهلوا عنه، حتى حكاه بعضهم خلافا، فقال: قيل ثلاثمائة وقيل: ثلاثمائة وخمس رجال، كالحافظ شرف الدّين الدّمياطيّ[2] وغيره، والجمع بين القولين ما أشرنا إليه))[3].

المطلب الثّالث: تعقباته في تواريخ الرّجال

اعتنى العلماء بأسماء الرّجال وتواريخهم، لما له من أثر في معرفة رجال الأسانيد، وتمييز بعضهم من بعض، كي لا يختلط الثّقة بالضّعيف، ومن تقبل روايته بمن لا تقبل، وابن السُّبكِيّ شأنه في ذلك شأن بقيّة العلماء؛ ترجم للرّجال وبيّن أحوالهم، وتعقّب أقوال العلماء في تواريخ

=

الصّحيح، ج١٥، ص٣٩٢، حديث رقم(٦٩٤٣).

(١) ابن السُّبكِيّ، الإبهاج، ج٥، ص٢٠٦٨.

(٢) في كتاب السيرة النبوية له.

(٣) ابن السُّبكِيّ، الإبهاج، ج٥، ص١٨٣٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الرّجال مصحّحا لما ذكروه، ومرجّحا لما اختلفوا فيه.

وقد رأيت تقسيم الكلام في تعقبات ابن السُّبْكِيّ في تواريخ الرجال إلى ثلاثة أقسام؛

الأوّل: الاسم والنّسبة.

الثّاني: سنتيّ المولد والوفاة.

الثّالث: السّماع.

القسم الأوّل: تعقبات ابن السُّبْكِيّ في أسماء الرّجال، ونسبتهم

المثال الأوّل: قال ابن السُّبْكِيّ في تعليقه على حديث "أنّ النّبيّ ﷺ دعا أبا سعيد وهو في الصلاة"[1]: ((وقد وقع في الكتاب أنّ أبا سعيد هذا هو الخدريّ، وكذا وقع في "المحصول" وغيره من كتب الأصول؛ ظنّا من مصنّفيها أنّه لا أبو سعيد في الصّحابة إلا الخدريّ، وهذا الظّنّ نشأ لهم من شهرة أبي سعيد الخدريّ، وعدم طروق ذكر غيره على أسماعهم، وأبو سعيد هذا إنّما هو ابن يعلى[2]، وليس هو بالخدريّ، والقرافيّ، رحمه الله، نبّه على ذلك، ومن كتبه استفدناه وهو صحيح، وقد سألت شيخنا الحافظ الذّهبيّ، رحمه الله، هل روي هذا الحديث من طريق الخدريّ في شيء من الكتب والأجزاء؟ فقال: لا))[3].

---

(١) حديث صحيح، أخرجه البخاريّ بسنده إلى أبي سَعِيدِ بن الْمُعَلَّى قال كنت أُصَلِّي في الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رسول اللَّهِ ﷺ فلم أُجِبْهُ فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ إنّي كنت أُصَلِّي فقال أَلَمْ يَقُلْ الله ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إذا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ ثُمَّ قال لي لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ في الْقُرْآنِ قبل أَنْ تَخْرُجَ من الْمَسْجِدِ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فلما أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قلت له أَلَمْ تَقُلْ لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ في الْقُرْآنِ قال الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الذي أُوتِيتُهُ"، البخاريّ، الجامع الصحيح، كتاب التفسير، بَاب ما جاء في فَاتِحَةِ الْكِتَابِ، ج٤، ص١٦٢٣، حديث رقم (٤٢٠٤).

(٢) أظنه خطأ في المطبوع، والصّواب ابن المعلى، كذا ورد في إسناد الإمام البخاريّ، وقال الإمام ابن حجر: ((تنبيهان يتعلقان بإسناد هذا الحديث أحدهما نسب الغزّاليّ والفخر الرّازيّ، وتبعه البيضاويّ هذه القصة لأبي سعيد الخدريّ وهو وهم، وإنّما هو أبو سعيد بن المعلى))، ابن حجر، فتح الباريّ، ج٨، ص١٥٧.

(٣) ابن السُّبْكِيّ، الإبهاج، ج٤، ص١٠٦٧،

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المثال الثّاني: قال ابن السُّبْكِيّ في ترجمة الزبير بن أحمد بن سليمان[1]: ((وقع في كلام بعض المصنّفين أنّ اسمه أحمد بن سليمان، والصّواب ما ذكرناه، وهو ما ذكره الشّيخ أبو إسحاق، والخطيب، وابن السّمعانيّ، وغيرهم))[2].

المثال الثّالث: قال ابن السُّبْكِيّ في ترجمة حمد بن محمد بن إبراهيم[3]: ((ذكره أبو منصور الثّعالبيّ في كتابه "اليتيمة"[4]، وسمّاه أحمد، وهو غلط، والصواب حمد))[5].

المثال الرّابع: نقل ابن السُّبْكِيّ في ترجمة عمر بن عبد الله بن موسى الباب شاميّ[6] قول المطوّعِيّ : أنّ الخليفة المقتدر استقضى عمر بن عبد الله على بعض كور الشّام، فلذلك عرف بالباب شاميّ لطول مقامه بها، وتعقبه بما نقله عن ابن السّمعاني بأنّ هذه النّسبة إنّما هي إلى

---

(١) هو أبو عبد الله الزبير بن أحمد بن سليمان بن عاصم بن المنذر بن الزبير بن العوام توفيّ سنة (٣١٧هـ)، انظر ترجمته في: الخطيب، تاريخ بغداد، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ج٨، ص٤٧١، والشّيرازيّ، إبراهيم بن علي بن يوسف أبو إسحاق (ت٤٧٦هـ)، طبقات الفقهاء، تحقيق خليل الميس، بيروت – لبنان، دار القلم، ص١١٧، والصّفدي، الوافي بالوفيات، ج١٤، ص١٢٥، والنوويّ، تهذيب الأسماء، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، بيروت – لبنان، دار الفكر، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩٦، ج٢، ص٥٣٤، وقال النّوويّ: ((قال الخطيب في تاريخ بغداد، والسمعاني في الأنساب، والجمهور: أنّ اسمه الزبير، وذكر عمر بن علي المطوعيّ: أنّ اسمه أحمد بن سليمان))، وابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٣، ص٢٩٥، وابن قاضي شهبة، طبقات الشّافعيّة، ج١، ص٩٣.

(٢) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٣، ص٢٩٥.

(٣) هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب الإمام أبو سليمان الخطّابيّ البستيّ توفي سنة (٣٨٨هـ)، انظر ترجمته في: الذّهبيّ، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٢٥-٢٦، وقال الذّهبيّ: ((حدث عنه أبو عبيد الهرويّ ... فقال: أحمد بن محمّد الخطّابيّ، ولم يكنه، ووافقه على ذلك أبو منصور الثّعالبيّ في كتاب اليتيمة لكنه كناه، وقال أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم البستيّ،... والصّواب في اسمه حمد، كما قال الجمّ الغفير، لا كما قالاه))، وابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٣، ص٢٨٢، والسّيوطيّ، طبقات الحفاظ، ص٤٠٤.

(٤) كتاب "يتيمة الدهر، للثعالبي أبي منصور عبد الملك بن محمد(ت٤٢٩هـ)، تحقيق مفيد قمحية، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

(٥) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٣، ٢٨٢.

(٦) هو عمر بن عبد الله بن موسى أبو حفص ابن الوكيل الباب شاميّ توفيّ بعد سنة (٣١٠هـ)، انظر ترجمته في: النّووي، تهذيب الأسماء، ج٢، ص٥٠٠، وابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٣، ص٤٧٠، وابن قاضي =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

باب الشّام إحدى المحالّ المشهورة في بغداد[1]، فقال: ((وأرى هذا في نسبته أصحّ مما قاله المطوّعيّ))[2].

المثال الخامس: ذكر ابن السُّبكيّ في ترجمة الحسن بن محمد بن الصّبّاح الزّعفرانيّ[3]، أنّه نُسِبَ إلى قرية يقال لها "الزّعفرانيّة"، وأنّه سكن أحياء بغداد، فَنُسِبَ الحيّ الذي سكنه إليه[4]، وقال: ((قد عكس شيخنا الذّهبيّ، فذكر أنّ الزّعفرانيّ منسوب إلى درب الزّعفران، والصّواب عكسه، وهو أنّ درب الزّعفران منسوب إلى الزّعفرانيّ، وأنّ الزّعفرانيّ منسوب إلى قرية))[5].

ثم نقل قصّة تؤكد هذه النّسبة؛ فقال: ((وقال أحمد بن محمد بن الجرّاح: سمعت الحسن الزّعفرانيّ يقول: لمّا قرأت كتاب "الرّسالة" على الشّافعيّ قال لي: من أيّ العرب أنت؟ قلت: ما أنا بعربيّ، وما أنا إلاّ من قرية يقال لها "الزّعفرانيّة"، قال: فأنت سيّد هذه القرية))[6].

القسم الثّاني: تعقباته في سنتيّ المولد والوفاة

المثال الأوّل: قال ابن السُّبكيّ في ترجمة أحمد بن محمد السّلفي[7]: ((قيل مولده سنة اثنتين

=

شهبة، طبقات الشّافعيّة، ج١، ص٩٧، والشيرازيّ، طبقات الفقهاء، ص١١٩.

(١) انظر: ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ٣ج، ص٤٧٠.

(٢) المصدر السابق، ج٣، ص٤٧١.

(٣) هو الحسن بن محمّد بن الصبّاح أبو علي البغدادي الزعفراني صاحب الشّافعيّ، توفيّ سنة (٢٦٠هـ)، انظر ترجمته في: الشّيرازيّ، طبقات الفقهاء، ص١١٢، والنّووي، تهذيب الأسماء، ج١، ص١٦٤، وقال النّووي: ((ودرب الزعفرانيّ الذي ببغداد منسوب إليه))، وابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج٢، ص١١٤، وابن قاضي شهبة، طبقات الشّافعيّة، ج١، ص٩٧.

(٤) انظر: ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج٢، ص١١٤.

(٥) المصدر السابق، ج٢، ١١٥.

(٦) ابن السُّبكيّ، الطبقات الكبرى، ج٢، ص١١٥..

(٧) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الحافظ الكبير الشهير أبو طاهر بن أبي أحمد بن سلفة

=

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وسبعين وأربعمائة تخمينا لا يقينا، وقيل سنة خمس وسبعين، وقيل سنة ثمان وسبعين، وهو قول ساقط، فإنّ السّلفيّ جاوز المائة بلا ريب، وقد طلب الحديث، وكتب الأجزاء، وقرأ بالرّوايات في سنة تسعين وبعدها، وحكى عن نفسه أنّه حدّث سنة اثنتين وتسعين، وما في وجهه شعرة، وأنّه كان ابن سبع عشرة سنة أو نحوها))[1].

المثال الثّاني: قال ابن السُّبْكِيّ في ترجمة هبة الله بن عبد الله القفطيّ[2]: ((وقد اختلف في مولده، فقيل سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وقيل سنة ستّمائة، وقيل سنة إحدى وستّمائة، ولعله الأقرب))[3].

المثال الثّالث: قال ابن السُّبْكِيّ في ترجمة أحمد بن عيسى بن رضوان القليوبيّ[4]: ((قال شيخنا الذّهبيّ: إنّه توفيّ سنة تسع وثمانين وستّمائة، قلت: وليس كذلك، بل قد تأخر عن هذا الوقت، فقد رأيت طباق السّماع عليه في "العلم الظّاهر" مؤرخة بسنة إحدى وتسعين وستّمائة بعضها في جمادى الأولى وبعضها في رجب، وعليها خطّه بالتّصحيح، وكان حاكما بمدينة

=

الأصفهانيّ السّلفيّ، وسلفة لقب لجدّه، انظر ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١٠٥، وقال: كانت ولادته سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة تقريبا، والذّهبيّ، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٥، وقال: إنّه ولد سنة خمس وسبعين أو قبلها بسنة، وابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٦، ص٣٢، وابن قاضي شهبة، طبقات الشّافعيّة، ج٢، ص٦، وقال إنّه ولد سنة خمس وسبعين وأربعمائة، وابن تغري بردي، النّجوم الزّاهرة، ج٦، ص٨٧، وقال: إنّه ولد سنة سبعين وأربعمائة، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص٢٥٥.

(١) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٦، ص٣٣.

(٢) هو بهاء الدين هبة الله بن عبد الله بن سيد الكلّ القِفْطيّ، انظر ترجمته في: ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٨، ص٣٩٠، والسّيوطيّ، بغيّة الوعاة، ج٢، ص٣٢٥، وحسن المحاضرة، ج١، ص١٣٩، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٤٣٩.

(٣) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٨، ص٣٩٠.

(٤) هو أحمد بن عيسى بن رِضوان الشّيخ كمال الدين بن الضّياء الكنانيّ العسقلانيّ، انظر ترجمته في: الصّفديّ، الوافي بالوفيات، ج٧، ص١٧٩، وابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٨، ٢٣، السّيوطيّ، حسن المحاضرة، ج١، ص١٣٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المحلة إذ ذاك))[1].

المثال الرّابع: قال ابن السُّبْكِيّ في ترجمة أحمد بن محمّد بن الوليد[2]: ((توفيّ سنة اثنتين وعشرين ومائتين على ما حرره شيخنا الذّهبيّ، ووهم بعضهم، فقال سنة ثنتي عشرة، وأظنّ الوهم سرى إلى هذا القائل من قول البخاريّ: فارقته حيّا سنة ثنتي عشرة، وقد صحّ أنّه كان حيّا سنة سبع عشرة، ومن ثمّ قال ابن عساكر: مات سنة سبع عشرة أو بعدها، قلت: الصّحيح سنة اثنتين وعشرين))[3].

المثال الخامس: قال في ترجمة يحيى بن الرّبيع العدويّ العمريّ بعد أنْ نقل قول ابن النّجار في أنّ وفاة يحيى كانت في السّابع والعشرين من ذي القّعدة سنة ستّ وستّمائة: ((قلت هذا هو الصّواب في تاريخ وفاته... سنة ستّ وستّمائة))[4].

القسم الثّالث: تعقباته في السّماع

المثال الأول: قال في حديث يونس بن عبد الأعلى[5]: ((وكان شيخنا الذهبي – رحمه الله – ينبّه على فائدة؛ وهي أنّ حديثه المذكور عن الشافعي إنما قال فيه: حُدِّثْتُ عن الشافعي، ولم يقل:

---

(١) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٨، ص٢٤.

(٢) هو أحمد بن محمّد بن الوليد بن عقبة بن الازرق أبو محمّد، انظر ترجمته في: البخاريّ، التّاريخ الكبير، ج٢، ص٣، وابن حبّان، الثّقات، ج٨، ص٧، والسّمعانيّ، الأنساب، ج١، ص١٢٢، وابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٢، ص٦٤، وابن حجر، تهذيب التّهذيب، ج١، ص٦٨.

(٣) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٢، ص٦٤.

(٤) المصدر السابق، ج٨، ٣٩٤.

(٥) حديث ضعيف، أخرجه ابن ماجة قال:حدثنا يُونُسُ بن عبد الأعلى ثنا محمد بن إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ حدثني محمد بن خَالِدٍ الْجَنَدِيُّ عن أَبَانَ بن صَالِحٍ عن الْحَسَنِ عن أَنَسِ بن مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: "لا يَزْدَادُ الأَمْرُ إلا شِدَّةً ولا الدُّنْيَا إلا إِدْبَارًا ولا الناس إلا شُحًّا ولا تَقُومُ السَّاعَةُ إلا على شِرَارِ الناس ولا الْمَهْدِيُّ إلا عِيسَى بن مَرْيَمَ"، ابن ماجة، السنن، كتاب الفتن، باب شدة الزمان، ج٢/ص١٣٤٠، حديث رقم(٤٠٣٩)، والحاكم، =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حدثني الشافعي، قال: هكذا هو موجود في كتاب يونس رواية أبي الطاهر أحمد بن محمد المديني عنه، ورواه جماعة عنه عن الشافعي، فكأنه دلّسَهُ بلفظة "عن"، وأسقط ذكر من حدّثَهُ به عن الشافعي، فالله أعلم، هذا كلام شيخنا رحمه الله تعالى، وأنا أقول: قد صرّح الرواة عن يونس بأنّه قال: حدثنا الشافعي))[1].

وما قاله ابن السبكي صحيح؛ فقد صرّح يونس بالتّحديث، فيما أخرجه ابن ماجة، والحاكم[2].

المثال الثّاني: قال في ترجمة محمّد بن محمّد بن يوسف الفاشانيّ: ((قلت: بخط شيخنا الذّهبيّ أنّه سمع من مصعب بن عبد الرزاق، وفي "تحبير ابن السمعاني" عبد الرزاق بن مصعب، وهو الصّواب فإنّ مصعب بن عبد الرزاق بن مصعب بن بشر المصعبيّ، من مشايخ ابن السّمعاني، ذكر في "التحبير" أنّه توفيّ في سنة تسع وعشرين وخمسمائة، في السّنة التي مات فيها أبو نصر الفاشانيّ، فما أراه شيخه، وإنّما أرى شيخه والده عبد الرزاق بن مصعب، وعبد الرزاق بن مصعب كان راوية سمع منه جماعة))[3].

فابن السبكي يحكّم التاريخ في هذا المثال لبيان عدم السماع، وإذا أتهم الرجل فليحاسب بالسنين.

المثال الثّالث: قال في تعليقه على سماع أبي نعيم الأصبهانيّ لجزء محمّد بن عاصم: ((وطعن بعض الجهّال الطّاعنين في أئمّة الدّين فقالوا: إنّ الرّجل لم يوجد له سماع بهذا الجزء،

=

المستدرك، ج٤، ص٤٨٦، حديث رقم(٨٣٥٩)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(١) الطبقات الكبرى ج٢، ص١٧١.

(٢) انظر تخريج الحديث.

(٣) ابن السبكي، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٢١٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وهذا الكلام سبّة على قائله؛ فإنّ عدم وجدانهم لسماعه، لا يوجب عدم وجوده، وإخبار الثّقة بسماع نفسه كاف، ثمّ ذكر شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذّهبيّ أنّ شيخنا الحافظ أبا الحجّاج المزّيّ حدّثه: أنّه رأى بخطّ الحافظ ضياء الدّين المقدسيّ أنّه وجد بخطّ الحافظ أبي الحجّاج يوسف بن خليل أنّه قال: رأيت أصل سماع الحافظ أبي نعيم لجزء محمّد بن عاصم، فبطل ما اعتقدوه ريبة))[1].

وقد نسب القول بعدم سماع أبي نعيم لجزء محمد بن عاصم إلى الخطيب، إلا أن ذلك لم يثبت عنه، وقد بيّن ذلك ابن السبكي[2].

المثال الرّابع: قال في ذكره لمن أخذ عن أبي حاتم الرازيّ: ((قيل إنّ البخاريّ، وابن ماجة رويا عنه، ولم يثبت ذلك))[3].

وقد ذكر المزي قصة سماع البخاري من أبي حاتم، فقال: ((وروى البخاري في باب المحصر من صحيحه حديثا عن محمد ... فقيل إنه أبو حاتم الرازي هذا، ... وقال أبو نصر الكلاباذي في ترجمة يحيى بن صالح روى عنه البخاري وروى أيضا عن محمد عنه في كتاب المحصر حدثنا بن أبي سعيد السرخسي أن محمدا بدا غير منسوب هو بن إدريس أبو حاتم الرازي وذكر أنه رآه في أصل عتيق وقال البخاري في كتاب الضعفاء الكبير قال محمد بن إدريس حدثنا عبد الله بن صالح)) [4].

وقال ابن حجر: ((ذكر الكلاباذي عن ابن أبي سعيد أنه أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي

---

(١) ابن السبكي، الطبقات الكبرى، ج٤، ص٢٢- ٢٣.

(٢) انظر: المصدر السابق، ج٤، ص٢٤.

(٣) المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٨.

(٤) المزي، تهذيب الكمال، ج٢٤، ص٣٩٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

وذكر أنه رآه في أصل عتيق ويؤيده أن الحديث وجد من حديثه عن يحيى بن صالح المذكور كذلك أخرجه الإسماعيلي وأبو نعيم في مستخرجيهما من طريق أبي حاتم ورواية البخاري عنه في باب الذبح فإنه روى عنه البخاري قلت ويحتمل أن يكون هو محمد بن إسحاق الصغاني فقد وجدت الحديث من روايته عن يحيى بن صالح كما سأذكره))[1].

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج٤، ص٧، وانظر تهذيب التهذيب، ج٩، ص٢٨، فقد ذكر أن ابن ماجة روى عنه.
=

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الرابع: أثر الثّقافة اللغويّة على النقد الحديثي

المطلب الأوّل: العناية بغريب الحديث

غريب الحديث: هو ما يخفى من ألفاظ المتون لقلّة استعمالها، وقال الخطّابيّ: ((الغريب من الكلام إنّما هو الغامض البعيد من الفهم، كما أنّ الغريب من النّاس هو البعيد عن الوطن، المنقطع عن الأهل، والغريب من الكلام يقال على وجهين؛ أحدهما: أنْ يراد به أنّه بعيد المعنى، غامضه لا يتناوله الفهم إلا عن بعد، ومعاناة وفكر، والوجه الآخر: أنْ يراد به كلام من بعدت به الدّار من شواذّ القبائل، فإذا وقعت إلينا كلمة من كلامهم استغربناها))[1].

وهو فنّ هامّ، وعلم من علوم الحديث، وبه تعرف أحكام الدّين، قال ابن الصّلاح: ((هذا فنّ مهمّ يقبح جهله بأهلّ الحدّيث خاصّة، ثمّ بأهلّ العلم عامّة))[2].

اعتنى ابن السُّبْكِيّ بتفسير غريب اللغة بشكل عام[3]، ونالت عنايته تلك غريب الحديث بشكل خاصّ؛ فقال في كلامه على حديث "النهي عن لحوم الأضاحي"[4]: ((وقوله: إِنَّمَا نَهَيْتُكُمْ مِنْ أَجْلِ الدَّافَّةِ الَّتِي دَفَّتْ، فَكُلُوا وَادَّخِرُوا وَتَصَدَّقُوا ... أي لأجل التّوسعة على الطّائفة التي

---

(١) الخطّابي، حمد بن محمد بن إبراهيم البستيّ أبو سليمان (ت٣٨٨هـ)، غريب الحديث، تحقيق عبد الكريم العزباوي، مكة المكرمة – السعودية، جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م، ج١، ص٧٠- ٧١.

(٢) ابن الصّلاح، المقدمة، ص١٥٩.

(٣) قال ابن السُّبْكِيّ في تعليقه على بيت شعر: ((نسيك بفتح النّون ثمّ سين مهملة مكسورة ثمّ آخر الحروف ثمّ كاف، والغرب بفتح الغين المعجمة والرّاء، وهما من أسماء كلّ من الذّهب والفضّة)) الطّبقات الكبرى، ج٨، ص ٦٨، وقال أيضا: ((تنبيه: النّقير: النّقرة التي على ظهر النّواة، القطمير: ما في النّواة كذا قاله في المحصول، والمعروف وهو الذي في الصّحاح أنّ القشّرة الرّقيقة هي القطمير، وما في شقّ النّواة الفتيل))، الإبهاج، ج٦، ص٢٢٤٥، ويذكر من ذلك نقلا عن غيره ((والوغم: ما تساقط من الطعام، والفغم: ما تعلق بين الأسنان منه))، الطّبقات الكبرى، ج٢، ص٦٧.

(٤) حديث صحيح، أخرجه الإمام مسلم، الصّحيح، كتاب الأضاحي، باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي، ج٣، ص١٥٦١، حديث رقم (١٩٧١).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قَدِمتُ المدينةُ أيام التّشريق، والدّافّة: القافلة السّائرة))[1].

وقال في حديث شبه العمد[2]: ((والرّمّيّا بكسر الراء والميم المشدّدتين وتشديد الياء أيضا، وكذلك العِمِيّا، على وزن الهجيرا والخصيصا، وهي مصادر للمبالغة في الرمي، والعَمّيّ أي: يُعَمّي أمر القتيل))[3].

وقال في حديث "أقرّوا الطير"[4]: ((المَكِنّات: واحدها مَكِنَة بكسر الكاف، وقد تفتح، وهي في الأصل بيض الضِباب، وقيل: هي هنا بمعنى الأمكنة، وقيل مكِنَاتُها جمع مُكن، ومكن جمع مكان، كصعدات في صعد، وحمرات في حمر))[5].

وقال في حديث زبان بن قيسور[6]: ((ونحن نرى أنْ نذكر حديث زبان بن قيسور فإنّ ابن

---

(١) ابن السُبكيّ، الإبهاج، ج٦، ص٢٢٩٦، وقال ابن الأثير: ((الدافّة: القوم يَسيرون جماعة سَيْراً ليس بالشديد))، ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري أبو السعادات(ت٦٠٦هـ)، النّهاية في غريب الأثر، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، بيروت – لبنان، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ج٢، ص٢٩١.

(٢) حديث حسن، أخرجه أبو داود بسنده إلى ابن عبّاس قال: قال رسول اللّه ﷺ "من قَتَلَ في عِمِّيَّا أو رِمِّيَّا يكُونُ بَيْنَهُمْ بِحَجَرٍ أو بِسَوْطٍ فَعَقْلُهُ عَقْلُ خطأ وَمَنْ قَتَلَ عَمْدًا فَقَوَدُ يَدَيْهِ فَمَنْ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنّاسِ أَجْمَعِينَ"، أبو داود، السّنن، كتاب الديات، بَاب من قُتِلَ في عمياء بين قَوْمٍ، ج٤، ص١٩٦، حديث رقم(٤٥٩١)، والنّسائيّ، السّنن الكبرى، كتاب القسامة، باب من قتل بحجر أو سوط، ج٤، ص٢٣١، حديث رقم(٦٩٩٢).

(٣) ابن السُبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج٣، ص١١٧، وقال ابن الأثير: ((العِمِيّا بالكسر والتشديد والقصر، فعيلى من العمى، كالرّمِيّا من الرمي، .... وهي مصادر والمعنى أنْ يوجد بينهم قتيل يعمى أمره، ولا يتبين قاتله فحكمه حكم قتيل الخطأ، تجب فيه الدية))، ابن الأثير، النّهاية في غريب الأثر، ج٣، ص٣٠٥.

(٤) حديث ضعيف، أخرجه أحمد بن حنبل، المسند، ج٤٥، ص١١٣، حديث رقم(٢٧١٣٩)، وقال أحمد: سفيان يهم في هذه الأحاديث، عبيد الله سمعها من سِباع بن ثابت، وأبو داود، السنن، كتاب الضّحايا، باب في العقيقة، ج٣، ص١٠٥، حديث رقم (٢٨٣٥)، وابن حبّان، الصّحيح، ج١٣، ص٤٩٥، حديث رقم(٦١٢٦)، واللفظ له، والبيهقيّ، السّنن الكبرى، كتاب الضّحايا، باب أقرّوا الطّير على مكناتها، ج٩، ص٣١١، حديث رقم(١٩١٢١).

(٥) ابن السُبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج٢، ص١٧٧، وهو عين ما ذكره ابن الأثير، انظر: ابن الأثير، النّهاية في غريب الأثر، ج٤، ص٣٥٠.

(٦) لم أقف على الحديث وأورده ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٢، ص٥٦٠، والسّهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن (ت٥٨١هـ)، الرّوض الأنف في شرح السيرة الهشاميّة، قدّم له وعلق عليه طه عبد الرؤوف، بيروت – لبنان، =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الأثير لم يذكره في "نهاية غريب الحديث" مع شدّة تفحصه[1]... واللُّوب بضم اللام، وسكون الواو: النّحل، قاله السّهيليّ، وحكاه ابن سيده في "المحكم"، وأغفله الجوهريّ والأزهريّ، والعَيْلم بفتح العين المهملة، وسكون آخر الحروف، قال السّهيليّ: هي البئر، وأراد بها هنا وقبة النّحل، أو الخليّة، وقد يقال لموضع النّحل إذا كان صدعا في جبل: شيق، وجمعه شيقان...))[2].

وقال في حديث "إذا أُرِّفَتْ الحدود فلا شفعة"[3]: ((أُرِّفَتْ: بضمّ الهمزة وكسر الرّاء المشدّدة ثمّ الفاء، أي: جعلت لها حدود، كما ذكر المعافي، رحمه الله، وذِكْرُ الدّاركيّ لها بالزّاي: كأنّه سبق لسان، أو لم يحرر لفظها من اللغة، ولا بدع، فقد خفيت على ابن جنيّ، وهو إمام في

=

دار المعرفة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ج٣، ص٣٦٤، كما ذكر ابن السُّبكيّ، وأشار إليه ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢، ص٢٩٠- ٢٩١، والحديث ضعيف كما بيّن ابن عبد البر، والسّهيلي، وابن الأثير، وابن السُّبكيّ.

(١) قد لا يستدرك على ابن الأثير مثل هذا الحديث، وهو القائل في مقدمة النّهاية: ((كم يكون قد فاتني من الكلمات الغريبة التي تشتمل عليها أحاديث رسول الله ﷺ، وأصحابه وتابعيهم ﷺ، جعلها الله سبحانه ذخيرة لغيري يظهرها على يده ليُذكّرَ بها))، ابن الأثير، النهاية في غريب الأثر، ج١، ص٤، وقال في مقدمة منال الطالب: ((فإني لمّا بلغت الأمل والغرض، وأديت النفل والمفترض، من تصنيف كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر ... ولا تكاد تجد فيه حديثا تامّا وإنْ قلّ كَلِمُهُ، ولا أثرا متسقا وإنْ استقلّ منتظمه، أحببت أنْ أستأنف كتابا مختصرا أجمع فيه من الأحاديث والآثار الطّوال والأوساط ما أكثر ألفاظه غريب لا يفهمه أكثر النّاس))، ابن الأثير، منال الطّالب في شرح طوال الغرائب، تحقيق محمود الطناحي، القاهرة – مصر، مطبعة المدنيّ، ص٣، فلعلّ ابن الأثير لم يورد حديث زبّان لطوله وكثرة الغريب فيه، وفاته أنْ يورده في منال الطالب.

(٢) ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج٢، ص٢٠١، وانظر الحديث بطوله وبيان ابن السُّبكيّ للغريب فيه: المصدر السابق، ج٢، ص٢٠١- ٢٠٣.

(٣) لم أقف على الحديث بهذا اللفظ، واخرج البيهقي بسنده إلى عثمان ﷺ قال: لا شفعة في بئر ولا فحل، والأرف يقطع كل شفعة، قال ابن إدريس: الأرف المعالم، وقال الأصمعي: هي المعالم والحدود، قال: وهذا كلام أهل الحجاز يقال منه أرفت الدار والأرض تأريفا إذا قسمتها وحددتها، البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الشفعة، باب الشفعة بالجوار، ج٦، ص١٠٥، حديث رقم (١١٣٥٧)، والحديث صحيح من طريق البخاريّ ولفظه، حيث أخرجه بسنده إلى جَابِرٍ ﷺ "جَعَلَ رسول اللَّهِ ﷺ الشُّفْعَةَ في كل مَالٍ لم يُقْسَمْ فإذا وَقَعَتْ الْحُدُودُ وَصُرِّفَتْ الطُّرُقُ فلا شُفْعَةَ" البخاري، الجامع الصحيح، كتاب البيوع، باب بيع الشريك من شريكه، ج٢، ص٧٧٠، حديث رقم(٢٠٩٩).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأدب))[1].

ويلاحظ على ابن السُّبكيّ أنّه قد يأتي على غريب الحديث فيفسره في معرض كلامه على قضايا عقد الحديث عنها؛ فيقول: ((المجمل: مأخوذ من الجَمْل بفتح الجيم وإسكان الميم، وهو الخلط، ومنه قوله ﷺ "قَاتَلَ الله الْيَهُودَ حُرِّمَتْ عليهم الشُّحُومُ فَجَمَلُوهَا، أي خلطوها، وباعُوهَا، فأكلوا ثمنها"[2]، فسمّيّ اللّفظ مجملا، لاختلاط المراد بغيره))[3].

ويقول في أمثلة مجاز المضادّة: ((تسميتهم البريّة المهلكة بالمفازة تفاؤلا، واستعمالهم صيغة الدّعاء على الإنسان بمعنى الدّعاء له، مثل قولهم: قاتله الله ما أحسن ما قال، ومن هذا قوله ﷺ "عليك بذات الدّين تَرِبَتْ يَدَاكَ"[4]، عند من يقول: المقصود بها الدعاء له، وبعضهم يقول: إنْ لم تظفر بذات الدّين سلبت البركة، فافتقرت بذلك، كذا حكاه الرّوياني في أوائل كتاب النكاح من "البحر"، وحكى عن ابن شهاب الزّهريّ قولا ثالثا، وهو جعل اللّفظ على حقيقته، وأنّه إنّما قال ذلك لأنّه رأى الفقر خيرا له من الغنى))[5].

المطلب الثّاني: توجيه الحديث بما تقتضيه الصنعة اللغوية

تأثر ابن السبكي بما حصّل من علوم اللغة، وقد ظهر أثر ذلك في توجيه بعض الأحاديث،

---

(١) ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج٣، ص٣٣٢، وقال ابن الأثير: ((الأرف جمع أرفة وهي الحدود والمعالم))، ابن الأثير، النّهاية في غريب الأثر، ج١، ص٣٩.

(٢) حديث صحيح، أخرجه البخاريّ بسنده إلى ابن عبّاس ﷺ يقول: بَلَغَ عُمَرَ أَنَّ فُلانا بَاعَ خَمْرًا فقال قَاتَلَ الله فُلانًا أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: قَاتَلَ الله الْيَهُودَ حُرِّمَتْ عليهم الشُّحُومُ فَجَمَلُوهَا فَبَاعُوهَا"، البخاريّ، الجامع الصّحيح، كتاب البيوع، بَاب لا يُذَابُ شَحْمُ الْمَيْتَةِ ولا يُبَاعُ وَدَكُهُ، ج٢، ص٧٧٤، حديث رقم(٢١١٠).

(٣) ابن السُّبْكِيّ، الإبهاج، ج٢، ص١٥٦٥، وقل ابن الأثير: ((جملت الشحم، وأجملت إذا أذبته واستخرجت دهنه))، ابن الأثير، النهاية في غريب الأثر، ج١، ص٢٩٨.

(٤) حديث صحيح، أخرجه البخاريّ بسنده إلى أبي هُرَيْرَةَ ﷺ عن النبي ﷺ قال: "تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ"، صحيح البخاري، ج٥، ص١٩٥٨، كتاب النكاح، بَاب الأَكْفَاءِ فِي الْمَالِ وَتَزْوِيجِ الْمُقِلِّ الْمُثْرِيَةَ، حديث رقم (٤٨٠٢).

(٥) ابن السُّبْكِيّ، الإبهاج، ج٣، ص٧٧٤- ٧٧٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وبيان المراد منها بما يوافق الصنعة الحديثية، وفيما يلي أذكر بعض الأمثلة على ذلك:

١- ذهب ابن السُّبكيّ إلى ترجيح ما قال به الإمام سهل من أنّ الثّريد المفضّل هو ثريد عمرو العلي[١] في قوله ﷺ "فضل عائشة على النّساء كفضل الثّريد على سائر الطعام"[٢]، بعد أنْ أورد قول ابن الصّلاح: بأنّ سهلا أبعد في تأويل الحديث، والفضل لسائر الثريد[٣]، فقال: ((إذا كان يريد عمرو العلي في ذلك الزمان هو المشهور، فما أبعد سهل، بل ما قاله هو الصّواب، والألف واللام في الثّريد تنصرف إلى المعهود، والمعهود عندهم المشهور لديهم، ثريد عمرو العلي))[٤].

٢- قال وهو يتحدث عن صيغة "أفعل" وأنها قد ترِدُ بمعنى الخبر :((إنّ الخبر قد يأتي مرادا به النّهي، كما قد يقع مرادا به الأمر، وذلك - أعني مجيئه مرادا به النهي - كما في الحديث الذي رواه ابن ماجة بإسناد جيّد أنّ رسول الله ﷺ قال: "لا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ ولا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا"[٥] فإنّ صيغته خبر لوروده مضموم الجيم ولو كان نهيا لكان مجزوما مكسورا

---

(١) هو هاشم بن عبد مناف جدّ النبي ﷺ، واسمه عمرو وهاشم لقب له.

(٢) حديث صحيح، أخرجه البخاريّ بسنده إلى أبي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ "كَمَلَ من الرِّجَالِ كَثِيرٌ ولم يَكْمُلْ من النِّسَاءِ إلا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ على النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ على سَائِرِ الطَّعَامِ"، البخاريّ، الجامع الصّحيح، كتاب فضائل الصحابة، بَاب فضل عائشة رضي الله عنها، ج٣، ص١٣٧٤، حديث رقم (٣٢٣٠).

(٣) انظر: ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج٤، ص٤٠٠.

(٤) المصدر السابق، ج٤، ص٤٠١.

(٥) حديث ضعيف، أخرجه ابن ماجة، السنن، كتاب النكاح، باب لا نكاح إلا بولي، ج١، ص٦٠٦، حديث رقم(١٨٨٢)، والدار قطني، السنن، كتاب النكاح، ج٣، ص٢٢٧، حديث رقم(٢٥)، والبيهقي، السنن الكبرى، ج٧، ص١١٠، حديث رقم(١٣٤١٢).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لالتقاء الساكنين والمراد به النهي))[1].

٣- قال في حديثه عن أنواع التوكيد: ((قالت النّحاة: التّوكيد على نوعين؛ لفظيّ، ومعنويّ، الأول: اللفظي، قال في "الكتاب"[2]: وهو أن يؤكد بنفسه، أي بتكرار ذلك اللفظ الأول، ومثّل له بقوله ﷺ: "والله لأغزون قريشا ثلاثا" والحديث مروي في سنن أبي داود من حديث مسعر عن سماك عن عكرمة مرفوعا، واللفظ "والله لأغزون قريشا ثم قال إن شاء الله ثم قال والله لأغزون قريشا إن شاء الله ثم قال والله لأغزون قريشا ثم سكت ثم قال إن شاء الله"[3] ... وهو بهذا اللفظ غير صريح في التأكيد، لاحتمال أنّ كل جملة مقصودة بإنشاء الحلف في نفسها، ألا ترى إلى استثنائه في كل منها، وسكوته في البعض))[4].

---

(١) ابن السبكي، الإبهاج، ج٤، ص١٠٣١.

(٢) أي "الكتاب" لسيبويه في النحو.

(٣) حديث ضعيف، أخرجه أبو داود، السنن، كتاب الأيمان والنذور، باب الاستثناء في اليمين، ج٣، ص٢٣١، حديث رقم(٣٢٨٥)، وابن حبان، الصحيح، ج١٠، ص١٨٥، حديث رقم(٤٣٤٣)، والطبراني، المعجم الكبير، ج١١، ص٢٨٢، حديث رقم(١١٧٤٢)، والبيهقي، السنن الكبرى، ج١٠، ص٤٧، حديث رقم(١٩٧١٢).

(٤) ابن السبكي، الإبهاج، ج٣، ص٦٢٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الخامس: أثر التّصوف على النقد الحديثي

المطلب الأوّل: قبول أحاديث تكلم فيها النّقاد

١- قال ابن السُّبكِيّ: ((قال إمام الحرمين، رحمه الله، في كتاب "الشامل": إنّ الأرض زلزلت في زمن عمر ﷺ، فَحَمِدَ الله وأثنى عليه، والأرضُ تَرْجُف وترتجّ، ثمّ ضربها بالدُّرَّة، وقال: أقِرّي، ألم أعْدِلْ عليك؟ فاستقرت من وقتها))[١].

وقصّة زلزلة المدينة في عهد عمر بن الخطّاب ﷺ، وردت بصيغ عدّة؛ أخرج ابن أبي شيبة بسنده إلى صَفِيَّةَ ابْنَةِ أبي عُبَيْدٍ قالت: "زُلْزِلَتْ الأَرْضُ على عَهْدِ عُمَرَ حتى اصْطَفَقَتْ السُّرَرُ، فَوَافَقَ ذلك عَبْدَ اللهِ بن عُمَرَ وهو يُصَلِّي فلم يَدْرِ، قال: فَخَطَبَ عُمَرُ لِلنَّاسِ، فقال: أَحَدُهُمَا لقد عَجِلْتُمْ، قال: وَلاَ أَعْلَمُهُ إلاَّ قال: لَئِنْ عَادَتْ لأَخْرُجَنَّ من بَيْنِ ظَهْرَانِيكُمْ"[٢]، وذكر ابن أبي الدنيا بسنده إلى سعيد بن جبير : عن ابن عمر قال : زلزلت المدينة على عهد عمر ﷺ، فضرب بيده عليها، وقال: مَالَكِ مَالَكِ؟ أما أنّها لو كانت القيامة حدثتنا أخبارها، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا كان يوم القيامة فليس منها ذراع ولا شبر إلا هو ينطق بالنّاس"[٣].

وذكر أيضا بسنده إلى صفية قالت : زلزلت المدينة على عهد عمر ﷺ، فقال: أيّها النّاس ما هذا؟ ما أسرع ما أحدثتم؟ لئن عادت لا أساكنكم فيها[٤]، وذكر القصّة ابن عبد البر[٥]، وابن قيّم

---

(١) ابن السُّبكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٢، ص٣٢٤، ولم أعثر على هذه القصّة كما ذكرها ابن السُّبكِيّ.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة، المصنّف، ج٢، ص٢٢١، حديث رقم(٨٣٣٥)، واللفظ له، ونعيم بن حماد، الفتن، ج٢، ص٦٢٠، والبيهقيّ، السّنن الكبرى، ج٣، ص٣٤٢، حديث رقم(٦١٧٠).

(٣) ابن أبي الدنيا ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي (ت ٢٨١هـ)، العقوبات، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، بيروت – لبنان، دار ابن حزم، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م، ص٣٠.

(٤) المصدر السابق، ص٣١.

(٥) ابن عبد البر، التّمهيد، ج٣، ص٣١٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

الجوزيّة[1]، والعيني[2].

وقد اعتقد ابن السُبكيّ صحّة هذه القصّة، وآمن بها، لذلك فقد علّق عليها بقوله: ((قلت: كان عمر ﷺ أمير المؤمنين على الحقيقة، في الظّاهر والباطن، وخليفة الله في أرضه، وفي ساكنيّ أرضه، فهو يعزر الأرض، ويؤدبها بما يصدر منها، كما يعزر ساكنيها على خطيئاتهم))[3].

وأجاب عن سؤال مُعتَرِض، كيف يعزر الأرض وهي غير مكلفة؟ بأنّ هذا السؤال جهل؛ لأنّ أمر الله له ظاهر وباطن، والباطن يستأثر الله بعلمه، وقد يُطلِعُ عليه بعض أصفيائه، ومنهم الفاروق، فلذلك عزّرَ الأرض[4].

٢- قال ابن السُبكيّ: ((ومنها على يد ابن عمر، رضي الله عنهما، حيث قال للأسد الذي منع النّاس الطّريق: تنحّ، فَبَصبَصَ بذَنَبِهِ وذهب))[5].

وقد بحثت عن هذه القصّة فلم أجدها، وكشفت كتب الصّحابة، فلم أقف على من أشار إليها، وقد قال ابن السُبكيّ في حديثه عن أدلة ثبوت الكرامات: ((أحدها، وهو أوحدها، ما شاع وذاع، بحيث لا ينكره إلا جاهل معاند، من أنواع الكرامات للعلماء والصالحين، الجاري مجرى شجاعة عليّ، وسخاء حاتم، بل إنكار الكرامات أعظم مباهتة، فإنّه أشهر وأظهر، ولا يعاند فيه إلا من طُمِسَ قلبه، والعياذ بالله))[6].

٣- قال ابن السُبكيّ: ((قصّة النّيل: وذلك أنّ النّيل كان في الجاهليّة لا يجري حتى تُلْقَى فيه

---

(١) ابن قيّم الجوزيّة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله(ت٧٥١هـ)، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، القاهرة – مصر، دار الريان للتراث، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م، ج١، ص٣٠.

(٢) انظر: العيني، عمدة القاري ج٧، ص٥٧.

(٣) ابن السُبكيّ، الطّبقات الكبرى، ج٢، ص٣٢٤.

(٤) انظر: المصدر السابق، ج٢، ص٣٢٤- ٣٢٥.

(٥) المصدر السابق، ج٢، ص٣٣٢.

(٦) المصدر السابق، ج٢، ص٣٣٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

جاريةٌ عذراء في كل عام، فلمّا جاء الإسلام، وجاء وقت جريان النّيل، فلم يَجْرِ، أتى أهل مصر عمرو بن العاص، فأخبروه أنّ لِنيلِهم سُنّةً، وهو أنّه لا يجري حتى تُلْقَى فيه جارية بكر بين أبويها، ويُجْعَل عليها من الحُليِّ، والثّيابِ أفضل ما يكون، فقال لهم عمرو بن العاص: إنّ هذا لا يكون، وإنّ الإسلام يَهْدِمُ ما قبله، ...، فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب إليه عمر: قد أصبت، إنّ الإسلام يهدم ما قبله، وقد بَعثتُ إليك بطاقة، فألقِهَا في النّيل، ففتح عمرو البطاقة قبل إلقائها، فإذا فيها: من عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أمّا بعد: فإنْ كُنْتَ تجري من قِبَلِكَ فلا تجر، وإنْ كان الله الواحد القهّار هو الذي يُجْرِيكَ، فنسألُ الله الواحد القهّار أنْ يُجْرِيَك، فألقى عمرو البطاقة في النّيل ... فأصبحوا وقد أجراه الله ستّة عشر ذراعا في ليلة، فانظر إلى عمر كيف يخاطب الماء ويكاتبه))[1].

وقد ذكر القصّة ابن أعين القرشيّ[2]، وابن حيّان الأصبهانيّ[3]، وابن كثير[4]، والسّيوطيّ[5]، كلهم من طريق ابن لهيعة[6] عن قيس بن الحجّاج عمّن حدثه.

---

(١) ابن السُّبْكيّ، الطّبقات الكبرى،ج٢، ص٣٢٦، والقصّة ضعيفة لضعف ابن لهيعة، وفي سندها راوٍ مبهم.

(٢) انظر: ابن أعين القرشي، عبد الرحمن بن عبد الله أبو القاسم عبد الحكم المصري(ت٢٥٧هـ)، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق محمد الحجيري، بيروت – لبنان، دار الفكر، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، ص٢٦٤.

(٣) انظر: أبو الشّيخ، عبد الله بن محمد بن جعفر ابن حيّان الأصبهاني (ت٣٦٩هـ)، العظمة، تحقيق رضا الله المبارك فوري، السعودية – الرياض، دار العاصمة، ط١، ١٤٠٨هـ، ج٤، ص١٤٢٤.

(٤) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص١٠٠.

(٥) انظر: السّيوطيّ، تاريخ الخلفاء، ص١٢٧.

(٦) هوعبد الله بن لَهِيعة بن عقبة الحضرميُّ، أبو عبد الرحمن المصريّ القاضي، ضعيفٌ، وكان يدلّس، وقد تغيّر قبل موته بأربع سنين بعد احتراق كتبه، قال ابن معين: ابن لهيعة في حديثه كلّه ليس بشيء، وقال ابن أبي حاتم : سُئل أبو زرعة عن ابن لهيعة سماع القدماء منه؟ فقال: آخره وأوله سواء، إلاّ أنّ ابن المبارك، وابن وهب يتتبعان أصوله فيكتبان منه، وهؤلاء الباقون كانوا يأخذون من الشّيخ، وكان ابن لهيعة لا يضبط، وليس ممن يحتجّ بحديثه، وقال ابن أبي حاتم أيضاً: قلتُ لأبي: إذا كان من يروي عن ابن لهيعة مثل ابن المبارك، وابن وهب، يحتجّ به؟ قال: لا، وقال الترمذيُّ : ابن لهيعة ضعيف عند أهل الحديث، ضعفه يحيى بن سعيد القطّان وغيره من قبل حفظه، وقال ابن حبّان: كان شيخاً صالحاً، ولكنّه كان يدلّس عن الضعفاء قبل احتراق كتبه، ثم احترقت كتبه ، وقال الذّهبيُّ: العمل على تضعيف حديثه، مات سنة أربع وسبعين ومائة، انظر ترجمته =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

المطلب الثّاني: تعقباته للعلماء في تراجم الرّجال

١- قال ابن السُّبْكِيّ في ترجمة أحمد بن علي بن الحسين بن زكرياء الطُّرَيْثِيثِي[1]: ((قلت: ومن ثمّ قال ابن ناصر كان كذّابا لا يحتجّ بروايته، وهذا من مبالغات ابن ناصر التي عهدت منه، ولم يكن الرّجل يكذب وليس فيه غير ما قاله ابن السّمعانيّ: لِمَا أدخل عليه، ولا يوجب ذلك قدحا فيه، ولا ردّا لما صحّ من سماعاته، ولهذا كان السّلفيّ يقول: أخبرنا الطُّرَيْثِيثِيّ من أصل سماعه، ولو كان كذّابا لم يرو عنه، فغفر الله لابن ناصر، كم يتعصّب على الصّوفيّة، وعلى

=

في: أحمد بن حنبل، علل الحديث، ص٥٤، وابن أبي حاتم، الجرح والتعديل،ج٥، ص١٤٥، وابن حبان، المجروحين، ج٢، ص١١، والمزيّ، تهذيب الكمال،ج١٥، ص٤٨٧، والذّهبيّ، الكاشف، ج١، ص٥٩٠، وابن حجر، طبقات المدلسين، ص٥٤.

(١) هو الإمام الزاهد المسند شيخ الصوفية أبو بكر أحمد بن علي بن الحسين بن زكريا الطُّرَيْثِيثِيّ بضم المهملة أوله وفتح الراء وسكون التحتية ومثلثتين بينهما تحتية نسبة إلى طريثيث ناحية بنيسابور ثم البغدادي الصوفي المعروف بابن زهراء قال ابن الجوزي: أجمع البغداديون على ضعفه، وقال الذهبي: فيه لين، وكذبه ابن ناصر، ونقل الذهبي عن السمعاني قال: صحيح السماع في أجزاء، لكنه أفسد سماعاته بادعاء السماع من ابن رزقويه، ولم يصح سماعه منه، وقال شجاع الذهلي مجمع على ضعفه، وقال السلفي: هو أجل شيخ رأيته للصوفية، وأكثرهم حرمة وهيبة عند أصحابه لم يقرأ عليه إلا من أصل، وكف بصره بأخرة، وكتب له أبو علي الكرماني أجزاء طرية، فحدث بها اعتمادا عليه، ولم يكن ممن يعرف طريق المحدثين ودقائقهم، وإلا فكان من الثقات الأثبات، وأصوله كالشمس وضوحا، ولما أسانيده فعالية جدا، قد أخبرنا عن جماعة لم يحدثنا عنهم سواه، وقال ابن حجر: ما كان من حديث يرويه السلفي عنه فإنّا نعلم في الجملة أنه من صحيح سماعاته وقال ابن الصلاح: قد غمزه جماعة، والذي قاله الحافظ أبو طاهر يخص الغميزة منه بجهة خاصة، لا مطعن معها في ديانته، ولا فيما لم يكن مخرجه من جهة الكرماني من روايته، توفي سنة سبع وتسعين وأربع مئة، انظر ترجمته في: ابن الجوزي، الضعفاء والمتروكين، ج١، ص٨١، وابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق محيي الدين علي نجيب، بيروت - لبنان، دار البشائر الإسلامية، ط١٤١٣،١هـ- ١٩٩٢م، ج١، ص٣٥٢، والذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣٤، ص٢٤٧، وسير أعلام النبلاء، ج١٩، ص١٦٠، والعبر في خبر من غبر، ج٣، ص٣٤٨، وميزان الاعتدال، ج١، ص٢٦٤، والمغني في الضعفاء، ج١، ص٤٨، والصفدي، الوافي بالوفيات، ج٧، ص١٣٤، وابن السُّبْكِيّ، الطبقات الكبرى، ج٤، ص٣٩، وابن حجر، لسان الميزان، ج١، ص٢٢٧، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص٤٠٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فقهاء الفريقين))[1].

٢- قال في ترجمة فضل الله بن أحمد بن محمّد المِيهَنِيّ[2]: ((قلت: ومع صحّة اعتقاده لم يسلم من كلام الشّيخ ابن حزم، بل تكلّم فيه بغير حقّ، وتبعه شيخنا الذّهبيّ تقليدا فقال: في اعتقاده شيء، تكلّم فيه ابن حزم انتهى، قلت: لم يظهر لنا، ولم يثبت عنه إلا صحّة الاعتقاد، ولكنه أشعريّ صوفيّ، فمن ثمّ نال منه الرّجلان وباءا بإثمه))[3].

٣- قال في ترجمة أحمد بن علي بن محمّد بن العبّاس أبو حيّان التَّوْحِيدِيّ[4]: ((قلت:

---

(١) ابن السُّبْكِيّ، الطبقات الكبرى، ج٤، ص٤٠.

(٢) فضل الله بن أحمد بن علي المِيْهَنيّ، بكسر الميم، وسكون الياء المنقوطة من تحتها بنقطتين، وفتح الهاء، وفي آخرها النون، الزاهد العالم، أبو سعيد بن أبي الخير، صاحب الأحوال والكرامات، مات سنة أربعين وأربعمائة، انظر ترجمته في: السمعاني، الأنساب، ج٥، ص٤٣٩، والجزري، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني(ت ٦٣٠هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، بيروت – لبنان، دار صادر،١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م، ج٣، ص٢٨٥، والصيرفيني، تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد(ت ٦٤١هـ)،المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور تحقيق خالد حيدر، بيروت – لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع،١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، ص٤٤٨، والذّهبيّ، تاريخ الإسلام، ج٢٩، ص٤٨٧، وسير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٦٢٢، والصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٤، ص٢٩، وابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٥، ص٣٠٦، وابن الملقن، عمر بن عليّ بن أحمد بن عبد الله الأنصاريّ(ت ٨٠٤هـ)، طبقات الأولياء، تحقيق نور الدين شريبه، القاهرة – مصر، ط١، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م، ج١، ص٤٥، وابن تغري بردي، النّجوم الزاهرة، ج٥، ص٤٦، ولم أقف على كلام ابن حزم في الميهني، ولا أجد ضيرا في ما قاله الإمام الذهبي، ولو كان متحاملا لذكر كلام ابن حزم، ولم يكتف بقوله تكلم فيه ابن حزم.

(٣) ابن السُّبْكِيّ، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٣٠٧.

(٤) هو أَبُو حَيَّانَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ العَبَّاسِ البَغْدَادِيُّ، الصُّوْفِيُّ، التَّوْحِيْدِيُّ، بفتح التاء المثناة من فوقها، وسكون الواو، وكسر الحاء المهملة، وسكون الياء المثناة من تحتها، وبعدها دال مهملة، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ الأَدبيَة وَالفلسفيَة، وَيُقَالُ: كَانَ مِنْ أَعيَان الشَّافِعِيَّة، قال ابن خلكان في نسبته: ولم أر أحدا ممن وضع كتب الأنساب تعرض إلى هذه النسبة، لا السمعاني ولا غيره، لكن يقال: إن أباه كان يبيع التوحيد ببغداد، وهو نوع من التمر بالعراق، وقال ابن حجر: يحتمل أن يكون إلى التوحيد، الذي هو الدين، فإن المعتزلة يسمّون أنفسهم أهل العدل والتوحيد، قال عنه الذهبي: الضّالُّ المُلحد، عَثَرُوا مِنْهُ عَلَى قَبِيح دِخْلَتِهِ وَسُوءِ عقيدَتِهِ، وَمَا يُبطِنُه مِنَ الإِلْحَاد، وَيرومُهُ فِي الإِسْلاَمِ مِنَ الفسَاد، وَمَا يُلصِقُه بِأَعلاَمِ الصَّحَابَة مِنَ القَبَائِح، وَيُضِيفُه إِلَى السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنَ الفضَائِح، ، ولَمْ يُؤثَر عَنْهُ إِلاَّ مثْلبَةٌ أَوْ مُخزيَة، وقال أيضا في ردّه على ابن النجار لمّا وصف أبو حيان بأنّه =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحامل للذّهبيّ على الوقيعة في التّوحيديّ، مع ما يبطنه من بغض الصّوفيّة، هذان الكلامان[1]، ولم يثبت عندي إلى الآن، من حال أبي حيّان ما يوجب الوقيعة فيه، ووقفت على كثير من كلامه، فلم أجد فيه إلا ما يدلّ على أنّه كان قويّ النفس، مزدريا بأهل عصره، لا يوجب هذا القدر أنْ ينال منه هذا النيل))[2].

=

صحيح العقيدة، قال: بل كان عدوا لله خبيثا، وقال عنه في الميزان: صاحب زندقة وانحلال، وقال ابن حجر: نفاه الوزير المهلبي لسوء عقيدته، وقال ياقوت الحموي: وكان متفننا في جميع العلوم، من النحو، واللغة، والشعر، والأدب، والفقه، والكلام على رأي المعتزلة، وكان جاحظيا، يسلك في تصانيفه مسلكه، ويشتهي أن ينتظم في سلكه، فهو شيخ في الصوفية، وفيلسوف الأدباء، وأديب الفلاسفة، ومحقق الكلام، ومتكلم المحققين، وإمام البلغاء، وعمدة لبني ساسان، سخيف اللسان، قليل الرضا عند الإساءة إليه والإحسان، الذّم شأنه، والثلب دكانه، وهو مع ذلك فرد الدنيا، الذي لا نظير له ذكاء وفطنة، وفصاحة ومكنة، كثير التحصيل للعلوم في كل فن، توفي بعد الأربعمائة، انظر ترجمته في: الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ)، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١،١٤١١هـ – ١٩٩١م، ج٤، ص٢٨٧، وابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، ج٢، ص٦٨٧، والنووي، تهذيب الأسماء، ج٢، ص٥٠٧، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص١١٣، والذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢٧، ص٤٠٠، وسير أعلام النبلاء، ج١٧، ص١١٩، وميزان الاعتدال ج٧، ص٣٥٩، والصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٢، ص٢٧، وابن السُبكيّ، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢٨٦، والفيروزأبادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق محمد المصري، الكويت، جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ص١٥٦، وسبط ابن العجمي، الكشف الحثيث، ص٢٨٧، وابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج١، ص١٨٥، وابن حجر، لسان الميزان، ج٧، ص٣٨، والسيوطي، بغية الوعاة، ج٢، ص١٩٠، والزركلي، الأعلام، ج٤، ص٣٢٦،.

(١) نقل ابن السُبكيّ ما قاله الذهبي، وابن فارس، وابن الجوزي؛ فقال: ((وقال شيخنا الذهبي: بل كان عدو الله خبيثا، وقال الذهبي أيضا: كان سيء الاعتقاد، ثم نقل قول ابن فارس في كتاب "الفريدة والخريدة": كان أبو حيان كذابا، قليل الدين والورع عن القذف، والمجاهرة بالبهتان، تَعَرَضَ لأمور جسام، من القدح في الشريعة، والقول بالتعطيل، ... وقال أبو الفرج ابن الجوزي في تاريخه: زنادقة الإسلام ثلاثة ابن الراوندي، وأبو حيان التوحيدي، وأبو العلاء، قال: وأشدهم على الإسلام أبو حيان))، ابن السُبكيّ، الطبقات الكبرى،ج٥، ص٢٨٧-٢٨٨).

(٢) ابن السُبكيّ، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢٨٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الفصل الرابع: خصائص المنهج النقدي عند ابن السُّبْكِيّ، وفيه:

المبحث الأول: شيوع روح النقد في مصنفاته.

المبحث الثاني: تناوله جانبي السند والمتن في النقد.

المبحث الثالث: ما يؤخذ على ابن السُّبْكِيّ.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[1].

هذه الآية ترسم لنا منهجا قوامه العدل، والإنصاف، وتنهى عن جميع صور الظلم، وكلّ ذلك من لوازم الإيمان، وتحقيق التّقوى، لذا فعلى من يحاول تقويم رجل من الرّجال، أو مصنّفا من المصنّفات أنْ يعتبر هذه الآية، ويتجرّد من الأفكار المبيّتة، حتّى يكون تقويمه أقرب إلى الصّواب إنْ لم يكن صوابا.

وإلى جانب ذلك ينبغي التّحلي بخلق الأدب مع الأئمّة والعلماء، وقد أشار ابن السُّبْكِيّ إلى هذا الخلق، فقال: ((أوّل ما نقدمه أنّه ينبغي لك أيها المسترشد أنْ تسلك سبيل الأدب مع الأئمّة الماضين، وأنْ لا تنظر إلى كلام بعضهم في بعض، إلا إذا أتى ببرهان واضح، ثمّ إنْ قدرت على التّأويل، وتحسين الظّنّ، فدونك، وإلا فاضرب صفحا عمّا جرى بينهم، فإنّك لم تخلق لهذا، فاشتغل بما يعنيك، ودع مالا يعنيك))[2].

على هذا المنهج سأسير – بحول الله وقوّته – في الحديث عن خصائص المنهج النّقدي عند ابن السُّبْكِيّ.

---

[1] سورة النساء، الآية(١٣٥).

[2] ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج ٢، ص٢٠٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الأول: شيوع روح النّقد في مصنّفاته

سبق الحديث أنّ ابن السُّبكيّ تعرّض لنقد المرويّ – سندا ومتنا – وتكلّم في تصحيح الأحاديث وتضعيفها، وتجريح الرّواة وتعديلهم، مُطْلِقًا تارة الأحكام مدعّمة بالأدلّة، وأخرى خالية عنها، وهو في تلك الأحكام يستخدم ألفاظا استخدمها أصحاب الصّنعة الحديثيّة[1]، ولا يكاد يمرّ على حديث من الأحاديث إلا ويتبعه بالحكم عليه، وله منهج في ذلك اتّبعه؛ فقد يطلق الحكم تارة دون عزو لأحد من العلماء، وتارة أخرى يعزو الحكم لعالم، أو أكثر ممن حكم على الحديث، وهو في غالب تلك الأحكام ناقل غير مجتهد، وفيما يلي بيان ذلك.

المطلب الأوّل: الأحكام الاجتهاديّة

أولا: تصحيح الأحاديث

١- قال في حديث "إن غيلان الثّقفيّ أسلم وعنده عشرة نسوة": ((...، قلتُ: هذا حديث صحيح، ومعمر ثقة، وإنْ كان فيما حدّث به بالبصرة غلط، فهذا مما حدّث به ولا غلط فيه؛ لأنّه قد روي هكذا موصولا عن معمر، ورواه عنه جماعة غير بصريين ... ولو سلّمنا أنّ رفعه غير صحيح، فلا يشكّ أحد في حجّته مرسلا))[2].

٢- قال في حديث "لا صِيَامَ لِمَنْ لَمْ يُبَيِّت الصِّيَامَ قَبْلَ الفَجْرِ"[3]: ((وهذا الحديث لفظه هكذا

---

(١) استخدم النّقاد ألفاظا، وعبارات في جرح الرّواة وتعديلهم، وتصحيح الأحاديث وتضعيفها، وكانت لبعضهم ألفاظ خاصّة، لها دلالاتها الخاصّة، وابن السُّبكيّ ناقدا استخدم ما كان شائعا من ألفاظ تدلّ على توثيق الرّواة أو تضعيفهم، وتصحيح الأحاديث أو تضعيفها، ولم أقف له على اصطلاحات خاصّة، لها مدلولها الخاصّ عنده، ومن تلك الألفاظ التي استخدمها، قوله: "إسناد ضعيف مظلم"، و"الحديث المشهور السّامي"، و"مستحسن الإسناد"، إلى غير ذلك من الألفاظ المشهورة بين نقاد الحديث.

(٢) ابن السُّبكيّ، رفع الحاجب، ج٣، ص٤٥٦- ٤٥٧.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، وأخرجه مَالِك عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ "لا يَصُومُ إلا مَنْ أَجْمَعَ الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ"، مالك، الموطأ، كتاب الصيام، باب من أجمع الصيام قبل الفجر، ج١، ص٢٨٨، حديث رقم(٦٣٣)، وابن ماجة من طريق عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ عَنْ سَالِمٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ حَفْصَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

غير معروف، ولكن رواه عبد الله بن أبي بَكْرِ بن عمرو بن حزم عن ابن شِهَابٍ عن سَالِمٍ عن أَبِيهِ عن حَفْصَةَ عن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ لَمْ يُبَيِّتْ الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ فَلا صِيَامَ لَهُ"[1] ، وهذا إسناد صحيح))[2].

=

ﷺ: "لا صِيَامَ لِمَنْ لَمْ يَفْرِضْهُ مِنْ اللَّيْلِ" ، ابن ماجة، السنن، كتاب الصيام، باب ما جاء في فرض الصوم من الليل، ج١، ص٥٤٢، حديث رقم(١٧٠٠)، وهو حديث ضعيف، وأخرجه النَّسائيّ من طريق الزُّهْرِيِّ عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ حَفْصَةَ قَالَتْ: "لا صِيَامَ لِمَنْ لَمْ يُجْمِعْ قَبْلَ الْفَجْرِ"، ومن طريق مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ بلفظ "لا يَصُومُ إلا مَنْ أَجْمَعَ الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ"، النَّسائيّ، السنن، كتاب الصيام، باب إذا لم يجمع الصيام من الليل هل يصوم، ج١، ص١٩٧، حديث رقم(٢٣٣٧)، وحديث رقم(٢٣٤١)،

(١) حديث ضعيف، أخرجه الدارمي، السنن، كتاب الصوم، باب من لم يجمع الصيام من الليل، ج٢، ص١٢، حديث رقم(١٦٩٨)، والنَّسائيّ، السنن، كتاب الصيام، باب النيّة في الصيام، ج٤، ص١٩٦، حديث رقم(٢٣٣١)، وأخرجه بلفظ "مَنْ لَمْ يُجْمِعْ الصِّيَامَ"، أحمد، المسند، ج٤٤، ص٥٣، حديث رقم(٢٦٤٥٧)، وأبو داود، السنن، كتاب الصوم، باب النية في الصيام، ج٢، ص٣٢٩، حديث رقم(٢٤٥٤)، والتِّرْمِذِيّ، الجامع الكبير، كتاب الصوم، باب ما جاء لا صيام لمن لم يعزم من الليل، ج٣، ص١٠٨، حديث رقم(٧٣٠).

(٢) ابن السُّبْكِيّ، الإبهاج، ج٥، ص١٥٦٨، قَالَ التِّرْمِذِيّ بعد أن أخرج الحديث: ((حَدِيثُ حَفْصَةَ حَدِيثٌ لا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًا إلا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَوْلُهُ، وَهُوَ أَصَحُّ، وَهَكَذَا أَيْضًا رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ الزُّهْرِيِّ مَوْقُوفًا، وَلا نَعْلَمُ أَحَدًا رَفَعَهُ إلا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ))، التِّرْمِذِيّ، الجامع الكبير، ج٣، ص١٠٨، وقال في العلل: ((سألت محمّدا ... فقال عن سالم عن أبيه عن حفصة عن النبي ﷺ خطأ، وهو حديث فيه اضطراب، والصحيح عن ابن عمر موقوف، ويحيى بن أيوب صدوق))، التِّرْمِذِيّ، العلل، ج١، ص١١٧- ١١٨، وقال ابن حجر: ((اخْتَلَفَ الأَئِمَّةُ في رَفْعِهِ وَوَقْفِهِ، فقال ابن أبي حَاتِمٍ عن أبيه: لا أَدْرِي أَيُّهُمَا أَصَحُّ، يَعْنِي رِوَايَةَ يحيى بن أَيُّوبَ عن عبد اللَّهِ بن أبي بَكْرٍ عن الزُّهْرِيِّ عن سَالِمٍ، وَرِوَايَةُ إِسْحَاقَ بن حَازِمٍ عن عبد اللَّهِ بن أبي بَكْرٍ عن سَالِمٍ بِغَيْرِ وَسَاطَةِ الزُّهْرِيِّ، لَكِنَّ الْوَقْفَ أَشْبَهُ، وقال أبو دَاوُد: لا يَصِحُّ رَفْعُهُ، ...، وقال النَّسائيّ: الصَّوَابُ عِنْدِي مَوْقُوفٌ ولم يَصِحَّ رَفْعُهُ، وقال أَحْمَدُ: ماله عِنْدِي ذلك الإِسْنَادُ، وقال الْحَاكِمُ في الأَرْبَعِينَ: صَحِيحٌ على شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وقال في الْمُسْتَدْرَكِ: صَحِيحٌ على شَرْطِ الْبُخَارِيِّ، وقال الْبَيْهَقِيُّ: رُوَاتُهُ ثِقَاتٌ إلا أَنَّهُ رُوِيَ مَوْقُوفًا، وقال الْخَطَّابِيُّ: أُسْنِدَهُ عبد اللَّهِ بن أبي بَكْرٍ وَزِيَادَةُ الثِّقَةِ مَقْبُولَةٌ، وقال ابن حَزْمٍ: الاخْتِلافُ فيه يَزِيدُ الْخَبَرَ قُوَّةً، وقال الدَّارَقُطْنِيُّ: كلهم ثِقَاتٌ))، ابن حجر، التلخيص الحبير، ج٢، ص١٨٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ثانيا: تضعيف الأحاديث

١- قال في حديث "من قَاءَ أو رَعَفَ فَلْيَتَوَضأ"[١]: ((وهو حديث ضعيف، وروي من حديث عبد الرزاق ، عن ابن جُرَيْج ، عن أبيه ، عن النّبيّ ﷺ وهو منقطع؛ لأنّ والد ابن جُرَيْجٍ لا صحبة له))[٢].

قال البيهقيّ: ((هذا الحديث رواه ابن عيّاش مرّة هكذا، ومرّة قال: عن ابن جُرَيْجٍ عن أبيه عن عائشة، وكلاهما غير محفوظ ... قال أحمد: هكذا رواه ابن عيّاش، وإنّما رواه ابن جُرَيْجٍ عن أبيه، ولم يسنده عن أبيه، ليس فيه ذكر عائشة))[٣].

وقال ابن حجر: ((أَعَلَّهُ غَيْرُ وَاحِدٍ بِأَنَّهُ من رِوَايَةِ إِسْمَاعِيلَ بن عَيَّاشٍ عن ابن جُرَيْجٍ، وَرِوَايَةُ إِسْمَاعِيلَ عن الْحِجَازِيِّينَ ضَعِيفَةٌ، وقد خَالَفَهُ الْحُفَّاظُ من أَصْحَابِ ابن جُرَيْجٍ فَرَوَوْهُ عنه عن أبيه عن النّبيّ ﷺ مُرْسَلا))[٤].

٢- قال في حديث نهيّ النّبيّ ﷺ عن بَيْعِ المضطر[٥]: ((والحديث المشار إليه في سنده

---

(١) حديث ضعيف، أخرجه ابن ماجة بسنده إلى ابن جُرَيْج عن ابن أبي مُلَيْكَةَ عن عَائِشَةَ قالت: قال رسول اللّهِ ﷺ: "من أَصَابَهُ قَيْءٌ أو رُعَافٌ أو قَلْسٌ أو مَذْيٌ فَلْيَنْصَرِفْ فَلْيَتَوَضَّأْ ثُمَّ لِيَبْنِ على صَلَاتِهِ وهو في ذلك لا يَتَكَلَّمُ"، ابن ماجة، السنن، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في البناء على الصلاة، ج١، ص٣٨٥، حديث رقم (١٢٢١)، والدّار قطنيّ، السّنن، كتاب الطهارة، باب الوضوء من الخارج من البدن، ج١، ص١٥٣، حديث رقم(١١)، والطّبرانيّ، المعجم الكبير، ج١١، ص١٦٥، حديث رقم(١١٣٧٤)، والبيهقيّ، السّنن الكبرى، ج١، ص١٤٢، حديث رقم(٦٥٢).

(٢) ابن السُّبْكِيّ، رفع الحاجب، ج٤، ص٢٩٥- ٢٩٦، وقد وافق حكم ابن السُّبْكِيّ على هذا الحديث ما حكم به نقاد الحديث.

(٣) البيهقيّ، السّنن الكبرى، ج١، ص١٤٢.

(٤) ابن حجر، التّلخيص الحبير، ج١، ص٢٧٤.

(٥) حديث ضعيف، أخرجه أحمد، المسند، ج٢، ص٢٥٢، حديث رقم(٩٣٧)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لضعف أبي عامر المزنيّ، وهو صالح بن رستم الخزّاز، وجهالة الشّيخ من بني تميم، وأبو داود، السّنن، كتاب البيوع، بَاب في بَيْعِ الْمُضْطَرِّ، ج٣، ص٢٥٥، حديث رقم(٣٣٨٢)، والبيهقيّ، السّنن الكبرى، باب ما جاء في بيع المضطر وبيع المكره، ج٦، ص١٧، حديث رقم(١٠٨٦٠)، وقال: أبو عامر هذا، هو صالح بن رستم =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مقال))[1].

ثالثا: توثيق الرّواة

١- قال في حديث "ذَبيحَةُ المُسْلِمِ حَلاَلٌ"[2]: ((والصّلت[3]: هو السّدوسيّ، ثقة))[4].

٢- وقال في ردّه على تجهيل خالد بن أبي الصلت[5]: ((... وخَالِدٌ مجهول، وحكى أبو بكر بن المنذر في كتابه هذا عن أبي ثور، قلنا: خالد معروف؛ روى له ابن ماجة، وروى عنه سفيان بن حسين، ومبارك بن فضالة وغيرهما، ذكره ابن حبّان في الثّقات، قال شيخنا الذّهبيّ: وما علمت أحدا تعرّض إلى لِينِهِ، ... روى عنه خالد الحذّاء، ومبارك بن فضالة، وواصل مولى ابن

=

الخزّاز البصريّ، وقد روي من أوجه عن علي وابن عمر، وكلّها غير قويّة، والله أعلم.

(١) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٤، ص١٧.

(٢) حديث ضعيف، أخرجه أبو داود، المراسيل، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت – لبنان، مؤسسة الرّسالة، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ص٢٧٨، حديث رقم(٣٧٨)، والبيهقيّ، السّنن الكبرى، ج٩، ص٢٤٠، حديث رقم(١٨٦٧٤)، وقال الزّيلعيّ: ((قال ابن القطّان: وفيه مع الإرسال أنّ الصلت السّدوسيّ لا يعرف له حال، ولا يعرف بغير هذا، ولا روى عنه غير ثور بن زيد))، الزّيلعيّ، نصب الراية، ج٤، ص١٨٣.

(٣) هو الصّلت السّدوسيّ، مولى سويد بن منجوف، تابعي، أرسل حديث "ذبيحة المسلم حلال وإنْ لم يسمّ" ، روى عنه ثور بن يزيد وحده، روى له أبو داود في المراسيل هذا الحديث الواحد، وقال ابن حجر: لين الحديث، وقال ابن حزم: مجهول، انظر ترجمته في: البخاريّ، التّاريخ الكبير، ج٤، ص٢٩٩، والمزّيّ، تهذيب الكمال، ج١٣، ص٢٣٢، والذّهبيّ، ميزان الاعتدال، ج٣، ص٤٣٨، وابن حجر، لسان الميزان، ج٧، ص٢٤٨، وتقريب التّهذيب، ص٢٧٧، وتهذيب التّهذيب، ج٤، ص٣٨٣.

(٤) ابن السُّبْكِيّ، رفع الحاجب، ج٤، ص٤٢٢.

(٥) هو خالد بن أبي الصّلت البصري، روى عنه خالد الحذّاء، وسفيان بن حسين، والمبارك بن فضالة، وواصل مولى أبي عيينة، روى له ابن ماجة حديثا واحدا، قال ابن حجر: قال ابن حزم: هو مجهول، وقال عبد الحق: ضعيف، وتعقب ابن مفوز كلام ابن حزم، فقال: مشهور بالرواية، معروف بحمل العلم، ولكن حديثه معلول، وقال في التقريب: وهو مقبول، وقال الذّهبيّ: ذكره ابن حبّان في الثّقات، وما علمت أحدا تعرض إلى لينه، وقال في الكاشف: ثقة، انظر ترجمته في: البخاريّ، التّاريخ الكبير، ج٣، ص١٥٥، وابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج٣، ص٣٣٦، والمزّيّ، تهذيب الكمال، ج٨، ص٩٢، والذّهبيّ، الكاشف، ج١، ص٣٦٥، وميزان الاعتدال، ج٢، ص٤١٤، وابن حجر، تقريب التّهذيب، ص١٨٨، وتهذيب التّهذيب، ج٣، ص٨٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

عيينة، وهؤلاء ثقات، فوجب أنْ يكون خالد معروفا))[1].

رابعا: تجريح الرّواة

١- قال في تعليقه على حديث إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة[2] : ((وهو شيخ لا يَحتجّ به أهل الجرح والتّعديل))[3].

٢- قال عن محمّد الخزاعي[4]: ((ليس مشهورا، بل هو من مجهولي مشايخ بقيّة))[5].

المطلب الثّاني: الأحكام التي اعتمد فيها على غيره

الإفادة من جهود السابقين ديدن العلماء في كل عصر، والبدء من حيث انتهى النّاس

---

(١) ابن السُّبكيّ، الإبهاج، ج٥، ص١٩٢٠.

(٢) هو إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة أبو سليمان القرشيّ الأمويّ، قال له الزّهريّ لمّا سمعه يرسل الأحاديث: قاتلك الله يا ابن أبي فروة، ما أجرأك على الله، ألا تسند أحاديثك، تحدّث بأحاديث ليس لها خِطَمٌ ولا أزمّة، وقال أحمد بن حنبل: لا تحلّ الروايّة عندي عن إسحاق، وقال: ما هو بأهل أنْ يُحمل عنه، ولا يروى عنه، وقال البخاريّ: تركوه، وقال ابن معين: إسحاق بن أبى فروة لا شيء، كذّاب، وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة متروك الحديث، وقال أبو زرعة: ذاهب الحديث متروك الحديث، انظر ترجمته في: البخاريّ، التّاريخ الكبير، ج١، ص٣٩٦، وابن أبي حاتم، الجرح والتّعديل، ج٢، ص٢٢٧، والمزّيّ، تهذيب الكمال، ج٢، ص٤٤٦، والذّهبيّ، الكاشف، ج١، ص٢٣٧، وميزان الاعتدال، ج١، ص٣٤٤، وابن حجر، تقريب التّهذيب، ص١٠٢، وتهذيب التّهذيب، ج١، ص٢١٠، ولسان الميزان، ج٧، ص١٧٤.

(٣) ابن السُّبكيّ، رفع الحاجب، ج٣، ص٣٢٠.

(٤) هو محمّد بن راشد الخزاعي أبو عبد الله، ويقال أبو يحيى الشّاميّ الدّمشقيّ، ويعرف بالمكحوليّ، سكن البصرة، وتوفي بعد (٢٦٩هـ)، قال ابن عديّ بعد أنْ ذكر حديثه: ((ومحمّد الخزاعيّ هذا هو من مجهولي بقيّة، ويقال عن بقيّة في هذا الحديث عن محمّد بن راشد عن الحسن، ومحمّد بن راشد أيضا عن الحسن مجهول))، ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ج٣، ص١٦٧، وثّقه ابن حنبل وابن معين، وقال أبو حاتم: كان صدوقا حسن الحديث، وقال النّسائيّ: ثقة، وقال في موضع آخر: ليس به بأس، وقال ابن حبّان: كان من أهل الورع والنسك، ولم يكن الحديث من صنعته فكثر المناكير في روايته، فاستحقّ ترك الاحتجاج به، وقال الدّار قطنيّ: يعتبر به، انظر ترجمته في: البخاريّ، التّاريخ الكبير، ج١، ص٨١، والعقيليّ، الضّعفاء، ج٤، ص٦٥، وابن حبّان، المجروحين، ج٢، ص٢٥٣، والمزّيّ، تهذيب الكمال، ج٢٥، ص١٨٦، وابن حجر، لسان الميزان، ج٧، ص٥١٩.

(٥) ابن السُّبكيّ، الإبهاج، ج٣، ص٣٣٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اعتراف بفضلهم، إذا رافق ذلك كلّه نسبة الأقوال إلى أصحابها، وابن السُّبْكِيّ من العلماء الذين نهلوا من علوم السّابقين، واعتمدوا أقوالهم وعارضوا بعضها، وقد سبق الحديث في مصنّفات ابن السُّبْكِيّ أنّه كان يبتعد عن الجمع المجرّد، ويقول: ((استهجن ممن يدّعي التّحقيق، من العلماء، إعادة ما ذكره الماضون، إذا لم يضمّ إلى الإعادة تتكيتا عليهم، أو زيادة قيد أهملوه، أو تحقيق تركوه))[1].

وفي هذا المطلب سأتحدّث عن الأحكام الحديثيّة التي اعتمد فيها ابن السُّبْكِيّ على غيره، وهل أضاف إليها، أو تعقبها.

أولا: الاكتفاء بنقل أحكام العلماء في نقد الأسانيد والمتون

اعتمد ابن السُّبْكِيّ على أحكام من سبقه من نقاد الحديث، وكان يكتفي أحيانا بإيراد ما قالوه في الإسناد، أو المتن، وهو إقرار ضمني منه بقبول أحكامهم، واعتمادها، ومن أمثلة ذلك:

١- قال في حديث "يا رسول الله ما تقول في الذّئب"[2]: ((قال أبو سعيد: وهذا الإسناد ليس بذاك القويّ))[3].

٢- قال في ترجمة تقي الدّين أبو الفتح السُّبْكِيّ: ((ثمّ تكلم أبو الفتح على ما رواه

---

(١) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج١، ص٩٩.

(٢) حديث ضعيف، أخرجه ابن ماجة، السّنن، كتاب الصّيد، باب في الذئب والثّعلب، ج٢، ص١٠٧٧، حديث رقم(٣٢٣٥)، وابن أبي عاصم، الآحاد والمثاني، ج٣، ص٩٣، حديث رقم(١٤١١)، والطّبرانيّ، المعجم الكبير، ج٤، ص١٠٢، حديث رقم(٣٧٩٦)، والبيهقيّ، السّنن الكبرى، ج٩، ص٣١٩، حديث رقم(١٩١٧١).

(٣) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٢، ص٣٠٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الدّارقطنيّ من حديث عليّ ﷺ مرفوعا "ليس في العوامل صدقة"[1]، وضعّفه، وأجاد في تضعيفه))[2].

٣- قال في حديث "رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ والنِّسْيَانَ"[3]: ((واعلَم أنّ الحديث الذي أورده المصنّف رواه الحافظ أبو القاسم التّيميّ من حديث ابن عبّاس، وروى ابن ماجة معناه، وصحّحه ابن حبّان، وقال أحمد: لا يثبت))[4].

ففي هذه الأمثلة نلحظ أنّ ابن السبكي اكتفى بنقل أقوال النّقاد في الأحاديث، وهو إقرار ضمني منه بالموافقة على ما قالوه.

ثانيا: الإضافة إلى ما قاله السّابقون في نقد الأسانيد والمتون

لم يكتف ابن السُّبْكِيّ في مصنّفاته بنقل أقوال العلماء السّابقين، بل ضمّ إلى ذلك ما

---

(١) حديث ضعيف، أخرجه ابن أبي شيبة، المصنّف، ج٢، ص٣٦٥، حديث رقم(٩٩٥٢)، والدّار قطنيّ، السّنن، كتاب الزّكاة، باب ليس في العوامل صدقة، ج٢، ص١٠٣، حديث رقم(١)، والطّبرانيّ، المعجم الكبير، ج١١، ص٤٠، حديث رقم(١٠٩٧٤)، والبيهقيّ، السّنن الكبرى، ج٤، ص١١٦، حديث رقم(٧١٨٧)، وقال الزّيلعيّ بعد أنْ ذكره: ((قال ابن حبّان في كتاب "الضّعفاء": ليس هو من كلام رسول الله، وإنّما يعرف بإسناد منقطع، فقلبه الصّقر على أبي رجاء، وهو يأتي بالمقلوبات انتهى، وأحمد بن الحارث الراوي عن الصّقر هو الغسّانيّ، قال أبو حاتم الرازي: هو متروك الحديث))، الزّيلعيّ، نصب الراية ج٢، ص٣٥٦، وذكره ابن حجر في اللسان، في ترجمة أحمد بن الحارث، ونقل عن ابن القطّان أنّه مجهول، انظر: ابن حجر، لسان الميزان، ج١، ص١٤٩.

(٢) ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٩، ص١٨٠، ولم أستطع الوقوف على كلام أبي الفتح لبيان ما قاله.

(٣) حديث ضعيف، أخرجه ابن ماجة، السّنن، كتاب الطّلاق، باب طلاق المكره والنّاسي، ج١، ص٦٥٩، حديث رقم(٢٠٤٣)، بلفظ "إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عن أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وما اسْتُكْرِهُوا عليه"، وابن حبّان، الصّحيح، باب الإخبار عمّا وضع الله بفضله عن هذه الأمّة، ج١٦، ص٢٠٢، حديث رقم(٧٢١٩)، بلفظ "إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي"، والدّار قطنيّ، السّنن، كتاب النّذور، ج٤، ص١٧٠، حديث رقم(٣٣)، والطّبرانيّ، المعجم الكبير، ج٢، ص٩٧، حديث رقم(١٤٣٠).

(٤) ابن السُّبْكِيّ، الإبهاج، ج٥، ص١٥٧٠، ونقل عن الإمام محمد بن نصر قوله: فاستفدت أنّ لهذا اللفظ إسنادا، ولكنّه لا يثبت، ثم قال: سئل أحمد بن حنبل عن الحديث فقال: لا يصحّ، ولا يثبت إسناده، انظر: ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٢، ص٢٥٣- ٢٥٤، ونقل ابن حجر تحسين الحديث عن النووي، ثم أطال في نقل أقوال العلماء في تضعيفه، انظر: ابن حجر، التّلخيص الحبير، ج١، ص٢٨١- ٢٨٢، وانظر إنكار الإمام أحمد لهذا =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

استخرجه نظره، ووضعه فهمه، وهذا ديدن المحقّين من العلماء، ومن أمثلة ذلك:

١- قال في حديث "لا يَجْمَع الله هذه الأمّة على ضلالة أبدا": ((رواه التِّرْمِذِيّ، وقال: غريب من هذا الوجه، قلت: وفي إسناده سليمان بن سفيان، وهو ضعيف عند المحدّثين))[١].

٢- قال في حديث "أبطل جهاده مع رسول الله": ((واعلم أنّ القوم لا تنتهض لهم حجّة بهذا الحديث، ولم يسلم لهم الاحتجاج بقول الصّحابي، فإنّ الشّافعيّ ﷺ ذكر أنّه لا يثبت مثّله عن عائشة، قلت: وفيه ما ينبّه على عدم ثبوته، وهو قولها أنّه أبطل جهاده، ولم يقل أحد أنّه من يعمل بالعينة حبط عمله، فلم يقولوا بمقتضى ما رووا))[٢].

٣- قال في حديث "نحن معاشر الأنبياء لا نورّث": ((وهو حديث قال شيخنا الذّهبيّ: ليس في شيء من الكتب السّتة، والأمر كما قال، بل ولا رأيته في شيء من كتب الحديث، ثمّ رواه الهيثم بن كليب الشّاشيّ من حديث أبي بكر الصّديق ﷺ ولفظه: "إنّا معاشر الأنبياء لا نورّث"، وضع "إنّا" موضع "نحن"، ولذلك خرّجه النّسائِيّ في سننه الكبير، وهو غير معدود عند المحدّثين من الكتب السّتة، إنّما يعدون السّنن المشهورة التي له، وعليها يخرّجون الأسماء والأطراف، وبالجملة: هو بلفظ "نحن" غير موجود، وبلفظ "إنّا" موجود، ولكن في غير السّتة))[٣].

=

الحديث: أحمد بن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، ج١، ص٥٦١.

(١) ابن السُّبْكِيّ، الإبهاج، ج٥، ص٢٠٥١، ورفع الحاجب، ج٢، ص١٥٩.

(٢) ابن السُّبْكِيّ، الأشباه والنّظائر، ج٢، ص١٩٣.

(٣) ابن السُّبْكِيّ، رفع الحاجب، ج٣، ص٧٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٤- قال في حديث "إنّ الله أجاركم من ثلاث خصال": ((رواه أبو داود، وفي إسناده محمّد ابن إسماعيل بن عبّاس عن أبيه، وهو على ضعفه، قال أبو حاتم: لم يسمع من أبيه شيئا، وروي من طريق أخرى منقطعة، وروى الدّار قطنيّ معنى الحديث بسند ضعيف))[١].

ثالثا: أحكام تعقّبها بالنّقد

لم يكن ابن السُّبكِيّ كحاطب ليل يأخذ كلّ ما يجده، بل كان يقف عند أحكام النّقاد موافقا لما يراه صوابا، ومنبّها على ما يراه خطأ، أيا كان قائله، طالما أنّه يأتي بالدّليل على ما يذهب إليه، ومن أمثلة ذلك:

١- قال في حديث "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله": ((هو حديث صحيح، وصالح بن أبي عريب ثقة، وثّقه ابن حبّان وغيره، وخرّج له أبو داود والنّسائِيّ وابن ماجة، ولم يغمزه أحد فيما علمت، غير أنّ ابن القطّان قال: لا يُعْرَفُ حاله، ولا يُعْرَف روى عنه غير عبد الحميد بن جعفر، وليس الأمر كما زعم؛ فقد روى عنه حيوة بن شريح، والليث، وابن لهيعة وغيرهم، ولحديثه هذا أحاديث شواهد أسلفناها تعضده، وفي رواية أسندناها إلى عبادة وأبي الدرداء "أو حرّم الله عليه النّار"، ويعضده أيضا الأمر بتلقين الموتى لا إله إلا الله، فإنّه أمر إرشاد لهذا المطلوب العظيم، والمقصود الجسيم، وهو دخول الجنّة أو النّجاة من النّار))[٢].

٢- قال في تعليقه على قول أبي حاتم في أبي ثور: ((وقال أبو حاتم: هو رجل يتكلم بالرأي فيخطئ ويصيب، وليس محله محل المسمّعين في الحديث، قلت: هذا غلو من أبي حاتم،

---

(١) ابن السبكي، رفع الحاجب، ج٢، ص١٥٨- ١٥٩.

(٢) ابن السُّبكِيّ، الطبقات الكبرى، ج١، ص٦٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وليس الكلام في الرأي موجبا للقدح، فلا التفات إلى قول أبي حاتم هذا، وهو من الطّراز الأول الذي قدمناه في ترجمة أحمد بن صالح المصريّ، وأبو ثور أظهر أمرا من أنْ يحتاج إلى توثيق، وقد قدّمنا كلام أحمد بن حنبل فيه، وكفى به شرفا))[1].

٣- قال في ترجمة الرّبيع بن سليمان صاحب الشّافعيّ: ((... وقيل كانت فيه سلامة صدر وغفلة، قلت: إلا أنّها باتفاقهم لم تنته به إلى التّوقف في قبول روايته، بل هو ثقة ثبت، خرّج إمام الأئمّة ابن خزيمة حديثه في صحيحه، وكذلك ابن حبّان، والحاكم، قال ابن أبي حاتم سمعنا منه وهو صدوق، وسئل أبي عنه فقال: صدوق))[2].

٤- قال في ترجمة حرملة التّجيبيّ: ((قلت: تكلّم بعضهم في حرملة، فعن أبي حاتم: لا يحتجّ به، وأنصف ابن عدي فقال: قد تبحّرت حديث حرملة، وفتشته الكثير فلم أجد في حديثه ما يجب أنْ يضعّف من أجله، ورجل توارى ابن وهب عندهم ويكون حديثه كله عنده، فليس ببعيد أنْ يغرب على غيره، قلت: هذا هو الحقّ، وحرملة ثقة ثبت، إنْ شاء الله))[3].

---

(١) المصدر السابق، ج٢، ص٧٥، وقال ابن السُّبكيّ: ((ولَنا أجوَز أنْ يكون قول أبي حاتم: ليس محله محل المسمعين في الحديث مع كونه غير قدح، مصحفا في الكتب، ولَنّه إنّما قال: محل المتّسعين، أي المكثرين، فإنّ أبا ثور لم يكن من المكثرين في الحديث إكثار غيره من الحفاظ، وقد رأيت اللفظة هكذا بخطّ بعض محدّثي زماننا في الحكاية عن أبي حاتم، ولا شكّ أنّ الفقه كان أغلب عليه من الحديث، وكان المحدّثون إذا سئلوا عن مسائل الفقه أحالوا عليه، وقد قدّمنا ما يدلّ على ذلك))، ابن السُّبكيّ، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٧٦.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص١٣٤.

(٣) المصدر السابق، ج٢، ص١٢٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

تعرض ابن السُّبْكِيّ لنقد المرويّ – سندا ومتنا – ولم يهمل جانب نقد المتن، وإنْ كان أكثر كلامه في نقد الأسانيد، إذ من المعلوم أنْ لا تلازم بين صحّة الإسناد وصحّة المتن، لذا فقد وجّه ابن السُّبْكِيّ نقده للأحاديث من جانبيّ السّند والمتن، وقد مرّ معنا الكثير من الأمثلة الدّالة على ذلك، ولذا فسأكتفي هنا بإيراد أمثلة من المتون التي تعرض لها ابن السُّبْكِيّ بالنقد، فمن ذلك:

١- قال في حديث "رَدُّ شَهَادَةَ الْقَانِعِ[١]": ((ومسألة القانع، مع ورود حديث فيها، لم أجد من أشبعها قولا، وقليل من خصّها بالذّكر، ولم أرها في شيء من كتب الرّافعيّ، والنّوويّ، وابن الرّفعة، بل لا أحفظها مقصودة بالذّكر في غير "تعليقة" القاضي، ومَنْ بعده ممن سأذكره، والذي أقوله فيها: إنّ الحديث إنْ صحّ، وكان معناه ما ذكر، فلا مدفع له، وواجب الرجوع إليه، غير أنّه لا يكاد يثبت، ولفظه مضطرب، ومعناه مختلف فيه، أمّا توقفنا في ثبوته؛ فمن قِبَلِ أنّه من حديث محمّد بن راشد، وفيه كلام، عن سليمان بن موسى الدّمشقيّ، وفيه أيضا كلام؛ قال البخاريّ: عنده مناكير عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه، وأمّا اضّطراب لفظه؛ فلفظ أحمد: "لا تَجُوزُ شَهَادَةُ خَائِنٍ وَلا خَائِنَةٍ وَلا ذِي غِمْرٍ[٢] عَلَى أَخِيهِ، وَلا تَجُوزُ شَهَادَةُ الْقَانِعِ لأَهْلِ الْبَيْتِ، وَتَجُوزُ شَهَادَتُهُ لِغَيْرِهِمْ، وَالْقَانِعُ الَّذِي يُنْفِقُ عَلَيْهِ أَهْلُ الْبَيْتِ"[٣]، ولفظ أبي داود: "رَدَّ شَهَادَةَ الْخَائِنِ وَالْخَائِنَةِ وَذِي الْغِمْرِ على أَخِيهِ وَرَدَّ شَهَادَةَ الْقَانِعِ لأَهْلِ الْبَيْتِ وَأَجَازَهَا لِغَيْرِهِمْ"[٤]، وفي لفظ آخر

---

(١) القانع هو الخادم والتابع، انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الأثر، ج٤، ص١٩٠.

(٢) أي: ذي حقد ، انظر: المصدر السابق، ج٣، ص٧٢٢.

(٣) حديث حسن، أخرجه أحمد، المسند، ج١١، ص٥٠١، حديث رقم(٦٨٩٩).

(٤) حديث حسن، أخرجه أبو داود، السّنن، كتاب الأقضية، باب من تُرَدُّ شهادته، ج٣، ص٣٠٦، حديث رقم(٣٦٠٠).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عنده لم يذكر القانع بالكليّة[1]، ورواه الدّار قطنيّ من حديث عائشة، ولفظه: "ولا القَانِعِ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ لَهُمْ"[2]، رواه من حديث يزيد بن أبي زياد وقال: يزيد بن أبي زياد هذا لا يحتجّ به، قلت: وذكر ابن أبي حاتم في العلل أنّ أبا زرعة الرّازيّ قال: إنّه حديث منكر[3]، وأمّا الاختلاف في معناه؛ فما ذكره الخطّابيّ[4] اعتمد فيه على قول أبي عبيد: القانع السائل والمستطعم، وقال أيضا: قد يقال إنّه المنقطع إلى القوم يخدمهم، ويكون في حوائجهم[5]، قلت: ولعلّ هذا أشبه بمعنى الحديث، وقد تقدم في بعض ألفاظه ما يؤيّده، ومع هذا الاضطراب يقف الاحتجاج به))[6].

وسأكتفي بما أورده ابن السُّبكيّ في هذا الحديث دون زيادة، فكلامه موافق لما ذكره الزّيلعيّ في نصب الرّاية[7].

٢- قال في حديث "للرّاجل سَهْمٌ وَلِلْفَارِسِ سَهْمَانِ": ((وهذا اللفظ لا أعرفه، والذي في "الصّحيحين" أنّه عليه الصلاة والسلام، "جعل للفرس سهمين، ولصاحبه سهما"[8]، وبه يقول

---

(١) انظر أبو داود، السّنن، كتاب الأقضية، باب من تُرَدُّ شهادته، ج٣، ص٣٠٦، حديث رقم(٣٦٠١).

(٢) أخرجه الدّار قطنيّ، السّنن، كتاب في الأقضية والأحكام وغير ذلك، باب في المرأة تُقتل إذا ارتدّت، ج٤، ص٢٤٤، حديث رقم(١٤٥).

(٣) انظر: ابن أبي حاتم، علل الحديث، ج١، ص٤٧٦.

(٤) انظر: الخطّابيّ، غريب الحديث، ج١، ص٨٩.

(٥) انظر: أبو عبيد، القاسم بن سلاّم (ت٢٢٤هـ)، غريب الحديث، تحقيق محمد عبد المعيد خان، بيروت – لبنان، دار الكتاب العربي، ط١، ١٣٩٦هـ – ١٩٧٥م، ج٢، ص١٥٥.

(٦) ابن السُّبكيّ، الطّبقات الكبرى،ج٣، ص٢٨٦– ٢٨٧.

(٧) انظر: الزّيلعيّ، نصب الراية، ج٤، ص٨٣.

(٨) أخرجه البخاريّ، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب سهام الفرس، ج٣، ص١٠٥١، حديث رقم(٢٧٠٨)، ومسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب كيفية قسمة الغنيمة بين الحاضرين، ج٣، ص١٣٨٣، حديث رقم(١٧٦٢).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أصحابنا، وفي لفظ للبخاريّ "للفرس سهمين، وللرّاجل سهما"[1]، وفي سنن الدّار قطنيّ: "جعل للفارس سهمين، وللراجل سهما"[2]))[3].

وقد عقد ابن السُّبْكِيّ فصلا في كتابه "طبقات الشّافعيّة الكبرى" جمع فيه جميع ما في كتاب "الإحياء" للغزّاليّ من الأحاديث التي لم يجد لها إسنادا، أو كانت بعض ألفاظها غير ثابتة[4]، ويعدّ هذا الفصل إضافة علميّة أتحفنا بها ابن السُّبْكِيّ.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

(١) أخرجه البخاريّ، الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ج٤، ص١٥٤٥، حديث رقم(٣٩٨٨).

(٢) أخرجه الدّار قطنيّ، السّنن، كتاب السير، ج٤، ص١٠٦، حديث رقم(٢٠).

(٣) ابن السُّبْكِيّ، رفع الحاجب، ج٤، ص٣٢٢.

(٤) انظر: ابن السُّبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٦، ٢٨٧.

المبحث الثالث: المؤآخذات على ابن السُبْكِيّ

المطلب الأول: أوهام وقعت له في عزو الأحاديث، وذكر متونها

حرص ابن السُبْكِيّ على تخريج الأحاديث، وذِكْرِ مصادرها إلاّ أنّه وقعت له أوهام في عزو الأحاديث لمصادرها، ولم يلتزم بلفظ الحديث كما أخرجه صاحب المصدر، بل أتى بألفاظ مغايرة، ومن أمثلة ذلك:

١- قال في حديث " النّاس تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ": ((أخرجه مسلم في المغازي من صحيحه))[١]، والحديث المشار إليه، أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، وليس في كتاب المغازي[٢].

٢- قال: ((ويقرُب من حديث الطّير، حديث "عليٌّ خَيْرُ البَشَرِ، من أَبَى فقد كَفَرَ"، أخرجه الحاكم أيضا))[٣]، ولم أقف عليه في المستدرك.

٣- قال في حديث "إنَّ الله لا يَقْبِضُ العِلْمَ": ((ومسلم في القدر))[٤]، أي أخرجه مسلم في كتاب القدر، وإنّما أخرجه مسلم في كتاب العلم[٥].

٤- ذكر حديث "الإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا"، وقال: ((أخرجه البخاريّ ومسلم))[٦].

ورواية البخاري "أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا الإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلاءُ فِي أَصْحَابِ الإِبِلِ وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ"[٧]، ورواية مسلم "أَتَاكُمْ أَهْلُ

---

(١) ابن السُبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج١، ص١٩٠.
(٢) انظر: مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب النّاس تبع لقريش، ج٣، ص١٤٥١، حديث رقم(١٨١٨).
(٣) ابن السُبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٤، ص١٧٠.
(٤) المصدر السابق، ج١، ص٣٢٣.
(٥) انظر: مسلم، الصحيح، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، ج٤، ص٢٠٥٨، حديث رقم(٢٦٧٣).
(٦) ابن السُبْكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٣، ص٣٦٢.
(٧) أخرجه البخاريّ، الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، ج٤، ص١٥٩٤، =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الْيَمَنِ هُمْ أَضْعَفُ قُلُوبًا وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً الْفِقْهُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ"[1]، فاللفظ الذي ساقه ابن السُّبْكِيّ ليس من لفظ البخاري ولا لفظ مسلم.

٥- ذكر حديث "إِنَّ اللَّهَ تعالى قال من عَادَى لي وَلِيًّا فَقَدْ آذنني بِحَرْبٍ وما تَقَرَّبَ إلي عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إلي مِمَّا افْتَرَضْتُ عليه وما يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلي بِالنَّوَافِلِ حتى أُحِبَّهُ فإذا أَحْبَبْتُهُ كنت سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ التي يَبْطِشُ بها وَرِجْلَهُ التي يَمْشِي بها فلئن سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وما تَرَدَّدْتُ عن شَيْءٍ أنا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وأنا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ولا بد له منه"، وقال: ((أخرجه البخاري عن محمد بن عثمان بن كرامة العجليّ الكوفي فوافقناه بعلو))[2].

أما لفظ البخاري، فكان فيه: "فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ"، "وَإِنْ سَأَلَنِي"، ولم يرد في لفظ البخاري قوله"ولا بدّ له منه"[3].

المطلب الثّاني: موقفه من شيخه الذّهبيّ

ترجم ابن السُّبكِيّ للإمام الذّهبيّ في كتابه "طبقات الشّافعيّة الكبرى"، وذكر أنّه شيخه الذي أخذ منه علم الحديث، وكان يتردّد إليه في اليوم مرّتين لحسن معاملته وتودّده له، وتحدّث عن المنزلة التي وصل إليها عنده، حتّى إنّه نَزَلَ له عن مشيخة دار الحديث الأشرفيّة، وشَهِدَ له أنّه في الطّبقة الأولى من المحدّثين، وكُتُبُهُ طافحة بالنّقل عن الإمام الذّهبيّ، إلا أنّ ابن السُّبكِيّ قد

=

حديث رقم(٤١٢٧).

(١) أخرجه مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، بَاب تَفَاضُلِ أَهْلِ الإِيمَانِ فيه وَرُجْحَانِ أَهْلِ الْيَمَنِ فيه، ج١، ص٧٢، حديث رقم(٥٢).

(٢) ابن السُّبكِيّ، الطبقات الكبرى، ج٩، ص٣١٥.

(٣) انظر البخاريّ: الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، بَاب من جَاهَدَ نَفْسَهُ في طَاعَةِ اللَّهِ، ج٥، ص٢٣٨٤، حديث رقم(٦١٣٥).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقف من شيخه موقفا لا يُوَافَقُ عليه؛ فقد تجاوز الحدّ في وصف الإمام الذّهبيّ بأوصاف لا تليق به وبمكانته التي شهد له بها القاصي والدّاني[1].

لم تلق علاقة ابن السُّبكِيّ بشيخه الإمام الذّهبيّ عناية في الدّراسات المعاصرة، لبيان الأسباب الحاملة لابن السُّبكِيّ للوقيعة في شيخه الذّهبيّ، ووَصْقِهِ بأوصاف لا ينبغي أنْ تصدر من تلميذ في حقّ شيخه، وقد أشار محققا كتاب "طبقات الشّافعيّة الكبرى" إلى ذلك الموقف بقولهما: ((ورغم محبته لشيخه الذّهبيّ وإعزازه له، فقد أخذ عليه أمورا في تاريخه))[2].

وعزا عبد الفتّاح أبو غدّة[3] ما صدر من ابن السُّبكِيّ تجاه شيخه إلى التّعصب، فقال: ((لا يخلو من مبالغة وتحامل، بسبب المخالفة في العقيدة))[4].

أمّا المصادر القديمة، فقد أخذت على ابن السُّبكِيّ موقفه من شيخه الذّهبيّ؛ فها هو السّخاويّ يقول في ذمّ ناقدي التّاريخ بعد أنْ قسّمهم إلى أقسام ستّة: ((وأمّا الخامس، فالذي نسب الذّهبيّ لذلك هو تلميذه التّاج السُّبكِيّ، وهو على تقدير تسليمه، إنّما هو في أفراد ممّا وقع التّاج في أقبح منه))[5].

---

(١) انظر بعض أقوال ابن السُّبكِيّ والتي طعن فيها بالإمام الذّهبيّ، وقد آثرت عدم ذكرها: ابن السُّبكِيّ، الطبقات الكبرى، ج٢، ص١٣، وص٢٢، وص٢٤، وج٣، ص٣٥٢، وج٤، ص١٣٣، وغيرها.

(٢) ابن السُّبكِيّ، الطّبقات الكبرى، مقدمة التحقيق، ج١، ص١٦، وهي إشارة لا توحي بما صدر من ابن السُّبكِيّ في حق شيخه.

(٣) في تحقيقه لكتاب "قاعدة في الجرح والتعديل وقاعدة في المؤرخين".

(٤) ابن السُّبكِيّ، قاعدة في الجرح والتعديل، ص٤٢، حاشية١، وقال في تعليقه على كلام آخر لابن السُّبكِيّ في حق شيخه الذّهبيّ: ((وفيه مبالغة طافحة، وتحامل مكشوف))، المصدر السابق، ص٤٤.

(٥) السّخاويّ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ أهل التّاريخ، نشره فرانز روزنثال، ترجمه صالح العلي، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م، ص٩٤، وقد نقل السّخاويّ بعض ما وقع من ابن السُّبكِيّ في حق الإمام الذّهبيّ، وقال: ((إلى آخر كلامه الذي بالغ فيه، مع أنّه عمدته في جلّ التّراجم، وكونه هو قد زاد في التّعصب على الحنابلة، كما أسلفته مقرونا بإنكاره، فشاركه فيما زعمه من التّعصب، ودعوى الغيبة))، المصدر السابق، ص١٢٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وتحدّث الشّوكانيّ واصفا موقف ابن السُّبكِيّ من شيخه، وما أطلق من أوصاف في حقّه بأنّه باطل، لِمَا اشتهر عن الذّهبيّ من الإنصاف، والذّبّ عن الأفاضل، وما كان من طعن، فإنّما هو نقل عمّن سبقه ممن لم يعاصره، وإنْ كان فيمن عاصره فالإمام الذّهبيّ قوله معتبر في الجرح، ولا يُخَالِفُ ذلك إلا نادرا، شأن كلّ البشر، ولا يستحق ما وَصَفَهُ به ابن السُّبْكِيّ[1].

وقد استدلّ ابن السُّبْكِيّ على ما وصف به الإمام الذّهبيّ من التّعصب بما نقله من خطّ الإمام العلائيّ في وَصْفِ الإمام الذّهبيّ؛ حيث قال: ((غلب عليه مذهب الإثبات، ومنافرة التّأويل، والغفلة عن التّنزيه، حتّى أثّر ذلك في طبعه انحرافا شديدا عن أهل التّنزيه، وميلا قويّا إلى أهل الإثبات، فإذا ترجم واحدا منهم يطنب في وصفه ... ويتغافل عن غلطاته، ويتأول له ما أمكن، وإذا ذكر أحدا من الطّرف الآخر ... لا يبالغ في وصفه، ويكثر من قول من طعن فيه ... وسببه المخالفة في العقيدة))[2].

وكلام الإمام العلائي هذا يقابله شهادة كثير من العلماء للإمام الذّهبيّ؛ كالسّخاويّ، والشّوكانيّ وغيرهما.

ومن الأسباب التي دفعت ابن السُّبْكِيّ للوقيعة في شيخه الذّهبيّ – كما زعم – اختصار بعض التّراجم التي أوردها في كتبه، وقد عزا ابن السُّبْكِيّ السّبب في ذلك للتّعصب[3]، وأرى أنّ الاختصار أو الإطالة تعود للمنهج الذي سلكه الإمام الذّهبيّ في كتبه؛ حيث قال في مقدمة كتابه تاريخ الإسلام: ((... ومعرفة طبقاتهم، وأوقاتهم، وشيوخهم، وبعض أخبارهم؛ بأخصر عبارة، وألخص لفظ، وما تمّ من الفتوحات المشهورة، والملاحم المذكورة، والعجائب المسطورة، من

---

(١) انظر: الشّوكانيّ، البدر الطّالع، ج٢، ص١١١.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص١٣.

(٣) انظر أمثلة تلك التّراجم التي وصف فيها ابن السُّبْكِيّ شيخه بالتّقصير وتعمد الاختصار: ابن السُّبْكِيّ، =

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

غير تطويل ولا استيعاب، ولكن أذكر المشهورين ومن يشبههم، وأترك المجهولين ومن يشبههم، وأشير إلى الوقائع الكبار، إذ لو استوعبت التّراجم والوقائع، لبلغ الكتاب مائة مجلدة، بل أكثر، لأنّ فيه مائة نفس يمكنني أنْ أذكر أحوالهم في خمسين مجلدا))[1].

ومن تلك الأسباب أيضا: ذكر من ليسوا من أهل الرواية في كتابه "ميزان الاعتدال"[2]، وقد أجاب الإمام الذّهبيّ عن ذلك؛ فقال: ((وفيه من تُكُلِّمَ فيه مع ثقته وجلالته، بأدنى لين، وبأقل تجريح، فلولا أنّ ابن عديّ أو غيره، من مؤلّفيّ كتب الجرح ذكروا ذلك الشّخص لما ذكرته لثقته، ولم أر من الرأي أنْ أحذف اسم أحد ممن له ذكر، بتليينٍ ما في كتب الأئمة المذكورين، خوفا من أنْ يُتَعَقَّبَ عليّ، لا أنّي ذكرته لضعف فيه عندي))[3].

والعجيب أنّ ابن السُّبكِيّ يدرك ذلك، وقد أعجبه ما قاله الإمام الذّهبيّ؛ فقال: ((ويعجبني من كلام شيخنا أبي عبد الله الحافظ فصل ذكره بعد تصنيف كتاب "الميزان"، وأنا مورد بعضه، قال: قد كتبت في مُصنَّفي "الميزان" عددا كثيرا من الثّقات الذين احتجّ البخاريّ أو مسلم، أو غيرهما بهم، لكون الرّجل منهم قد دوّن اسمه في مصنّفات الجرح، وما أوردتهم لضعف فيهم عندي، بل ليعرف ذلك))[4].

هذه بعض الأسباب التي دفعت – باعتقادي – ابن السُّبكِيّ إلى وصف الإمام الذّهبيّ بما وصفه به، وهي لا تقتضي كلّ ما صدر من ابن السُّبكِيّ.

=

الطّبقات الكبرى، ج٣، ص١٣٠، وص١٤٣، وص٢٠٤، وج٥، ص١٨٢، وغيرها.

(١) الذّهبيّ، تاريخ الإسلام، ج١، ص١٢.

(٢) انظر اعتراض ابن السُّبكِيّ على بعض من ذكرهم الإمام الذّهبيّ في كتابه الميزان لكونهم ليسوا من أهل الرواية: ابن السُّبكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٢، ص٨٨، وج٨، ص٨٨.

(٣) الذّهبيّ، ميزان الاعتدال، ج١، ص١١٣.

(٤) ابن السُّبكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٩، ص١١١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ومن خلال استعراض بعض النّصوص التي انتقد فيها ابن السُّبكِيّ شيخه، تبيّن لي أنّه يتّهمه بالتّعصب دون أنْ يأتي بالدّليل سوى الظّنّ؛ فمن ذلك:

١-قال ابن السُّبكِيّ: ((ولقد وقفت في "تاريخ" الذّهبيّ، رحمه الله، على ترجمة الشّيخ الموفّق بن قدامة الحنبليّ، والشّيخ فخر الدّين بن عساكر، وقد أطال تلك وقصّر هذه، وأتى بما لا يشكّ لبيب أنّه لم يحمله على ذلك إلا أنّ هذا أشعريّ، وذاك حنبليّ، وسيقفون بين يدي ربّ العالمين))[١].

٢- وقال أيضا في ترجمة الجُوَيْنِيّ: ((وأمّا شيخنا الذّهبيّ، غفر الله له، فإنّه حَارَ كيف يصنع في ترجمة هذا الإمام، الذي هو من محاسن هذه الأمّة المحمّديّة، وكيف يمزّقها، فَقَرْطَمَ ما أمكنه، ثمّ قال: وقد ذكره عبد الغافر، فأسهب وأطنب، إلى أنْ قال: وكان يذكر دروسا، وساق نحو ثلاثة أسطر من أخريات كلام عبد الغافر، ثمّ كأنّه سئم وملّ؛ لأنّ مثله مثل محمول على تقريظ عدو له، فقال بعد أنْ انتهى من ذكر السّطور الثّلاثة التي حكاها ما نصّه: وذكر التّرجمة بطولها))[٢].

ولن أطيل الحديث عن هذين النّصين، فتعليل ابن السبكي لصنيع الإمام الذهبي مستند إلى الظّنّ، و﴿إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[٣].

ويقوّله ما لم يقل، ويوجّه كلامه بما لا يحتمل؛ فمن ذلك:

---

(١) ابن السبكي، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٢٤.

(٢) المصدر السابق، ج٥، ص١٨٢.

(٣) سورة يونس، الآية (٣٦).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١- قال عن الذّهبيّ في ترجمة الكُرَجِيّ: ((وكان يتمنّى، فيما أعرفه منه، أنْ يحكي الأبيات الأخر، ذات الطامّات الكبر، التي سأذكرها لك، ولكن يخشى صولة الشّافعيّة، وسيف السّنّة المحمّديّة))[١].

فكيف يعرف أمنية الإمام الذّهبي[٢]، وهل الكَرَجِيّ تفوق حرمته حرمة حجّة الإسلام الغزّاليّ؟ فقد قال ابن السُّبكِيّ: ((فمن ناقل لبعض الممادح، وحاك لجميع ما أورده ممّا عيب على حجّة الإسلام الغزّاليّ، وذلك صنيع من يتعصّب على حجّة الإسلام، وهو شيخنا الذّهبيّ، فإنّه ذكر بعض الممادح نقلا معجرف اللفظ، محكيا بالمعنى، غير مطابق في الأكثر، ولمّا انتهى إلى ما ذكره عبد الغافر مما عيب عليه، استوفاه، ثمّ زاد ووشّح، وبسط ورشح))[٣].

٢- وقال في ترجمة الجُوَيْنِيّ: ((وقد حكى شيخنا الذّهبيّ كَسْرَ المِنْبَرِ، والأقلام، والمحابر، وأنّهم أقاموا على ذلك حولا، ثمّ قال: وهذا من فعل الجاهليّة والأعاجم، لا من فعل أهل السّنّة والأتباع، قلت: وقد حار هذا الرّجل ما الذي يؤذي به هذا الإمام، وهذا لم يفعله الإمام، ولا أوصى به أنْ يفعل، حتى يكون غضّا منه، وإنّما حكاه الحاكون إظهارا لعظمة الإمام عند أهل عصره))[٤].

لو قدّر للإمام الجُوَيْنِيّ أنْ يحاجج الإمام الذّهبيّ في هذا لما زاد الإمام الذّهبيّ على أنْ يتلو قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ

---

(١) ابن السُّبكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٦، ص١٤١.

(٢) قد يقول قائل: إنّ ابن السبكي تلميذ الذهبي، وكان يذهب إليه في اليوم مرتين، فكيف لا يعرف شيخه؟ وجواب ذلك: أن التلميذ قد يكشف شخصية شيخه من خلال أقواله وتصرفاته، ولو كان الأمر كما ذهب إليه ابن السبكي لصرح به، وأتى بما يدلل على ما ذهب إليه.

(٣) ابن السبكي، الطبقات الكبرى، ج٦، ص٢٠٣- ٢٠٤.

(٤) المصدر السابق، ج٥، ص١٨٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[1].

وفي النّهاية أجد نفسي تميل في هذه المسألة إلى ما قاله الإمام الصّنعانيّ؛ حيث قال: ((لا يخفى أنّ الصّلاح العلائي وابن السُّبْكِيّ شافعيّان حادّان أشعريان، وأنّ الذّهبيّ إمام كبير الشّأن، حنبليّ الاعتقاد، شافعيّ الفروع، وبين هاتين الطّائفتين، الحنابلة والأشعريّة، في العقائد، وفي الصّفات وغيرها، تنافر كلّيّ، فلا يقبلان عليه بعين ما قالاه فيه))[2].

المطلب الثّالث: تناقضه في مواقفه

أرسى ابن السُّبْكِيّ من خلال مصنّفاته بعض القواعد التي تحسب له، ولكن من جانب آخر تجده يناقض تلك القواعد، وسأعرض في هذا المطلب مسألتين أمثّل بهما على ذلك:

المسألة الأولى: أدب المناظرة، والتّخلق مع العلماء

اعتراض المتأخر على المتقدم فيما وافق الصّواب لا يعدّ طعنا بالمتقدم، وهذا ديدن العلماء على مر العصور، التّعقب والاستدراك والإضافة إلى ما جاء به السابقون، وابن السُّبْكِيّ يدرك ذلك، لذا فمن أقواله: ((قد قلنا غير مرّة : إنّ الصّواب أنْ يُرَدُّ من كلام المصنّفين ما يجب رَدُّهُ، ويقبل ما يجب قبوله، فأمّا التّكليف والتّخيّل، والحمل على أبعد المحامل بِلَطَافَةِ الوهم، ومنعه التّخيل، وركوب الصّعب في ذلك دون المدلول، فهو عندنا شيء تستنكره العقول، ولا يرضاه

---

(١) سورة المائدة، الآية (١١٦)، وانظر ترجمة الجُوَيْنِيّ في: الذّهبيّ، تاريخ الإسلام، ج٣٢، ص٢٣٠- ٢٣٩، فقد نقل أقوالا كثيرة في مدحه والثناء عليه.

(٢) الصّنعانيّ، توضيح الأفكار، ج٢، ص١٧٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لنفسه ذو نفس أبيّة، ولا يحفل به إلاّ من مَلَكَتْهُ العصبيّة، وأخذته العزّة بالحميّة، وكلّ أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب القبر ﷺ))[1].

وقال أيضا: ((والأدب مع الشّيخ عزّ الدّين الاقتصار على جوابه))[2].

وقال: ((وإمام الحرمين أجلّ من أنْ يصادم كلامه بكلمات أمثالنا، ولكنّا نقول على جهة الاستشكال دون المناظرة))[3].

ففي هذه النّصوص يبيّن ابن السُبكِيّ المنهج الذي يلزم في التّعامل مع العلماء، حتّى في حالة المخالفة في الرأي، فما من معصوم إلا أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم ، إلاّ أنّ ابن السُبكِيّ لم يلتزم ذلك دائما؛ وموقفه من شيخه الذّهبيّ يدلّل على ذلك، وله مواقف أخرى تجاه بعض العلماء؛ فقد قال في سيف الدين أحمد بن المجد المقدسيّ: ((والسّيف من جهّال المشبّهة، لا يعتبر به في ورد، ولا صدر))[4]، قال ذلك لمّا بلغه أنّ السّيف ابن المجد ضرب على بعض الممادح التي وَصَفَ بها ابن الحاجب ابن عساكر، وقال في موضع آخر: ((وأما قول السّيف ابن المجد إنّ الذي اتّفق إنّما هو بسبب إقراء "المرشدة" فمن التّعصب البارد، والجهل الفاسد، وقد فعلت الفرنج داخل المسجد الأقصى العظائم، فهلاّ نظر في ذلك، نعوذ بالله من الخذلان))[5].

ووصف ابن حزم بقوله: ((هذا ابن حزم رجل جريء بلسانه، متسرّع إلى النّقل بمجرد ظنّه، هاجم على أئمّة الإسلام بألفاظه، وكتابه هذا "الملل والنّحل" من شرّ الكتب، وما برح المحققون من أصحابنا ينهون عن النّظر فيه؛ لما فيه من الإزراء بأهل السّنّة، ونسبة الأقوال

---

(١) ابن السُبكِيّ، رفع الحاجب،ج٤، ص٦٢٣.

(٢) ابن السُبكِيّ، الإبهاج، ج٢، ص١٢٥٩.

(٣) المصدر السابق، ٤، ص٢٤٣٤.

(٤) ابن السُبكِيّ، الطّبقات الكبرى، ج٨، ص١٤٢.

(٥) المصدر السابق، ج٨، ص١٨٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

السّخيفة إليهم من غير تثبت عنهم، والتّشنيع عليهم بما لم يقولوه، وقد أفرط في كتابه هذا في الغضّ من شيخ السّنّة أبي الحسن الأشعريّ، وكاد يصرّح بتكفيره في غير موضع، وصرّح بنسبته إلى البدعة في كثير من المواضع، وما هو عنده إلا كواحد من المبتدعة، والذي تحققته بعد البحث الشّديد أنّه لا يعرفه، ولا بلغه بالنّقل الصّحيح معتقده، وإنّما بَلَغَتْهُ عنه أقوال نقلها الكاذبون عليه، فصدّقها بمجرد سماعه إياها، ثمّ لم يكتف بالتّصديق بمجرد السماع حتى أخذ يشنّع))[1].

المسألة الثّانية: الاعتداد بالنّفس

وَصَفَ ابن السُّبكيّ ما وصل إليه من المكانة العالية في الشّام، وعقّب على ذلك بقوله: ((وكلّ ذلك ببركة سيدنا رسول الله ﷺ سيّد النّبيين، فلست، والله، قدر واحدة من هذه النّعم التي تقلّدت عقدها الثّمين، ولا أنا ممن يفتخر بعلم، ولا دين، ولا نسب))[2].

هذا من المواقف التي تحسب أيضا لابن السُّبكيّ، لكنْ تجده يصف كتبه، أو ما قام به من بحوث، بأوصاف تدلل على الفخر والعجب؛ فقال واصفا كتابه "الأشباه والنّظائر": ((وهو الكتاب الذي لا يليق بالمجدّ في طلب العلم إهماله، ولا يسع طالب التّحقيق إغفاله))[3]، وقال في مسألة بَحَثَهَا: ((وهذا تحقيق هائل، عليك بعرض كلام الفقهاء والخلافيين عليه، فإنْ أباه، فادرأ ما عداه))[4]، ووصف ما أورده من أسانيد في كتابه "طبقات الشّافعيّة الكبرى"، فقال: ((ولقد يعزّ على أبناء الزمان جمعها، ويبعد منهم ... وضعها، ويتعذّر عليهم ... صُنْعها))[5].

---

(١) ابن السُّبكيّ، الطبقات الكبرى، ج١، ص٩٠.

(٢) المصدر السابق، ج١٠، ص١٨.

(٣) ابن السُّبكيّ، منع الموانع، ص٤٧٨.

(٤) المصدر السابق، ص١٠١.

(٥) ابن السُّبكيّ، الطبقات الكبرى، ج١، ص٣١٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخاتمة

بعد أنْ عشت مع شخصية ابن السُبْكِيّ، وأنهيت عرض مادة البحث، أسجّل أهمّ النتائج، والتّوصيات التي توصّلت إليها من خلال هذه الدراسة:

١- لم يكثر ابن السبكي من الرحلة في طلب العلم، ويعود ذلك لأسباب من أهمها: قصر حياته، وانشغاله بالتدريس والقضاء.

٢- اعتنى ابن السبكي بالتأليف، وكان يرى فيه الخلود المعنوي للعالِم.

٣- سار ابن السبكي في تصانيفه وفق منهجية واضحة المعالم من أبرزها: التجديد والابتكار، والإطناب والاختصار، ومتابعة مصنفاته بالتنقيح والتصحيح.

٤- تعددت العوامل التي أسهمت في تكوين ثقافة ابن السُبْكِيّ، وإن كانت الأسرة من أبرز العوامل التي أكسبته تلك الثقافة.

٥- كان لطلب ابن السبكي العلم في الصغر أثره الواضح، فظفر بأسانيد عالية، واستحكمت ملكة الحفظ لديه.

٦- كان لشيوخ ابن السبكي الأثر الواضح في تشكيل ثقافته الموسوعية، وتمثّل ذلك: بتحفيز دافع العلم لديه، وتفعيل أسلوب الحوار، وتعزيز ثقته بنفسه، وترشيحه لتولي المناصب المختلفة.

٧- اعتنى ابن السبكي بتلاميذه ، وسعى لهم في تولي المناصب الإدارية، والتعليمية.

٨- اتّسمت ثقافة ابن السُبْكِيّ بالموسوعية، فهو معدود من الفقهاء، والأصوليين، والمحدثين، واللغويين.

٩- ظهرت مكانة ابن السبكي في علم الحديث الشريف من خلال: شهادة العلماء له، واكثاره من سماع الحديث، وتعدد موارده الحديثية.

١٠- ظهر أثر ابن السبكي في علم الحديث من خلال: جمع الأحاديث وتصنيفها، ومناقشة بعض القضايا الحديثية، وتقعيد القواعد لها.

١١- قدّم ابن السُبْكِيّ معرفة جديدة في علوم الحديث من خلال آرائه التي قال بها، ومن خلال تخريج أحاديث "إحياء علوم الدين" التي لم يقف لها على إسناد.

١٢- سعى ابن السبكي من خلال مصنفاته لخدمة المذهب الشافعي.

١٣- صنف ابن السبكي في التاريخ وتراجم الرجال، وكان مرجعا لأقرانه، وللعلماء من بعده.

١٤- تأثر ابن السبكي بعلاقته بالصفدي؛ فاعتنى باللغة وعلومها حتى أصبح ذا مكانة أدركها عامة الناس.

١٥- ظهرت ثقافة ابن السبكي الحديثية من خلال: اعتنائه بالأسانيد، وآرائه وترجيحاته في مصطلح الحديث، وتصحيح الأحاديث وتضعيفها، وتوثيق الرواة وتجريحهم.

١٦- ظهرت ثقافة ابن السبكي الفقهية والأصولية من خلال: العناية بالمصطلحات الحديثية،

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

والعناية بمختلف الحديث فقهه.

١٧- ظهرت ثقافة ابن السبكي التاريخية من خلال: العناية بطبقات الفقهاء وتراجمهم، ونقد الأخبار، وتعقباته للعلماء في تواريخ الرجال.

١٨- ظهرت ثقافة ابن السبكي اللغوية من خلال: العناية بغريب الحديث، وتوجيه الحديث بما تقتضيه الصنعة اللغوية.

١٩- كان لسلوك ابن السبكي طريق التصوّف الأثر الكبير في قبول أحاديث ضعيفة، أو الاحتجاج بها، أو معارضة العلماء في نقد الرجال.

٢٠- شاعت روح النقد الحديثي في مصنفات ابن السبكي، وتناول جانبي السند والمتن.

٢١- وقع ابن السبكي في بعض الأوهام، في عزو الأحاديث، وذكر متونها.

٢٢- كان موقف ابن السبكي من شيخه الذهبي نابعا من التعصب والهوى، فلا يقبل منه ما قاله في حق شيخه.

وبعد هذا فإنّ الباحث يوصي:

أولا: الاهتمام بشخصية ابن السُبكيّ العقدية؛ بدراسة أثره في علم العقيدة من خلال آرائه واختياراته.

ثانيا: التطلع من خلال الدراسات والبحوث العلمية إلى البيت السُبكيّ كبيت علم كانت له عناية بالحديث الشريف وعلومه.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قائمة المراجع

- القرآن الكريم
- الآمديّ، علي بن محمد أبو الحسن (ت٦٣١هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق سيد الجميلي، بيروت – لبنان، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
- ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد الجزري أبو الحسن(ت٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق عادل الرفاعي، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.
- ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري أبو السعادات(ت٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الأثر، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، بيروت – لبنان، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- منال الطالب في شرح طوال الغرائب، تحقيق محمود الطناحي، القاهرة – مصر، مطبعة المدني،(د.ت).
- أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني(ت ٢٤١هـ)، العلل ومعرفة الرجال، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، بيروت – لبنان، المكتب الإسلامي، ط١ ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
- المسند، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.
- الأعظمي، محمد مصطفى، منهج النقد عند المحدثين نشأته وتاريخه، الرياض – السعودية، مكتبة الكوثر، ط٣، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
- ابن أعين القرشي،عبد الرحمن بن عبد الله أبو القاسم عبد الحكم المصري(ت٢٥٧هـ)، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق محمد الحجيري، بيروت – لبنان، دار الفكر، ط١، ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م.
- الألباني، محمد ناصر الدين، إرواء الغليل، بيروت – لبنان، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م،
- الباجي، سليمان بن خلف بن سعد أبو الوليد(ت٣٧٤هـ)، التعديل والتجريح، تحقيق أبو لبابة حسين، الرياض – السعودية، ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله الجعفي(ت ٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح، تحقيق مصطفى البغا، بيروت – لبنان، دار ابن كثير، ط٣، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
- التّاريخ الصّغير، تحقيق محمد إبراهيم زايد، بيروت – لبنان دار المعرفة، ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
- التّاريخ الكبير، تحقيق هاشم الندوي دار الفكر(د.ت).
- أبو البركات، محمد بن أحمد بن يوسف الذهبي ابن الكيال(ت٩٣٩هـ)، الكواكب النيرات في

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

معرفة من اختلط من الرواة الثقات، تحقيق عبد القيّوم عبد رب النبي، مكة المكرمة – السعودية، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
– البزّار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق (ت ٢٩٢هـ)، البحر الزخار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، بيروت – لبنان، المدينة المنورة – السعودية، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤٠٩هـ– ١٩٨٨م.
– البيطار، عبد الرزاق(ت١٣٣٥هـ)، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق محمد بهجة البيطار، دمشق – سوريا، المجمع العلمي العربي، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م.
– البوصيري، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل (ت٨٤٠هـ)، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، الرياض – السعودية، دار الوطن، ط١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
– بيبي بنت عبد الصمد الهروية الهرثمية(ت ٤٧٧هـ)، جزء بيبي، تحقيق عبدالرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، الكويت، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م.
– البيروتي، محمّد بن درويش بن محمّد الحوت (ت١٢٧٧هـ)، أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨ هـ –١٩٩٧م.
– البيهقي، أحمد بن الحسين بن عليّ أبو بكر(ت٤٥٨هـ)، السنن الصغرى، تحقيق محمد ضياء الرحمن العظمي، المدينة المنورة – السعودية، مكتبة الدار، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.
– السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة – السعودية، مكتبة دار الباز، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
– شعب الإيمان، تحقيق محمّد بسيوني زغلول، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ– ١٩٩٠م.
– المدخل إلى السنن الكبرى، تحقيق محمّد ضياء الرحمن الأعظمي، الكويت، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
– الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي (ت٢٧٩هـ)، الجامع الكبير، تحقيق شعيب الأرنأووط وآخرون، بيروت – لبنان، دار الرسالة العلمية، ط١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
– ابن تغري بردي، يوسف الأتابكي جمال الدّين أبو المحاسن(ت ٨٧٤هـ)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق محمّد محمّد أمين، القاهرة – مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٤هـ– ١٩٩٣م.
– النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة – مصر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،
– التلمساني، أحمد بن محمد المقري (ت١٠٤١هـ)، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت – لبنان، دار صادر، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- الجرجاني، حمزة بن يوسف أبو القاسم(ت٣٤٥هـ)، تاريخ جرجان، تحقيق محمد عبد المعيد خان، بيروت - لبنان، عالم الكتب، ط٣، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- الجزري، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني(ت٦٣٠هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، بيروت - لبنان، دار صادر،١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- الجمل، سليمان، حاشية الجمل على شرح المنهج (لزكريا الأنصاريّ)، بيروت - لبنان، دار الفكر، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- الجوابي، محمد طاهر، جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف، تونس، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- الجوزجانيّ، إبراهيم بن يعقوب أبو إسحاق (ت٢٥٩هـ)، أحوال الرّجال، تحقيق صبحي السامرائيّ، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج(ت٥٧٩هـ)، الضعفاء والمتروكين، تحقيق عبد الله القاضي، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١،١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تحقيق خليل الميس، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.
- الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف أبو المعالي(ت٤٧٨هـ)، البرهان في أصول الفقه، تحقيق عبد العظيم محمود الديب، المنصورة - مصر، دار الوفاء، ط٤، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي أبو محمد (ت٣٢٧هـ)،علل الحديث، تحقيق محب الدين الخطيب، بيروت - لبنان، دار المعرفة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
- المراسيل، تحقيق شكر الله القوجاني، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٣٩٧هـ-١٩٧٦م.
- الجرح والتعديل، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي(ت١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م،
- الحاكم، محمد بن عبدالله أبو عبدالله النيسابوري(ت٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- معرفة علوم الحديث، تحقيق معظم حسين، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- ابن حبان، محمد بن أحمد التميمي البستي أبو حاتم (ت٣٥٤هـ)، الثقات، تحقيق شرف الدين أحمد، بيروت - لبنان، دار الفكر، ط١، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، لبنان – بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، حلب – سوريا، دار الوعي، ط١، ١٣٩٦هـ– ١٩٧٦م.
- ابن حبيب حلبي، بدر الدين أبو محمد حسن بن عمر، تذكرة التنبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة – مصر، دار الكتب، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٦م.
- ابن حجر، أحمد بن عليّ العسقلاني(ت٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي البجاوي، بيروت – لبنان، دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
- الأمالي المطلقة، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، بيروت – لبنان، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥م.
- إنباء الغُمْر بأنباء العُمْر، تحقيق حسن حبش، القاهرة – مصر، وزارة الأوقاف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
- بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق أحمد عصام الكاتب، الرياض – السعودية، دار العاصمة، ط١، ١٤١١هـ– ١٩٩٠م.
- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، تحقيق إكرام الله إمداد الحق،بيروت – لبنان، دار البشائر،ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.
- تقريب التهذيب، تحقيق محمد عوامة، دمشق – سوريا، دار الرشيد، ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
- التلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير، تحقيق عبد الله هاشم المدني، المدينة المنورة – السعودية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.
- تهذيب التهذيب، دار الفكر، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
- الدراية في تخريج أحاديث الهداية، تحقيق عبد الله هاشم المدني، بيروت – لبنان، دار المعرفة،(د.ت).
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، صححه سالم الكرنكوي الألماني، دائرة المعارف،(د.ت).
- شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، راجعه محمد عوض، وعلق عليه محمد الصباغ، بيروت –لبنان، مؤسسة مناهل العرفان، ط٢، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
- طبقات المدلسين، تحقيق عاصم بن عبدالله القريوتي، عمان – الأردن، مكتبة المنار، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن باز، الرياض – السعودية، مكتبة

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الرياض الحديثة، (د.ت).
- لسان الميزان، تحقيق دائرة المعرف النظامية – الهند، بيروت – لبنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٣، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق سعد بن ناصر الشتري، السعودية، دار العاصمة، دار الغيث، ط١، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.
- النكت على كتاب ابن الصلاح، تحقيق ربيع عمير، المدينة المنورة – السعودية، الجامعة الإسلامية، المجلس العلمي لإحياء التراث، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
- الحديثي، خديجة، أبو حيان النحوي، بغداد – العراق، مكتبة النهضة، ط١، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٦م.
- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الظاهري(ت٤٥٦هـ)، المحلى، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، دار الآفاق الجديدة،(د.ت).
- الحسنات: أحمد إبراهيم،٢٠٠٢م، الإمام تاج الدّين السُّبكيّ ومنهجه في أصول الفقه، أطروحة ماجستير، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، الأردن، ٢٠٠٢م.
- الحسيني، محمّد بن عليّ بن الحسن الدمشقي الشّافعيّ(ت٧٦٥هـ)، ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، (د.ت).
- الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ)، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
- الحميدي، محمد بن فتّوح بن عبد الله (ت٤٨٨هـ)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، ط٢، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م.
- الحنان، مأمون محيي الدّين، أبو حيان الأندلسي منهجه التفسيري، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي (ت٧٤٥هـ)، الديوان، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، بغداد – العراق، مطبعة العاني، ط١، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م.
- ابن خزيمة، محمد بن إسحاق أبو بكر السلمي النيسابوري(ت٣١١هـ)،صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، بيروت – لبنان، المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م.
- الخطّابي، أحمد بن محمد بن إبراهيم البستي أبو سليمان (ت٣٨٨هـ)، غريب الحديث، تحقيق عبد الكريم العزباوي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ – ١٩٨١م.
- الخطيب، أحمد بن علي البغدادي أبو بكر(ت٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية،(د.ت).
- الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدّين عتر، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١،

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- الفقيه و المتفقه، تحقيق عادل بن يوسف الغرازي، السعودية، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- الكفاية في علم الرواية، تحقيق أبو عبد الله السروقي وإبراهيم المدني، المدينة المنورة - السعودية، المكتبة العلمية، (د.ت).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، المقدمة، بيروت - لبنان، دار القلم، ط٥، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ)، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت - لبنان، دار الثقافة، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- الدارقطني، علي بن عمر أبو الحسن البغدادي(ت٣٥٨هـ)، السنن، تحقيق عبد الله هاشم يماني، بيروت - لبنان، دار المعرفة، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- العلل الواردة في الأحاديث النبوية، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله السلفي، الرياض - السعودية، دار طيبة، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد (ت٢٥٥هـ)، السنن، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي،ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، السنن، تحقيق محمد محيي الدين، بيروت - لبنان، دار الفكر،(د.ت).
- المراسيل، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- الداودي، محمّد بن علي بن أحمد (ت٩٤٥هـ)، طبقات المفسرين، تحقيق سليمان بن صالح الخزّيّ، المدينة المنورة - السعودية، مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
- الدّمياطيّ، أبو بكر ابن السيد محمّد شطا(ت١٣١٠هـ)، حاشية إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدّين، بيروت - لبنان، دار الفكر، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ابن أبي الدنيا ، أبو بكر عبد الله بن محمد البغدادي الأموي القرشي (ت ٢٨١هـ)، العقوبات، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، بيروت - لبنان، دار ابن حزم، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- الديلمي، أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الهمذاني الملقب إلكيا(ت٥٠٩هـ)، الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية،ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
- الذهبي، شمس الدين محمد أبو عبد الله (ت ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library - Yarmouk University

والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت – لبنان، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

– تذكرة الحفاظ، تحقيق زكريا عميرات، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

– ذيول العبر في خبر من غبر، تحقيق محمّد السعيد بسيوني، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

– سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٣هـ– ١٩٩٢م.

– العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت، مطبعة حكومة الكويت،ط٢، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤.

– الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق محمد عوامة، جدّة – السعودية، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

– المعجم المختص بالمحدّثين، تحقيق محمّد الحبيب الهيلة، الطائف – السعودية، مكتبة الصديق،ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

– المغني في الضعفاء، تحقيق نور الدين عتر، حلب – سوريا، دار المعارف، ١٣٩٠هـ – ١٩٧١م.

– المقتنى في سرد الكنى، تحقيق محمد صالح عبد العزيز، المدينة المنورة – السعودية، الجامعة الإسلامية، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

– ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

– ابن رافع، تقيّ الدّين أبو المعالي محمّد السّلامي (ت٧٠٤هـ)، الوفيات، تحقيق صالح مهدي عباس، أشرف عليّه وراجعه بشار معروف، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

– الرامهرمزي، الحسن بن عبد الرحمن (ت٣٦٠هـ)، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق محمد عجاج الخطيب، بيروت – لبنان، دار الفكر، ط٣، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م.

– رزق، عاصم محمّد، خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، القاهرة – مصر، مكتبة مدبولي، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

– الزبيدي، محمّد مرتضى الحسيني(ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية،(د.ت).

– أبو زرعة، عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد الرازي (ت٢٦٤هـ)، سؤالات البرذعي، تحقيق

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

سعدي الهاشمي، المنصورة – مصر، دار الوفاء، ط٢، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.
– الزركلي، خير الدّين، الأعلام، بيروت – لبنان، دار العلم للملايين، ط١، ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م.
– الزيلعي، عبدالله بن يوسف أبو محمد الحنفي (ت٧٦٢هـ)، نصب الراية لأحاديث الهداية، تحقيق محمد عوامة، بيروت – لبنان، جدة – السعودية، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
– السُبكيّ، عليّ بن عبد الكافي(ت٧٥٦هـ)، وولده تاج الدّين (ت٧٧١هـ)، الإبهاج في شرح المنهاج شرح على منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي(ت٦٨٥هـ)، تحقيق أحمد الزمزمي ونور الدّين صغيري، دبي – الإمارات العربية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م،
– ابن السُبكيّ، عبد الوهاب بن عليّ بن عبد الكافي(ت٧٧١هـ)، الأشباه والنظائر، تحقيق عادل عبد الموجود وعليّ وعوض، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
– رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، تحقيق عليّ معوّض وعادل عبد الموجود، بيروت – لبنان، عالم الكتب، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
– طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي، دار هجر، ط٢، ١٣٩٦هـ– ١٩٧٦م.
– قاعدة في الجرح والتعديل، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، حلب – سوريا، دار الوعي، ط٢، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.
– معجم الشيوخ، تخريج ابن سعد المقدسي، تحقيق بشار معروف ورائد العنبكي ومصطفى الأعظمي، بيروت – لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.
– معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمّد النجار وأبو زيد شبلي ومحمّد أبو العيون، القاهرة – مصر، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣.
– منع الموانع عن جمع الجوامع، تحقيق سعيد الحميري، بيروت – لبنان، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
– سبط ابن العجمي، إبراهيم بن محمد ابن أبو الوفا الحلبي الطرابلسي(ت٨٤١هـ)، الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط، تحقيق علاء الدين علي رضا، القاهرة – مصر، دار الحديث، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
– الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث، تحقيق صبحي السامرائي، بيروت – لبنان، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
– السخاوي، شمس الدّين محمّد بن عبد الرحمن(ت٩٠٢هـ)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ أهل

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التاريخ، نشره فرانز روزنثال، ترجمه صالح العلي، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م.
– الجواهر والدرر، تحقيق عبد المجيد الزيني، القاهرة – مصر، وزارة الأوقاف، ط٢، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
– الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت – لبنان، دار مكتبة الحياة.
– فتح المغيث شرح ألفية الحديث، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٢م.
– ابن سعد، محمد بن منيع أبو عبد الله البصري(ت٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، بيروت – لبنان، دار صادر، (د.ت).
– الطّبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، تحقيق زياد محمد منصور، المدينة المنورة – السعودية، مكتبة العلوم والحكم، ط٢، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
– ابن سعد المقدسي، شمس الدّين أبو عبد الله (ت٧٥٩هـ)، معجم شيوخ التاج السُبكيّ، تحقيق الحسن بن محمّد بن بلعيد، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
– سعيد عاشور، مصر والشّام في عصر الأيوبيين والمماليك، بيروت – لبنان، دار النهضة العربية، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٢م.
– السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي أبو سعيد (ت٥٦٢هـ)، الأنساب، تحقيق عبد الله البارودي، بيروت – لبنان، دار الفكر، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
– السمهودي، نور الدين بن عبد الله المدني (ت٩١١هـ)، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، القاهرة – مصر،(د.ت).
– ابن السني،أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري(ت٣٦٤هـ)، عمل اليوم والليلة، تحقيق كوثر البرني، جدة – السعودية، دار القبلة للثقافة الإسلامية،(د.ت).
– سهل العود، المعين على معرفة كتب الأربعين من أحاديث سيد المرسلين، بيروت – لبنان، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
– السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن (ت٥٨١هـ)، الروض الأنف في شرح السيرة الهشاميّة، قدّم له وعلق عليه طه عبد الرؤوف، بيروت – لبنان، دار المعرفة، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.
– ابن سيد الناس، محمد بن عبد الله بن يحيى اليعمري(ت٧٣٤هـ)، النفح الشذي في شرح جامع الترمذي، تحقيق أحمد معبد عبد الكريم، الرياض – السعودية، دار العاصمة، ط١، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.
– عيون الأثر، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط٢، ١٣٩٤هـ– ١٩٧٤م.
– السيوطي، جلال الدّين عبد الرحمن(٩١١هـ)، الأشباه والنظائر، بيروت – لبنان، دار الكتب

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، صيدا - لبنان، المكتبة العصرية، (د.ت).
- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمّد محي الدّين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، ط١، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، بيروت - لبنان، دار إحياء السنة النبوية، ط٢، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون، تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة - مصر، دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- طبقات الحفاظ، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية - ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٢م
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد عليّ منصور، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي (ت ٧٩٠هـ)، الموافقات، تحقيق مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- الشّافعيّ الصغير، شمس الدّين محمّد بن أبي العباس أحمد بن حمزة ابن شهاب الدّين الرملي(ت١٠٠٤هـ)، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، بيروت - لبنان، دار الفكر، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- الشافعي، محمد بن إدريس أبو عبد الله (ت٢٠٤هـ)، الرسالة، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة - مصر، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.
- شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
- الشربيني، محمّد الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، بيروت، دار الفكر، (د.ت).
- الشوكاني، محمّد بن عليّ (ت١٢٥٠هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، بيروت - لبنان، دار المعرفة، (د.ت).
- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، بيروت - لبنان، دار الجيل، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University

- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي(ت٢٣٥هـ)، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال يوسف الحوت، الرياض - السعودية، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- أبو الشّيخ، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني (ت٣٦٩هـ)، العظمة، تحقيق رضاالله المباركفوري، الرياض - السعودية، دار العاصمة، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.
- الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف أبو إسحاق (ت٤٧٦هـ)، طبقات الفقهاء، تحقيق خليل الميس، بيروت - لبنان، دار القلم،(د.ت).
- الصبان، حاشية الصبان، القاهرة - مصر، منشورات محمد علي صبيح، ١٣١٧هـ - ١٩٠٠م.
- الصفدي، صلاح الدّين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ)،، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق عليّ أبو زيد وآخرون، بيروت - لبنان، دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- الوافي بالوفيات، اعتنى به رضوان السيد، بيروت - لبنان، مطبعة المتوسط، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري أبو عمرو (ت ٦٤٣هـ)، مقدمة ابن الصلاح، تحقيق نور الدين عتر، بيروت - لبنان، دار الفكر المعاصر، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق محيي الدين علي نجيب، بيروت - لبنان، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
- الصنعاني، محمّد بن إسماعيل بن صلاح بن محمّد، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، علق عليّه ووضع حواشيه: صلاح عويضة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- الصيرفيني، تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد(ت ٦٤١هـ)،المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق خالد حيدر، لبنان - بيروت، دار الفكر، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
- طاش كبرى زادة (ت٩٦٨هـ)، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم (ت٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق حمدي السلفي، الموصل - العراق، مكتبة الزهراء، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
- المعجم الاوسط، تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، القاهرة - مصر، دار الحرمين، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- الطّحان، مصطفى محمد، التربية ودورها في تشكيل السلوك، لبنان - بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

- الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة بن عبدالملك بن سلمة أبو جعفر (ت٣٢١هـ)، شرح معاني الآثار، تحقيق محمد النجار، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٨م.
- طقوش، محمّد سهيل، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشّام، بيروت – لبنان، دار النفائس، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
- الطوالبة، محمّد عبد الرحمن، الحافظ المزّيّ والتخريج في كتابه تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، عمّان – الأردن، دار عمار، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
- ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني (ت٢٨٧هـ)، الآحاد والمثاني، تحقيق باسم جوابرة، الرياض – السعودية، دار الراية، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد(ت٤٦٣هـ)، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، تحقيق سالم عطا ومحمد معوض، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي البجاوي، بيروت – لبنان، دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.
- جامع بيان العلم وفضله، تحقيق فواز أحمد، مؤسسة الريان، دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
- عبد بن حميد بن نصر أبو محمد(ت٢٤٩هـ)، المنتخب من مسند عبد بن حميد، صبحي السامرائي ومحمود الصعيدي، القاهرة – مصر، مكتبة السنة، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
- عبد الرزاق أبو بكر بن همام الصنعاني(ت٢١١هـ)، المصنّف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت – لبنان، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ– ١٩٨٢م.
- عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية في مصر، القاهرة – مصر، دار الفكر العربي، ١٣٨٠هـ – ١٩٤٧م.
- أبو عبيد، القاسم بن سلاّم (ت٢٢٤هـ)، غريب الحديث، تحقيق محمد عبد المعيد خان، بيروت – لبنان، دار الكتاب العربي، ط١، ١٣٩٦هـ –١٩٧٥م.
- العجلوني، إسماعيل بن محمّد (ت١١٦٢هـ)، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، بيروت، مناهل العرفان، (د.ت).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- العجليّ، أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي(ت٢٦١هـ)، معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، تحقيق عبد العليم البستوي، المدينة المنورة – السعودية، مكتبة الدار، ط١، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
– ابن عدي، عبد الله بن عبد الله بن محمد أبو أحمد الجرجاني(ت٣٦٥هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق يحيى غزاوي، بيروت – لبنان، دار الفكر،ط٣، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.
– ابن عرّاق الكناني، عليّ بن محمّد بن عليّ أبو الحسن(ت٩٦٣هـ)، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف, وعبد الله محمّد الصديق الغماري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٩٩ هـ– ١٩٧٨م.
– العراقي، زين الدين عبد الرحيم أبو الفضل (ت٨٠٦هـ)، الغيث الهامع شرح جمع الجوامع، تحقيق محمد حجازي، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.
– المغني عن حمل الأسفار، تحقيق أشرف عبد المقصود، الرياض – السعودية، مكتبة طبرية، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
– ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي(ت١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت – لبنان، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع،(د.ت).
– العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى (ت٣٢٢هـ)، الضعفاء الكبير، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، بيروت – لبنان، دار المكتبة العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
– العلائي، أبو سعيد بن خليل بن كيكلدي(ت٧٦١هـ)، جامع التحصيل، تحقيق حمدي السلفي، بيروت – لبنان، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م.
– العمري، محمّد عليّ، دراسات في منهج النقد عند المحدّثين، عمان – الأردن، دار النفائس، ط١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
– العينيّ، بدر الدين محمود بن أحمد (٨٥٥هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).
– الغزيّ، أحمد بن عبد الكريم بن سعودي العامري، الجدّ الحثيث في بيان ما ليس بحديث، تحقيق بكر عبد الله أبو زيد، الرياض – السعودية، دار الراية، ط١، ١٤١٢ هـ– ١٩٩١م.
– الفاسي، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني (ت١٣٨٢هـ)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق إحسان عباس، بيروت – لبنان، دار العربي الإسلامي، ط٢، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
– أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي الأيوبي (ت٧٣٢هـ)، المختصر في أخبار البشر، القاهرة – مصر، المطبعة الحسينية المصرية، ١٣٢٤هـ – ١٩٠٧م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

- ابن فضل الله العمري، شهاب الدّين احمد بن يحيى(ت٧٤٩هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق محمّد خريسات وعصام هزايمة ويوسف بني ياسين، العين - الإمارات العربية، مركز زايد للتراث والتاريخ، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- الفيروز آبادي، محمّد بن يعقوب(ت٨١٧هـ)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق محمد المصري، الكويت، جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.
- القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٦، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- القاري، علي بن سلطان محمد (ت١٠١٤هـ)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تحقيق جمال عيتاني، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١،١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- القاسمي، محمّد جمال الدّين، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد(ت٨٥١هـ)، طبقات الشّافعيّة، اعتنى بتصحيحه عبد العليّم خان، حيدر أباد الدكن - الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٣٣٩هـ - ١٩٧٩م.
- التاريخ، تحقيق عدنان درويش، دمشق - سوريا، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- القرشي، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء أبو محمد(ت٧٧٥هـ)، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، تحقيق عبد الفتاح الحلو، بيروت - لبنان، دار هجر، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله (ت٤٥٤هـ)، مسند الشهاب، تحقيق حمدي السلفي، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
- القلقشندي، أحمد بن عليّ بن أحمد الفزاري(ت٨٢١هـ)، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، تحقيق عبد القادر زكار، دمشق - سوريا، وزارة الثقافة، ١٩٨١،
- ابن قيّم الجوزيّة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله(ت٧٥١هـ)، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، القاهرة - مصر، دار الريان للتراث، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- الكتاني، محمّد بن جعفر أبو عبد الله الإدريسي (ت١٣٤١هـ)، نظم المتناثر من الحديث المتواتر، تحقيق عبد الحفيظ حسن، القاهرة - مصر، دار الكتب السلفية، ط٢، (د.ت).
- الكتبي، محمّد بن شاكر بن أحمد(ت٧٦٤هـ)، فوات الوفيات، تحقيق عليّ معوض وعادل عبد الموجود، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- ابن كثير، عماد الدّين أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، بيروت – لبنان، مكتبة المعارف، ط١، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.
- تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب، تحقيق عبد الغني الكبيسي، مكة المكرمة – السعودية، دار حراء، ط١،١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.
- كحالة، عمر رضا، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.
- معجم المؤلفين، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي،(د.ت).
- كدكي، عوض محمّد أحمد، تاج الدّين السُّبكيّ والقضايا الأدبية من خلال كتابه طبقات الشّافعيّة الكبرى، قطر – الدوحة، دار الفتح، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
- الكناني، أبو القاسم حمزة بن محمد(ت٣٥٧هـ)، تحيقق عبد الرزاق بن عبد المحسن، الرياض- السعودية، مكتبة دار السلام، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٤م.
- اللكنوي، أبو الحسنات محمّد عبد الحي الهندي(ت١٣٠٤هـ)، الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٣، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.
- ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني (ت٢٧٥هـ)، السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، لبنان – بيروت، دار الفكر، (د.ت).
- مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي(ت١٧٩هـ)، الموطأ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مصر، دار إحياء التراث العربي،(د.ت).
- المحلّي، جلال الدّين أبو عبد الله محمّد بن احمد(ت٨٦٤هـ)، البدر الطالع في حل جمع الجوامع، تحقيق مرتضى عليّ الزبيدي، دمشق – سوريا، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
- محمّد الصّادق حسين، البيت السُّبكيّ بيت علم في دولتي المماليك، القاهرة – مصر، دار الكاتب المصري، ط١،(د.ت).
- المروزي، أحمد بن علي بن سعيد أبو بكر(ت٢٩٢هـ)، مسند أبي بكر، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت – لبنان، المكتب الإسلامي.
- المزي، يوسف بن الزكي(ت٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت – لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٨هـ –١٩٩٨م.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري(ت٢٦١هـ)،الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

- المقدسي، محمد بن طاهر (ت٥٠٧هـ)، ذخيرة الحفاظ، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي الرياض - السعودية، دار السلف ، ط١، ١٤١٦ هـ -١٩٩٦م.
- المقريزي، تقيّ الدّين أحمد بن عليّ بن عبد القادر العبيدي(ت٨٤٥هـ)، إغاثة الأمة بكشف الغمّة، بيروت - لبنان، مؤسسة ناصر للثقافة، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمّد عبد القادر عطا، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق محمّد زينهم ومديحة الشرقاوي، القاهرة - مصر، مكتبة مدبولي، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ابن الملقن، عمر بن عليّ بن أحمد بن عبد الله الأنصاريّ(ت ٨٠٤هـ)، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، تحقيق مصطفى أبو الغيط و عبدالله بن سليمان وياسر بن كمال، الرياض-السعودية، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م.
- طبقات الأولياء، تحقيق نور الدين شريبه، القاهرة - مصر، ط١، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- المناوي، زين الدّين عبد الرؤوف(ت١٠٣١هـ)، اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر، تحقيق المرتضي الزين أحمد، الرياض - السعودية، مكتبة الرشد، ط١،١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- الفتح السماوي، تحقيق أحمد مجتبى، الرياض السعودية، دار العاصمة، (د.ت).
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.
- التيسير بشرح الجامع الصغير، الرياض - السعودية، مكتبة الإمام الشّافعيّ، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري(ت٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت - لبنان، ط١، دار صادر، ١٣١٧هـ -١٩٠٠م.
- ابن ناصر الدّين، شمس الدّين محمّد بن عبد الله بن محمّد القيسي الدمشقي، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق محمّد نعيم العرقسوسي، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١،١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ابن النجار، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد الفتوحي(ت٩٧٢هـ)، شرح الكوكب المنير، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م.
- النجم الغزي، محمد بن محمد(ت١٠٦١هـ)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق جبرائيل سليمان، بيروت - لبنان، المطبعة الأمريكانية، ط١، ١٣٦٢هـ - ١٩٤٥م.
- النحلاوي، عبد الرحمن، الإصلاح التربوي والاجتماعي والسياسي من خلال المبادىء

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والاتجاهات التربوية عند التاج السُبكيّ، بيروت – لبنان، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
– النسائي، احمد بن شعيب أبو عبد الرحمن (ت٣٠٣هـ)،السنن الكبرى، تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد كسروي، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
– السنن، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب – سوريا، ط٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
– الضعفاء والمتروكين، تحقيق محمود إبراهيم زايد، حلب – سوريا، دار الوعي، ط١، ١٣٩٦هـ– ١٩٧٦م.
– نعيم بن حماد المروزي أبو عبد الله(ت٢٨٨هـ)، الفتن، تحقيق سمير الزهيري، مصر – القاهرة، مكتبة التوحيد، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.
– أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني(ت٤٣٠هـ)، مسند أبي حنيفة، تحقيق الفاريابي، السعودية – الرياض، مكتبة الكوثر، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
– النعيمي، عبد القادر بن محمّد الدمشقي(ت٩٢٧هـ)، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسيني، دمشق – سوريا، مطبعة الترقي، ١٣٦٧هـ – ١٩٤٨م.
– نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث، دمشق – سوريا، دار الفكر، ط٣، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
– النووي، محيي الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، تهذيب الأسماء، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، بيروت – لبنان، دار الفكر، ط١، ١٤١٧هـ– ١٩٩٦.
– المنهاج، بيروت – لبنان، مؤسسة مناهل العرفان،(د.ت).
– همّام عبد الرحيم سعيد، الفكر المنهجي عند المحدثين، مجلة الأمة، الدوحة – قطر، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، العدد (١٦)، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.
– الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، القاهرة – مصر، بيروت – لبنان، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٦م.
– الواعظ، عمر بن أحمد أبو حفص (ت٣٨٥هـ)، تاريخ أسماء الثقات، تحقيق صبحي السامرائي، الكويت، الدار السلفية، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
– ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر(ت٧٤٩هـ)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.
– أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى (ت ٣٠٧هـ)، المسند، تحقيق حسين سليم أسد، دمشق – سوريا، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
– اليونيني، موسى بن محمد (ت٧٢٦هـ)، ذيل مرآة الزمان، حيدر أباد – الهند، دائرة المعارف، ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فهرس الأحاديث الواردة في الرسالة	رقم الصفحة
- أتاكم أهل اليمن	٢٠٤
- أتاني جبريل فَبشَّرَني أنه من مات من أمتك	١٦٣
- اثْنَانِ فما فَوقَهُمَا جَمَاعَةٌ	١٢٣
- إذا بَلَغَ الْمَاءُ قُلَّتَيْنِ لم يَحْمِلْ الخَبَثَ	١٥٨
- إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّار	١١٥
- أعطاه النبي ﷺ دينارا ليشتري به شاة فاشترى شاتين	١٥٦
- أقرّوا الطير	١٧٨
- اللهم خِرْ لي وَاخْتَرْ لي	١٤٦
- إنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ في حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ	١٦٣
- إنَّ الله أجاركم من ثلاث خصال	١٩٩
- إنَّ الله لا يقبض العلم	٢٠٤
- أن امرأة سبت النبي ﷺ	١٢٩
- أنَّ رسولَ الله ﷺ أَمَرَهُ حين وجَّهَهُ إلى اليمن	١٤٤
- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إلى الْيَمَنِ فقال كَيْفَ تَقْضِي	١٤٨
- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَرَضَ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا من تَمْرٍ	١٠٦
- إن الماء لا ينجسه شيء إلا ما غير ريحه أو طعمه	١٥٩
- إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّات	١١٥
- إِنَّمَا نَهَيْتُكُمْ مِنْ أَجْلِ الدَّافَّةِ	١٧٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- إِنِّي لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى	١٠٥
- أينقص الرطب إذا يبس	١٣٤
- تَجِدُ من شرار الناس ذَا الْوَجْهَيْنِ	١٢٨
- تَعْمَلُ هَذِهِ الأُمَّةُ بُرْهَةً بِكِتَابِ اللَّهِ	١٤٠
- جَعَلَ رسول اللَّهِ ﷺ الشُّفْعَةَ في كل مَالٍ لم يُقْسَم	١٧٩
- الْخِلاَفَةُ في أُمَّتِي ثَلاثُونَ سَنَةً	١٦٧
- خلع النبي ﷺ نعله وهو في الصلاة	١٣٠
- ذبيحة المسلم حلال	١٩٤
- رأيت النبي ﷺ وهو نازل بوادي الشوحط	١٧٨
- رد شهادة القانع	٢٠١
- رُدُّوا السَّائِلَ وَلَوْ بِظِلْفٍ مُحْرَقٍ	١٢٦
- رفع عن أمتي الخطأ والنسيان	١٩٧
- سَأَزِيدُ على سَبْعِين	١٤٧
- الشَّيْطَانُ يَهُمُّ بِالْوَاحِدِ وَالاِثْنَيْنِ	١٣١
- عليك بذات الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ	١٨٠
- فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام	١٨١
- قَاتَلَ الله الْيَهُودَ حُرِّمَتْ عليهم الشُّحُومُ فَجَمَلُوهَا	١٨٠
- كُلُّ صَلاةٍ لا يُقْرَأُ فِيهَا بِأُمِّ الْكِتَابِ فَهِيَ خِدَاجٌ	١٣٩
- كل نفس من بني آدم سيد	١٢٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

– لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ	١٦٩
– لا تَصُومُوا حتى تَرَوْا الْهِلالَ ولا تُفْطِرُوا حتى تَرَوْهُ	١٠٦
– لاَ تُغَسِّلُوهُمْ فإن كُلَّ جُرْحٍ أو كُلَّ دَمٍ يَفُوحُ مِسكاً يوم الْقِيَامَةِ	١٣٧
– لا صيام لمن لم يفرضه من الليل	١٩٢
– لا يجمع الله هذه الأمة على ضلالة	١٩٨
– لا يحرم الحرام الحلال"	١٦٠
– لا يزداد الأمر إلا شدّة	١٧٣
– لا يقضي القاضي وهو غضبان"	١٦٤
– للفارس سهمين وللراجل سهما	٢٠٢
– لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ"	١٢٤
– ليس في العوامل صدقة	١٩٧
– ما اجتمع الحلال والحرام	١٦٠
– ما أَصَرَّ من استَغْفَرَ وَإِنْ عَادَ في الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةٍ	١٠٤
– ما تقول في الذئب	١٩٦
– مَا مِنْ دُعَاءٍ إلاَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ عز وجل حِجَابٌ	١٤٣
– من اقْتَبَسَ عِلْمًا من النُّجُومِ	١٢٨
– من حفظ على أمتي أربعين حديثا	٧٤
– من ضحك منكم فليعد الوضوء والصلاة	١٣٦
– من عادى لي وليا	٢٠٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

– من قاء أو رعف فليتوضأ	١٩٣
– من قَتَلَ في عِمِّيَّا أو رِمِّيَّا يَكُونُ بَيْنَهُمْ	١٧٨
– من كان آخر كلامه لا إله إلا الله	١٩٩
– مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النَّارِ	١١٥
– من ملك ذا رحم	١٣٤
– الناس تبع لقريش	٢٠٤
– نحن معاشر الأنبياء لا نورث	١٩٨
– نهى رسول اللَّهِ ﷺ عن الْوِصَالِ	١٥٩
– نهى النبي ﷺ عن بيع المضطر	١٩٣
– والذى نفسى بيده ما أخرجنى إلا الجوع"	١٥٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فهرس الأعلام المترجم لهم في الرسالة	رقم الصفحة
- أحمد بن الحسين الضبي.	١٢٠
- أحمد بن صالح المصري	١٢٢
- أحمد بن علي بن الحسين الطُرَيْثيثي	١٨٦
- أحمد بن عيسى بن رِضوان العسقلاني	١٧٢
- أحمد بن محمد بن أحمد أبو طاهر السلفي	١٧١
- أحمد بن محمد بن حرب الملحمي	١٢٤
- أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الازرق	١٧٣
- إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة.	١٩٥
- إسحاق بن محمد بن إسماعيل الفروي	١٦١
- جُبَارة بن المغلّس الحماني	١٤١
- الجراح بن المنهال أبو العطوف الجزري	١٤٥
- الحسن بن عمارة الكوفي	١٢٤
- الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني	١٧٣
- حماد بن يحيى أبو بكر الأبح	١٤١
- حمد بن محمد الإمام أبو سليمان الخطّابيّ البستيّ	١٧٠
- الحسن بن محمد بن الصبَّاح أبو علي البغدادي الزعفراني	١٧١
- خالد بن أبي الصلت البصري	١٩٤
- رفيع بن مهران البصري أبو العالية الرياحي	١٣٥

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library- Yarmouk University

سفيان بن وكيع بن الجراح	١٣٩
– زنفل بن عبد الله العرفي	١٤٦
– الزبير بن أحمد بن سليمان بن عاصم بن المنذر بن الزبير بن العوام	١٧٠
– الصلت السدوسي	١٩٤
– عُبَادَة بن نُسَي الكندي أبو عمر الشامي الأردني	١٤٥
– عبد ربه بن سعيد بن قيس النجاري	١٣٨
– عبد الرحمن بن وعلة المصري	١٢٠
– عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم القرشي العدوي	١٦١
– عبد الله بن لهيعة	١٨٥
– عبد الوهّاب بن عليّ بن عبد الكافي السُّبْكِيّ	٩
– عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي الزهري	١٤٢
– عقبة بن أوس السدوسي	١٢١
– عليّ بن عبد الكافي تقيّ الدّين السُّبْكِيّ	١٤
– علي بن محمد أَبُو حَيَّانَ التَّوْحِيْدِيّ	١٨٧
– عمر بن الحسن ابو الخطاب بن دحية	١٢٣
– عمر بن عبد الله بن موسى أبو حفص ابن الوكيل الباب شامِيّ	١٧٠
– عمر بن عليّ بن أحمد بن الملقّن	٢٠
– عمرو بن عبد الله بن عبيد أبو إسحاق السَبِيعيّ	١٤٤
– فضل الله بن أحمد بن على المِيْهَنيّ.	١٨٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

– محمّد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله الذّهبيّ.	١٣
– محمد بن الحسين أبو عبد الرحمن السلمي	١١٩
– محمّد بن خلف شمس الدّين الغزّي.	١٩
– محمد بن راشد الخزاعي.	١٩٥
– محمّد بن محمّد بن سيّد النّاس اليعمري.	١٦
– محمّد بن موسى بن سند.	١٨
– محمّد بن يوسف أبو حيان الأندلسي.	١٥
– هبة الله بن عبد الله القِفطي.	١٧٢
– يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة.	١٣٩
– يوسف بن الزكي أبو الحجّاج المزّيّ.	١٢

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

Abstract

Marked the eighth century AH cultural work to make it one of the most fertile in the Islamic era scientific and cultural life, as evidenced by the spread of the role of science and the emergence of encyclopedic works, and the spread of bookcases, and the emergence of elite scientists who have reputations Ola Subki likes of Ibn Abdul Wahab bin Ali bin Abd al-Kafi (d. ٧٧١ AH), who lived within the confines of his father, educated and influenced by his knowledge, and as drawn by the elderly, died in all that the environment surrounding it, Vtkont encyclopedic culture, which included various fields of science, including Hadith Sharif, the basis of this study to demonstrate the Influence of Ibn Subki Intellect, and composition on Hadith Criticism with him, and stand on the provisions of hadeeth Criticism to make, and the accuracy of the statement, then stand on the major characteristics of the Criticism method, thus raising the profile of the scientific aspects of Ibn Subki, which dominated the flag of jurisprudence and even almost no mention of Ibn Subki only in that flag, it was necessary to demonstrate that the identification of the works of Ibn Subki, multiple read, and extract text and provisions of Criticism related of hadeeth, and compare statements of scientists to demonstrate the compatibility of Ibn Subki with other scientists, this research entailed on how to represent the intellect of ibn as Subki, and the factors that contributed to it, and how the back has the effect of integration of knowledge hadith Criticism, which necessitated that this study in five chapters; first preliminary presentation of his biography of Ibn Subki, the second talked about the factors that contributed to the formation of culture, Third, while the talk was about the content of knowledge integration, in a sense is the science that has emerged and formed the culture, and the fourth statement of the impact of that culture on hadith Criticism, and to address the final chapter to the characteristics of the critical method of Ibn Subki, Kachiua critical spirit in his works, and dealt with both sides of the Sindh and text in cash, and some is taken for the son of Subki, the study concluded that the son of a culture characterized Subki encyclopedic included several areas, which helped him to stand on the evidence and texts for criticism, and explain the rules of inference and scientific benefits, approved in many of them specialists, and disagreed with some of them, his doctrine of his intellectual and doctrinal and behavioral, has provided us with new knowledge in modern science gained the attention of scientists.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University